مقدسيون صنَعوا تَاريخاً

كتاب يستعرض سِيرَ عشر شخصيات مقدسية
ومساهماتها في الحفاظ على عروبة القدس
الأسماء مرتبة هجائيًا

أ. عزيز محمود العصا أ. د. عماد عفيف الخطيب

مراجعة لغوية: د. محمد سلهب

2018

الشكر

نتقدم بالشكر والامتنان من معالي د. إيهاب بسيسو رئيس اللجنة الوطنيّة للقدس عاصمة دائمة للثقافة العربيّة على قراره بطباعة هذا الكتاب على نفقة «القدس عاصمة دائمة للثقافة العربية»، والشكر موصول للأستاذ جاد عزت الغزاوي المدير التنفيذي للجنة وطاقم العاملين في «القدس عاصمة دائمة للثقافة العربية»

نتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أسر المقدسيين، قيد البحث، على مساعدتهم وصبرهم معنا، وصولًا إلى هذا الكتاب التوثيقيّ لمقدسيين صنعوا تاريخًا على أرض القدس الطيبة الطاهرة

كما نشكر دائرة النشر وشؤون مراكز التطوير في أكاديمية فلسطين للعلوم والتكنولوجيا على ما بذلوه من جهود في المراحل المختلفة للكتاب.

المحتويات

- تقديم
- مقدمة

1. إليزابيث حنا ناصر
2. د. أمين صالح مجج
3. أنور عبد الحي الخطيب التميمي
4. حسني سليمان محمد مكي الأشهب
5. الشيخ حلمي حسن طاهر عبد الغني المحتسب
6. الشيخ سعيد عبد الله صبري
7. فيصل عبد القادر الحسيني
8. محمود قاسم أحمد أبو الزلف
9. نهاد عليان أبو غربية
10. هند طاهر الحسيني

تقديم

كثيرون من كتبوا عن القدس، فما كُتبَ عنها يفوق ما كُتب عن أي مدينةٍ أخرى. كيف لا وهي أقربُ نقطةٍ بين السماء والأرض، وهي المعراج المقدّس التي تصدّ بجسدها العاري قنابل الموت وأنياب الجرّافات الإسرائيلية. ففي ظلّ عمليات التشويه والتزوير والاستلاب والنهب الداهم التي تمارسها سلطة الاحتلال في القدس، كان لا بدّ من إحياء تراث المدينة والحفر في طبقات وعيها، حتى تتمكن الحكاية الفلسطينية من مقارعة حكاية النقيض الإحلالي.

من هنا انبرى الكاتبان أ. د. عماد الخطيب وعزيز العصا في الإعداد لكتابهما «مقدسيون صنعوا تاريخاً» ليسلطا الضوء على هوية بعضٍ من رجالات وسيدات القدس الذين شكّلوا هويتها ووعيها. هذه الأسماء منحت قُدساً الأفق الواسع للإبداع والإنجاز، فما زالت آثارهم وإرثهم الإنساني والمعرفي سراجاً ينير ظلمة هذا الزمان الذي يَلُفّهُ الاحتلال بدماره وسواده. لقد قدّم الباحثان هذه النخبة من الشخصيات المقدسية انحيازاً للقدس في أشد لّحظات انسداد الأفق، حيث يُرادُ للمدينة أن تقع في غياهب الغياب والطمس. لكن دائماً ثمّة من يدقّ الجرس بإصرارٍ للتأكيد على الحقّ والحقيقة الفلسطينية غير القابلة للزوال والنهش.

إنّ إصدار هذا الكتاب يأتي تكريماً لأعلام مقدسية حملوا على عاتقهم أمانة الدفاع عن القدس وواجهوا الاحتلال وغطرسته، فكانً ليقظتهم وعطائهم وتفانيهم في خدمة المجتمع المقدسي أثرها الملموس في مواجهة عمليات التهويد والأسرلة وحماية وبناء مؤسسات القدس. إن إيلاء سيرة ومسيرة هؤلاء مساحةً وافرةً من الاهتمام والمتابعة هو أمرٌ ضروريٌ لتعرّيف الأجيال بما قدّمه الأسلاف من مساهماتٍ وإنجازاتٍ باقية رغم أنف الغزاة العابرين. هؤلاء المقدسيون والمقدسيات بمسيرتهم الحافلة بالعطاء والمعرفة شكّلوا عنواناً للصمود والإصرار على الحياة وأسبابها رغم ما كابدوه من واقع مرير خلال مسيرة حياتهم منذ بداية القرن العشرين مروراً بالنكبة والنكسة وانتهاءً بالأمس القريب بكل ما يحمله في القدس من وجعٍ وألم. لقد ساهم هؤلاء، وبلا شك، في تأسيس خارطة الوعي الجماعي المقدسي ولامسوا وجع القدس وسياقاتها السياسية والتربوية والثقافية والدينية والتعليمية، ما منح المدينة مساحةً واسعة من التحدّي، وجعل تاريخها يستعيد نقاط قوّته في مواجهة سطوة المحتل الغاشم.

يقدّم كتاب «مقدسيون صنعوا تاريخاً» مقتطفاتٍ من مسيرة حياة عشر شخصيات مقدسية رائدة في مختلف مناحي الحياة والمعرفة، تركوا بصماتهم الواضحة فيها، فشيّدوا وساهموا

في صنع تاريخ القدس ومستقبلها. لم يكن هؤلاء من نمط أولئك الذين يختارون العزلة عن الناس، ولم يقفوا مكتوفي الأيدي، إنما شمروا عن سواعد الجد، ولم يتركوا فُسحةً من الوقت إلا استثمروها في الفعل والتأثير. أولئك، إذاً استحقوا صفة القادة المؤثرين ليس فقط لأنهم خاضوا ميادين القيادة في عددٍ من المجالات، الوطنية والاجتماعية والفكرية والثقافية والتربوية والدينية؛ بل لأنهم من القِلّة التي سَبقت غيرها في مجابهة الأخطار التي تتهدد مدينتهم، وجابهوا الواقع المؤلم الذي يعشيه أبناء شعبهم، ولم يَغب عن بالهم أهمية التعليم وتعميم الثقافة الوطنية، ووضع البرامج التربوية والتثقيفية لمجابهة هذه الأخطار.

ومع إدراكنا صعوبة الإحاطة بحياة أولئك الروّاد الحافلة بالعطاء، إلاّ أننا نأمل أن تكون هذه الشذرات والأضواء التي يسلطها الباحثان بداية تنشيط الذاكرة لإعادة التعرّف على أولئك المقدسيين الذين حملوا لواء نهضتها، ونهضة مدينتهم بكل جدية وصِدق، والتعرّف على آثارهم المتنوعة التي تركوها ذخيرة للأجيال القادمة في مجابهة ما تقوم به سلطات الاحتلال من إجراءاتٍ بهدف تهويد المدينة المقدسة، وتشريد أهلها، وتغيير معالمها الحضارية والدينية والتراثية، ومحو ذاكرة المشهد المقدسي الفكري والاجتماعي والثقافي.

والله من وراء القصد،،،

عدنان الحسيني

المقدمة

إن الحديث عن قادة الفكر والعمل من المقدسيين، خلال القرن العشرين، يعني الحديث عن أولئك الذين يرابطون على الجبهة الأمامية في الصراع القائم على أرضها بين شعب أعزل لا يملك سوى إرادة الصمود من جانب، ومن الجانب الآخر يقف أطول وأشرس احتلال شهده التاريخ المعاصر؛ إنه الاحتلال الثنائي البريطاني-الصهيونيّ، الذي كان للبريطانيين فيه دور من أعدّ المكان لدولة قامت على الظلم والطغيان. وأما الصهيونيّة، فهي من نفّذ، وبدعم منقطع النظير من بعض دول العالم المتواطئة، إلى أن أعلنت الدولة العبريّة في العام 1948م، بعد أن نكبت الشعب الفلسطينيّ وشردته، واستولت على أرضه، وسعت إلى محو وجوده الثقافي والحضاريّ!

لأن الشعب الفلسطيني شعب حي، ففي كل الحقب والعصور كان يظهر من يقاوم الظلم والتسلّط الاحتلاليين. ولأن القدس هي عاصمته الروحية والسياسية والفكريّة والحضارية، فإنها تشكل الموئل والملاذ، عند الأزمات أو في الرخاء. ولأن الماضي مرآة المستقبل وهو أشبه به من الماء بالماء، فإنه من الأهمّيّة بمكان سبر غور حياة كل قائد مقدسي، والوقوف معمّقًا عند تفاصيل شخصيّته؛ مما يسهم في توفير الإضاءة الكافية لمن يسعى إلى التخطيط للحفاظ على عروبة القدس؛ بإسلاميتها ومسيحيّتها.

على تلك القاعدة، جاء كتابنا هذا «مقدسيون صنعوا تاريخًا»، والذي أعددناه على مدى العامين 2015-2014، ليشمل عشرة قادة مقدسيين تركوا فينا ما لا يُنسى من أثر وآثار، مادّيّة وغير مادّيّة، في المجالات التربوية والتعليمية والسياسية والفكريّة... الخ، شكلت، في مجموعها، تحدّيات للاحتلال وإعاقات جادّة وفاعلة لمحاولاته «تهويد» المكان والزمان والتاريخ والجغرافيا، ما يشكّل تاريخًا فيه إضاءة وتمهيد طريق للأجيال القادمة، للسير قدمًا على خطى الآباء والأجداد، وتقدير إنجازاتهم والمحافظة عليها، مهما غلت التضحيات.

كما يأتي هذا الكتاب في الوقت الذي مرّ على نكبة شعبنا «سبعون» عامًا بأيامها ولياليها وشظفها وقسوتها وشراستها، لكي نستذكر عشرة من المقدسيين الذين كان لهم الدور البارز في الوقوف في وجه الاحتلال إبّان زلزالَيْن تاريخيين: زلزال النكبة في العام 1948م، والزلزال الارتدادي المتمثل في النكسة في العام 1967م. وإذا كان الزلزال الأول قد التهم معظم مدينة القدس، فإن الزلزال الثاني أكمل على ما تبقى منها.

إذا ما علمنا بأن المقدسيين قيد البحث في هذا الكتاب، هم من مواليد الفترة (1906م - 1940م)، وأنهم يتوزّعون على مدى واسع من مجالات البناء والإبداع، فإننا نكون قد شملنا

حقبة زمنيّة واسعة، تفتح قريحة الباحثين على المزيد من البحث والتمحيص والتحليل لما جرى على أرض فلسطين خلال القرن العشرين. لا سيما وأنه تم تخصيص فصل كامل ومستقل لكل شخصية على حدة[1]. وأننا اعتمدنا في إعداده على منهجيّة العمل الميداني مع عائلات المبحوثين وأسرهم وأصدقائهم، دون أن نركن إلى ما نُشر عنهم من مؤلفات، علمًا بأن منهم من لم يأخذ حقّه من النشر والتعريف به قبلئذ. ونؤكد هنا أننا لا ندّعي وصولنا إلى الحقيقة المطلقة؛ وإنما هي محاولة جادّة ننتظر أن يضاف إليها محاولات أخرى أكثر جدّيّة وأثرًا.

لأهميّة هذا الكتاب ودوره في التأريخ للقدس، من خلال هؤلاء القادة، جاء قرار معالي د. إيهاب بسيسو رئيس اللجنة الوطنيّة للقدس عاصمة دائمة للثقافة العربيّة، الذي نسجّله بحروف من ذهب، بطباعة هذا الكتاب على نفقة «القدس عاصمة دائمة للثقافة العربية». كما أردف معاليه بأن أتحف القارئ بكلمات تبعث الأمل في النفوس، وتفتح لكتابنا هذا آفاق الانتشار لا على مستوى الوطن الفلسطيني وحسب، وإنما على مستوى الوطن العربي أيضًا، الذي تشكّل القدس العاصمة الدّائمة لثقافته.

نترك هذا الكتاب بين يديّ القارئ العزيز، الذي نأمل منه أن يرشدنا إلى أخطائنا، التي وقعنا فيها من غير قصد، دون أن ننتظر شكرًا على صوابنا؛ لأننا نرى أنه أقلّ الواجب الذي يمكن أن نقدّمه إلى القدس عاصمتنا الأبديّة، وإلى أهلها القابضين على عروبتها كالقابض على الجمر.

والله من وراء القصد،،،

المؤلفان

1 تم ترتيب الأسماء -عناوين الفصول- في الكتاب بحسب الحروف الهجائية.

مقدسيون صنَعوا تَاريخاً

إليزابيث حنا ناصر

إليزابيث ناصر (1906 – 1986)

مقدمة

منذ اللحظة الأولى التي شرعنا فيها بفكرة تأليف هذا الكتاب، ووضعنا المعايير المتعلقة باختيار المقدسيين الذين سيتم التحدث عنهم، وجّهني السيد سمير جبريل؛ مدير التربية والتعليم في القدس الشريف نحو «إليزابيث ناصر»؛ كمقدسية تميزت بالعطاء، والتفاني في خدمة المجتمع الفلسطيني بشكل عام، والمجتمع المقدسي بشكل خاص. أما العنوان الذي وجهني إليه فهو مدرسة روضة الزهور؛ باعتبارها المؤسسة التي أسستها وبنتها اليزابيث ناصر على ثرى القدس الطهور، في مواجهة محاولات تهويد القدس التي لم تتوقف يوما .

وعندما توجهت إلى تلك المؤسسة، وجدتها تستقر في خاصرة ما يسمى بالمحكمة التي جعل منها الاحتلال مكانًا يشرعن، من خلالها، وجوده السياسي في شرقي القدس. وعند دخولها وجدتها تعبق برائحة اليزابيث وشعرت بروحها في أرجاء المكان، بكل مهابة واحترام. كيف لا وهي التي جعلت من غرفة نومها، غرفة صفية يتلقى فيها أبناء القدس وبناتها علومهم عن وطنهم، الحر المستقل، وعن قضيتهم التي تتطلب منه استعادة المغتصب من الحقوق.

لقد كان استقبالًا حافلًا حظيت به من المديرة السيدة «رائدة جاسر» والمعلمات، والعاملات في هذه المؤسسة. فكان لعدد منهن قصص مع «مس ناصر»؛ كما كانوا يسمونها في المدرسة، تتراوح بين الطرفة والوجع، وعندما تجمع تلك القصص والروايات معًا تجد أنّك أمام إنسانة تتمتع بشخصية متعددة الأبعاد؛ من الجدية المطلقة في العمل، ودقة المواعيد، والدقة في العمل، وسرعة الإنجاز، والكفاءة العالية في إنجاز المهمات؛ أكبر قدر من الإنجاز في أقصر وقت. ويحيط بتلك الصرامة والجدية روح النكتة التي تشيع في المكان أجواء من المرح والسرور الدائمين.

من أجمل ما وجدته في تلك المؤسسة، التي أنشأتها «اليزابيث ناصر» أن كل فرد فيها يحترم الآخرين ويعترف بأدوارهم. فعندما علمت بمقصدي من البحث الذي أقوم به، أشارت لي المديرة «رائدة جاسر « بأن هناك من كان أقرب منها من «مس ناصر»، وأكثر قدرة على وضع النقاط على حروف هذه المقدسية التي قبضت على جمر القدس والمقدسيين؛ صغاراً وكباراً. فوجهتني نحو سيدتين عملتا معها جنبًا إلى جنب، وعايشتاها في أحلك الظروف وأكثرها قسوة، وهما: السيدة «سامية ناصر خوري»؛ التي كانت، دومًا، إلى جانب عمتها «لزي» كما ساهمت في تطوير المدرسة منذ العام 1967، وانتهى الأمر بها رئيسة لجمعية روضة الزهور خلال الفترة 1986–2003، والسيدة «سلوى شبيطة زنانيري»؛ التي تدربت على يد «مس ناصر» وعملت مديرة للمؤسسة منذ بداياتها ولحقبة طويلة من الزمن إلى أن تقاعدت عام 2012.

هكذا؛ بدأتُ رحلتي، متكئًا على ما تزخر به ذاكرة السيدتين المذكورتين مجتمعتين أولًا، ثم انفردت السيدة سامية بتزويدي بما لديها من أوراق ووثائق وبيانات وبيّنات، وأن أبحث بين سطور السيرة والمسيرة التي تركتها اليزابيث، بما فيها من تفاصيل خاصة بحياتها، وفق ما هو موصوف أعلاه. إلى أن تمكنا من الخروج بهذه اللوحة الجميلة التي تمثل رحلة التحدي والإبداع التي سلكتها «مس ناصر» بين حقول الألغام، حتى استقرت هذه المؤسسة بما هي عليه الآن؛ مؤسسة تربوية وطنية بامتياز يشار إليها بالبنان.

إليزابيث ناصر (١٩٠٦ - ١٩٨٦)

من أوائل من حمل الدرجة الجامعية من الفلسطينيات.. أول امرأة تشغل منصب مدير دائرة الشؤون الاجتماعية في القدس.. شخصية جريئة؛ صريحة ولم تخش من قول كلمة الحق. إدارية صارمة؛ تؤمن بحسن إدارة الوقت، لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد ولا تقبل الخطأ بسهولة.. شخصية مرحة؛ ضحكتها تجلجل المكان، ترفض تعيين الموظف الذي لا تعلو وجهه الابتسامة الدائمة.. قالت عنها «هند الحسيني»: كانت «إليزابيث ناصر» مدرسة بحد ذاتها».. وقال فيها بواب أحد فنادق القدس «شفيعة المحتاجين».. إنها تلك المقدسية التي تعشق قدسها، فطلبت ممن يشيع جنازتها أن يطيل اللّفّة قبل دفنها؛ لكي يودّع جثمانها القدس.. وعندما رَثاها القس نعيم عتيق في ذلك اليوم، قال: إنها ترجمت إيمانها بالأعمال.

سيرة حياتها:

المولد-النشأة-التعليم: هي اليزابيث حنا موسى ناصر

- ولدت اليزابيث حنا موسى ناصر، مع أختها التوأم فيكتوريا، في نابلس عام 1906، فكان ترتيبها السابعة بين شقيقاتها الثماني، إلى جانب شقيقها.
- كان والدها القس حنا ناصر، من بير زيت، راعيا للطائفة الإنجيلية العربية في نابلس في حينه. وأما أمها «سعدى شطارة» فكانت معلمة في رام الله قبل زواجها من القس حنا عام 1884.
- درست إليزابيث في كلية القدس للبنات مع بعض أخواتها، ثم تابعت دراستها العليا في

الجامعة الأميركية في بيروت، حيث تخرجت بشهادة بكالوريوس في علم الاجتماع عام 1933. فكانت إحدى أربع فتيات مقدسيات تخرجن من الجامعة في منتصف الثلاثينيات من القرن الماضي.

إليزابيث حنا ناصر في بداية حياتها العملية

- الجدير بالذكر أنها كانت الوحيدة، من بين شقيقاتها السبع، التي تابعت دراستها الجامعية، أسوة بأخيها موسى؛ الذي كان قد تخرج في الجامعة الأميركية عام 1914. كما أن شقيقتها الكبرى «نبيهة» أسست «مدرسة بير زيت»، التي تطورت، عبر السنوات، إلى كلية لتصبح عام 1973 أول جامعة فلسطينية على أرض الوطن تحمل اسم «جامعة بير زيت».

المناصب التي شغلتها:

- بدأت اليزابيث مسيرتها العملية معلمة في طبريا ثم في الخليل وبعدها في القدس.
- ثم توجهت للعمل الاجتماعي، مثلها مثل شقيقتها التوأم، ولمواصلة تخصصها الجامعي في علم الاجتماع. وعملتا معا في القدس كعاملات اجتماعيات. ثم انتقلت هي إلى يافا بينما انتقلت شقيقتها التوأم إلى نابلس.
- عندما حلت النكبة بالشعب الفلسطيني عام 1948، وكغيرها من أبناء الشعب الفلسطيني، تغيرت حياتها بين عشية وضحاها؛ فهجرت بيتها (بما فيه من محتويات) في يافا، ولجأت إلى بيت العائلة في بير زيت حيث ساهمت، لفترة قصيرة، في تعليم مادة التاريخ في كلية بير زيت على أمل العودة إلى يافا.
- عندما اتضح أن العودة إلى يافا لن تتم خلال أسابيع أو أشهر؛ كما كان الشعب الفلسطيني يتأمل، أخذت تسعى إلى عمل في الخدمة الاجتماعية.

- بعيد ضم المناطق الفلسطينية، التي عرفت بالضفة الغربية، والتي لم تحتلها إسرائيل عند إقامة دولتها على أرض فلسطين، إلى الأردن، تم تعيين اليزابيث عاملة اجتماعية في دائرة الشؤون الاجتماعية في القدس؛ والتابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية الأردنية في عمان.
- ثابرت في العمل، وأثبتت جدارتها إلى أن أصبحت مراقِبة سلوك ومن ثم تعينت مديرة لدائرة الشؤون الاجتماعية؛ لتكون أول سيدة تشغل هذا المنصب في أوائل الخمسينيات.
- ولم يكن من السهل على بعض الموظفين الرجال التعامل مع سيدة كمديرة لهم، خاصة وأنها كانت تتطلب الدقة في العمل والإنسانية في التعامل مع الحالات الاجتماعية. وعملت جاهدة من أجل تغيير الأساليب التربوية والاجتماعية التي كانت سائدة في المؤسسات التي كانت تزورها بحكم منصبها، فكانت تتألم مع الأطفال المحرومين والمقموعين. وبقيت في منصبها (الحكومي) إلى أن تقاعدت عام 1964.

قصة روضة الزهور: من قارعة الطريق.. إلى الأمن والأمان

إليزابيث حنا ناصر في مكتبها كمديرة للشؤون الاجتماعية في القدس

في يوم ماطر من شهر شباط من العام 1952، صادفت «إليزابيث ناصر» فتاتين صغيرتين في السادسة والخامسة من العمر؛ بثياب رثة مبللة تتسولان على قارعة الطريق. فراودتها فكرة

إنشاء دار للفتيات المشردات، وذلك إيمانا منها بأن هذه الدار ستحمي الفتيات من اللجوء إلى الشوارع لكسب لقمة العيش، خاصة بعد أن تبين لها مدى استغلال هاتين الفتاتين وتعرضهما لشتى أساليب الإذلال والتحقير.

هكذا؛ انطلقت هي شخصيا إلى الشوارع لتبحث عن الفتيات المتسولات، فجلست في المقاهي مع العمال وسائقي سيارات الأجرة؛ لتحصل على معلومات عن أماكن وجودهن، مخالفة بذلك التقاليد التي تحظر وجود المرأة في المقاهي الشعبية. ولكنها لم تكن، في أي وقت من الأوقات، تقليدية، ولم تعر اهتماما لكلام الناس. فقد كان همها الأكبر أن تحتضن هؤلاء الفتيات لتوفر لهن المهارات اللازمة ولتؤهلهن للعمل الشريف والعيش بكرامة واطمئنان.

بدأت مشروعها هذا في منزلها المستأجر، مكتفية بركن منه لها. وأسمت الدار «جمعية روضة الزهور»؛ لأنها أرادت للفتيات أن يشعرن بأنهن زهرات في حديقة للزهور، ولكي تزيل أية وصمة عار قد تربطهن بحياة التشرد.

بفضل أصحاب الخير، والأيادي البيضاء المعطاءة بدأت «إليزابيث ناصر» مسيرة روضة الزهور، بخمسة وعشرين فتاة التقطتهن من الأزقة والمغاور بهدف إيوائهن وتعليمهن بعض المهارات وكان التركيز على: محو الأمية، والتدريب الصحي، والتدبير المنزلي والخياطة

والتطريز والموسيقى؛ وذلك لتمكينهن من إيجاد عمل، أو ليكنّ ربات بيوت صالحات. وقد شهد المجتمع المقدسي لها بدورها الفعال في القضاء على ظاهرة التسول في القدس قبل عام 1967.

بدايات روضة الزهور

منذ البداية، لعبت الموسيقى دورا هاما في حياة الفتيات، وساعدت في إدخال المرح إلى قلوبهن، واستبدال دمعة التشرد والكآبة بابتسامة الأمان والسعادة. ولعدة سنوات بقيت توفر لهن السكن والطعام.

بعد نكسة حزيران، في العام 1967، واحتلال الضفة الغربية وضم القدس إلى بلدية الاحتلال، رأت اليزابيث ناصر أنه من الأهمية بمكان أن تتوجه إلى حاجة جديدة نشأت عن وضع شرقي القدس وضمها بعد الحرب إلى دولة الاحتلال. فبدأت مرحلة جديدة لروضة الزهور، لتساهم في سد حاجة المدينة لمدارس وطنية. وعليه؛ قامت بتطوير برامج الروضة، تدريجيا، إلى أن أصبحت مدرسة أساسية مختلطة تتبع المنهاج الوطني، مع التركيز على اللغات الأجنبية بدءًا من الصف التمهيدي.

بعد أن اكتمل تطوير المدرسة وأصبح عدد الطلبة (250) طالبًا وطالبةً، بما فيه قسم رياض الأطفال، اضطرت إلى توسيع مرافق المدرسة، فتمت بعض الإضافات إلى البيت الأصلي. وعليه استأجرت شقة قريبة من المدرسة حتى تتمكن المدرسة من الاستفادة من المبنى بأكمله. وبمساعدة صديقة لها كانت تتطوع في الروضة، بدأت تجند الأموال من أجل بناء طابق ثان للمدرسة تتوفر فيه المرافق اللازمة للعملية التعليمية والتربوية. وتم الاتفاق مع صاحب الملك على البناء على حساب المدرسة لمدة 13 سنة يبدأ بعدها دفع إيجار إضافي للطابق الجديد. ولكن للأسف رحلت «مس ناصر» قبل أن تحصل المدرسة على الرخصة والتي استغرقت سبع سنوات؛ فتم تشييد الطابق الثاني بعد رحيلها.

هذا وعملت «مس ناصر»، كما كانت تعرف في المدرسة، جاهدة على استقطاب أعضاء لهيئة روضة الزهور من الملمين والمهتمين في التعليم. فكانت لها رؤية للتخطيط إلى الأمام. وعندما شعرت بالاطمئنان على المدرسة، أعلنت عام 1986 عن رغبتها في التقاعد؛ لتفسح المجال للرعيل الثاني لاستلام زمام الأمور. لقد كانت مبادرتها سابقة؛ إذ اعتدنا في مجتمعنا أن يستمر رئيس أية جمعية على رأس عمله، مهما طالت سنوات الخدمة، إلى أن يفارق الحياة. وعليه كان بالإمكان تكريمها في حياتها، والتعبير لها، من الطلبة والموظفين

والأصدقاء، عن مشاعرهم تجاهها وتقديرهم لمشروعها الخلاق.

تخليدًا لها ولذكراها العطرة، أسست روضة الزهور «صندوق اليزابيث ناصر»، لجمع التبرعات التي وردت بمناسبة تقاعدها، وما أضيف إليه من التبرعات التي وردت بدل أكاليل الزهور عند وفاتها في العام التالي1987.

جمعية روضة الزهور ومدرستها- إرث اليزابيث ناصر

كان مكتب الإدارة في بيت الآنسة إليزابيث ناصر. وها هي تطورت لتضم المراحل الدراسية من البستان حتى الصف السادس، ليضاف إليها التوسعات الأفقية والرأسية، لتصبح من طابقين. أما العدد الإجمالي للغرف الصفية فهو (ستة للصفوف الابتدائية وأربعة لقسم رياض الأطفال) إضافة إلى المرافق الأخرى، مثل: القاعة والمكتبة والمختبر ومكتب الإدارة وغرفة الهيئة التدريسية والقاعة والمطبخ[2].

- بعد عام 1967 ساهمت الجمعية، كغيرها من المؤسسات المقدسية، في سد حاجات المدينة المقدسة للمدارس الوطنية فطورت منهاجها؛ لتصبح مدرسة أساسية مختلطة، تدرس المنهاج المعمول به في المدارس الوطنية.
- قادت هذه المؤسسة، فصنعت منها مؤسسة مقدسية وطنية بامتياز، وفي ذلك تقول السيدتان «سامية خوري وسلوى زنانيري»[3]:
- حضر شخص من دائرة المعارف وعرض على مس ناصر مبلغ 10 آلاف ليرة إسرائيلية[4] لإنجاز سور بين «مدرسة روضة الزهور» والمدرسة المأمونية، ولكنها رفضت المبلغ. إذ أنها، من ناحية المبدأ، رفضت أية مساعدات من الجهات الإسرائيلية؛ للحفاظ على عروبة المدرسة واستقلاليتها.
- رغم صراحتها كانت دبلوماسية في معاملاتها، وحريصَة على التخطيط للمستقبل.
- كان شعارها: الإنسان وكرامة الإنسان أهم شيء في الحياة, وأوصت (سلوى) وهي على فراش الموت، قائلة: « أرجوك أن تستمري في المحافظة على رسالة المدرسة.»
- في عام 1986 أدخلت تدريس اللغة الفرنسية ضمن المنهاج.

---

2 مقابلة المديرة «رائدة شحادة جاسر» في 2014/9/29م.

3 مقابلة، أجريت معهما في فندق الأمبسادور بالقدس في 2014/10/10م.

4 كانت هذه هي عملة الاحتلال قبل اعتماد عملة «الشيكل» الحالية.

- شاركت في العديد من المؤتمرات واللقاءات والمظاهرات والاحتجاجات ضمن إطار الحركة النسائية الفلسطينية.
- في عام 1986 قررت أن تتقاعد وتتنحى عن رئاسة الجمعية، حيث سلمت هذا الصرح التربوي إلى الرعيل الثاني من أعضاء الجمعية، فقامت الهيئة الإدارية للجمعية وإدارة المدرسة والمعلمات وأصدقاؤها بتكريمها، في حفل خاص شارك فيه طلبة المدرسة من خلال مسرحية تحكي قصة تأسيس الروضة.

- أما شهادة «سامية ناصر خوري» فتقول فيها[5]:
- لقد كان لي شرف تحمل مسؤولية هذا الإرث الهام، عندما اختارتني الهيئة الإدارية رئيسة؛ لأواصل مسيرة روضة الزهور، بعد أن كنت أمينة الصندوق لفترة وعملت عن قرب مع «العمة لزي».
- إن أكثر ما أذهلني عند استلام مهامي، وحتى عندما كنت أمينة الصندوق، هو عدد أصدقائها في الخارج، والذين كانوا ملتزمين بمساعدتها ومعجبين بمبادرتها. وكم كانت حريصة على عدم تأخير تحرير الوصل للمتبرع، مع رسالة شكر لكل تبرع يصلها مهما كانت قيمته. وهذا ما أعطاها مصداقية. وقد ساهمت مراسلاتها المستمرة مع الأصدقاء لتأمين دخل ثابت للمدرسة. وكان لها أسلوبها الخاص في تجنيد الأموال

5 أرسلتها، كتابة، غبر البريد الالكتروني.

من الأفراد والمؤسسات وقبل أن تصبح العملية معقدة بتعبئة نماذج لمشاريع محددة. في كثير من الأحيان كانت قيمة التبرعات الشخصية متواضعة ولكن القاعدة كانت كبيرة والمتطلبات كانت أقل وهذا ما ساعد على استمرارية المؤسسة.

- لم يكن من السهل استلام مهام من رئيسة كانت هي المؤسسة وصاحبة الرؤية الواضحة التي تدرك ما تريده بالضبط. إلا أنني حظيت بطاقم متفان في العمل والعطاء وعلى رأسهم مديرة المدرسة «سلوى زنانيري» والتي كانت قد تدربت على يد العمة لزي، والتزمت بشعارها «لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد» وعملنا معا بكل انسجام لمدة 17 عامًا ونجحنا في تحقيق أمنية «العمة لزي» وتم تدشين الطابق الجديد باسم اليزابيث ناصر وحافظنا على روح المحبة والعطاء التي بثتها العمة لزي في هذه الدار.
- أذكر ذات يوم، عندما حدثتني عن قيامها بفصل معلمة مرة واحدة فقط في مسيرة روضة الزهور، وكان ذلك في البدايات؛ عندما تحدثت المعلمة عن الفتيات بأنهن بنات شوارع، فلم تمهلها «العمة لزي» دقيقة واحدة، وطلبت منها أن تأخذ حاجاتها الشخصية وتترك المدرسة فورًا. وعليه؛ تكون «العمة لزي» قد بثت في جميع من عمل معها روح الاحترام لقدر كل إنسان، وبقي التعامل بين الجميع في أسرة روضة الزهور باحترام متبادل.

أخيرًا؛ رحلت اليزابيث ناصر في الأول من نيسان من العام 1987، ولكن ذكراها ستبقى حية عبر روضة الزهور، وشهادات خريجيها، وجميع الذين عملوا معها لبناء هذا الصرح التربوي المتواضع والصغير في حجمه- الكبير في رسالته وعطائه.

هذه هي مدرسة روضة الزهور التي ستبقى الشاهد الحي على ذكرى «اليزابيث ناصر» وذكرياتها الطيبة، ولعل فيما يقوله «د. كريم أبو لبدة»؛ وهو أحد طلبتها ما يوثق لتلك المرحلة، ولتلك التربوية-الاجتماعية الخبيرة بالنفس البشرية وما تحتاجه لحفظ كرامتها، إذ يقول:

> **«لعلي من أكثر الطلبة مكوثاً في مدرسة روضة الزهور، حيث كنت رفيقاً لوالدتي المعلمة في المدرسة منذ الشهر الثاني من عمري، ثم التحقت طالباً منتظماً من صف الروضة وحتى الصف السادس.**
>
> **يقول علماء النفس: إن شخصية الطفل تتكون بين السنة الثالثة والخامسة من العمر، وأحمد الله أنني تتلمذت في هذه المرحلة الأساسية على أيدي مربيات فاضلات، عملن على تنشئة جيل صالح يُعنى بالفضيلة، وينتمي**

إلى مجتمعه. ومما لا شك فيه أن ارتباطي الذهني والعاطفي والجسماني بمدرستي؛ روضة الزهور قد اثر ايجابياً على شخصيتي في سنوات الكبر، وفي مناحٍ مختلفة من حياتي.»

أما السيد يعقوب عودة؛ أحد أولياء أمور الطلبة، فقد كتب ما يشبه المرافعة أمام التاريخ عن المؤسَّسة والمؤسِّسة «كلمة حق في مدرسة روضة الزهور»:

كلمة حق للتاريخ، هي شهادة إقرار واعتراف، وهي أمانة وواجب وحق لشعب هذا الوطن، لأجيال اليوم والغد، كلمة تقدير ووفاء.. شهادة حق وعرفان.. أمانة أوفي بها، ولا أنكرها، بحق مدرسة روضة الزهور، بحق أمر لم يخبرني أحد به، ولم أسمع عنه من احد؛ بل هي حقيقة عايشتها وعشتها. وهي اليوم تعيش في عقلي وصدري -ولا أبالغ إن قلت تعيش فينا-، إنها مدرسة روضة الزهور، عرفتها وأنا طفل مقدسي في المدرسة المركزية «بمكان المأمونية» ألعب على ملعبها، في النصف الأول من خمسينيات القرن الماضي، عرفتها كجمعية روضة الزهور اسمها مقترن بـ «مس ناصر».

في النصف الأول من التسعينيات سمعت بصيتها، وشممت رائحة زهورها كروضة وتمهيدي ومدرسة، فشدتني سمعتها الطيبة لدى الناس المقدسيين ومنهم أصحابي، فأودعتها أغلى ما لدي، واعز ما عندي؛ ابنتي بيسان، وابني ناصر التوأمان.

دخلت المدرسة-الروضة، ويوما بعد يوم صرت اعرف مدرسة روضة الزهور أكثر فأكثر؛ معرفة مباشرة وحقيقة، من خلال تربيتها وتعليمها لأبنائي. ثم سجلت ابنتي لميس «الثالثة».

تقدم الأطفال في صفوفهم وكبرت المدرسة في عقولهم وحياتهم وأحبوا معلماتها ومديرتها ومعاملتها. ونحن، كوالدين، أحببنا المدرسة مشاعريًا وذهنيا.

يوما بعد يوم أصبحت المدرسة جزءًا منا ومن حياتنا كعائلة، ليس من خلال الأطفال وحسب بل، أيضا، من خلال التواصل الذي تخلقه إدارة المدرسة ونهجها في إشراك البيت بالعملية التربوية والتعليمية؛ بزيارة المدرسة عدة مرات بشكل ثابت وكلما طرأت حاجة لدى المدرسة أو لولي أمر الطالب/ة.

تصغي المديرة والمعلمات إلى ملاحظات أولياء الأمور واقتراحاتهم، وتناقشها معهم. وأولياء الأمور كذلك يسمعون ويناقشون ملاحظات واقتراحات معلمة الموضوع، ومربية الصف، ومديرة المدرسة بشكل سلس وبدون حواجز. ويعود هذا إلى الكفاءة التربوية والتعليمية والاجتماعية لهن وللتوجه السليم للمدرسة، القائم على اعتبار البيت جزءًا أصيلاً في

العملية ومشاركته شرط لنجاحها، وخصوصا في مدرسة أطفال كهذه.

الأمر الذي ينم عن وعي وإدراك لأهمية التعليم، بعيدا عن الصَّم والتلقين –حشو الدماغ– والعنف،وبناء الإنسان بشكل سوي يحفزه على حب المدرسة –التعلم–، والانتماء الإنساني لمجتمعه وبلده بعيدا عن أي شكل من التعصب أو التمييز.

كما تعمل المدرسة على تنمية مواهب الأطفال وتعزيز هويتهم الوطنية، وصقل شخصيتهم؛ بإشراكهم في النشاطات المنهجية وغير المنهجية. بالإضافة إلى أنها تسمو، دوما، عن أية تطلعات أو ممارسات تجارية أو استغلالية لطلابها وذويهم، مكتفية بالقدر الذي يحول دون فقدان الفقير فرصته بالتعلم فيها، في الوقت الذي يسمح للمدرسة بمواصلة دورها ورسالتها قدر الإمكان.

لم أجد، الآن مناصا، ليس بناء على نتائج أولادي فحسب ومنهم المحامي وطبيبة الأسنان، والأخصائية الاجتماعية، بل وحسب نتائج الغالبية العظمى من أطفال المدرسة، شباب اليوم من محامين وأطباء ومهندسين ومعلمين وغير ذلك.. لم أجد مناصا من الإقرار بتميز مدرسة روضة الزهور، والاعتراف بدورها وقيمتها كصرح تربوي تعليمي عريق في المجتمع الفلسطيني المقدسي، وبخاصة اليوم؛ في ظل ظروف احتلال قاسية: اقتصادية وسياسة واجتماعية وتعليمية تعيشها القدس –مدينة وشعبا– بشكل خاص، والأرض الفلسطينية بشكل عام.

لقد حافظت المدرسة على طهر العملية التعليمية؛ منهجا وتوجها، بحفاظها على طهر يدها وهويتها، رغم قسوة أوضاعها المالية، التي تجعل من الصعب عليها الاستمرار في حمل رسالتها، دون دعمها وإسنادها لمواصلة دورها في رفع راية العلم لكل شرائح المجتمع المقدسي وبخاصة الفقراء ومتوسطي الحال، وما أكثرهم في مدرسة روضة الزهور.

«إليزابيث ناصر» إدارية

أفادت «سلوى زنانيري»[6] بأن «مس ناصر» كانت، إدارية، تتمتع بمجموعة خصائص وسمات جعلت منها أنموذجًا يحتذى به، وعليه تعلمت منها الكثير.

6 عملت مع «إليزابيث ناصر» مديرة لمدرسة روضة الزهور لمدة 20 عامًا (1966–1986). وقد أفادت بهذه المعلومات أثناء مقابلة، أجريت معها بالإضافة إلى السيدة «سامية ناصر خوري»، في فندق الأمبسادور بالقدس في 2014/10/10م.

أولًا: تحترم الوقت، وتحافظ على كل لحظة تمر لكي تستثمر في صالح العمل والبناء، كما كانت دقيقة جداً في مواعيدها؛ لأن الوقت عندها ثمين، ولا يمكن المجازفة به.

ثانيًا: الجرأة والوضوح في العلاقات مع الآخرين، فقد كانت تتمتع بشخصية قوية، صلبة، جريئة ولا تخشى من قول الحق، لدرجة أنها كانت تعبر عن شعورها بصراحة، وتشير الأحداث إلى أنها كانت السيدة الوحيدة التي تدخل المحاكم الأردنية، وقد قيل أنها كانت تفرض هيبتها على القضاة وعلى أعضاء المحكمة .

ثالثًا: تضفي أجواء من الفرح والسرور الدائمين؛ فإلى جانب الجدية العالية التي تتمتع بها، كانت تتمتع بضحكة مجلجلة، تبدد الصمت وتريح خاطر العاملين معها، وتعالج الأزمات تحت شعار المحبة والتسامح.

كما كان شرطها لتوظيف المعلمة أن تكون بشوشة أولًا، وتطالب أي شخص يعمل في المؤسسة، بأن تبقى الابتسامة على وجهه؛ وتبرر ذلك بالقول: الشخص غير السعيد يعجز عن حل مشاكل الآخرين. وتوصي مديرة المدرسة (سلوى زنانيري)[7]، بالقول: لا توظفي من ليس سعيداً في بيته؛ لأنه أعجز من أن يعالج مشاكل الأطفال.

رابعًا: لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد، فقد كانت تصرّ على العاملين معها على عدم المغادرة قبل معالجة المشكلة التي بين أيديهم؛ لاعتقادها بأن التأجيل يعني التراكم غير المحمودة نتائجه.

خامسًا: كانت من حماة البيئة، وتؤمن بالنظافة، الكاملة والتامة، إيمانًا مطلقًا، دون أن تقبل بمبرر لعكس ذلك. فوجود ورقة في فناء المدرسة أو في أي مكان في محيطها، كان يعني أزمة حقيقية. وفي إحدى المرات، وأثناء وقوفي معها في ملعب المدرسة، جاءت الرياح بورقة هبطت في الملعب، فنظرت إليها نظرة تبريرية عن سبب وجود الورقة لما حصل، فباغتتني بضحكة جلجلت المكان حتى أضحكت كل من سمعها من العاملين في المدرسة.

7 عملت مع «إليزابيث ناصر» كمديرة لمدرسة روضة الزهور لمدة 20 عامًا (1966–1986)

قيل في «إليزابيث ناصر»:

الوجه الآخر؛ اجتماعيًا.. وما بين الجد والهزل

لا شك في أن الوجه الآخر للإداريين الأقوياء، ولقادة الفكر، والسياسيين وغيرهم، يثير الفضول لدى الناس العاديين، كي يتعرفوا عليه، ويحاولوا المقارنة بينه وبين ما يرون من ملامح تلك الشخصية، التي تركت فيهم الأثر الكبير لحد تغييرهم، أفرادًا وجماعات ومجتمعات.

أما بشأن «إليزابيث ناصر» أو «مس ناصر» أو «لزي»، فإنه من حسن حظنا أننا تعرفنا على السيدتين: سامية ناصر خوري، وسلوى زنانيري، اللتان عايشتاها وعاشتا معها، بحلو الحياة ومرّها، فبكتا معها دموع الألم والوجع، كما انهمرت من عيونهما دموع الفرح والمرح والسرور وهي تضحك وتضُحِك كل من حولها. وكما أن السيدة «سلوى» وضعت النقاط على حروف المدرسة التي كانت تديرها تحت إمرة «مس ناصر»، فإننا سوف نقتبس من السيدة «سامية ناصر خوري» ما وضعته من نقاط على حروف الحياة الاجتماعية والخاصة لـ «عمتها لزي»:

- كأية مديرة؛ لاقت «مس ناصر» إعجاب العدد الكبير من الموظفين، ولم تنسجم مع القلة منهم. ولكن خفة ظلها، التي كانت تتمتع بها، كانت تشفع لها بشأن الأضرار التي تلحق بمن تطاله يد صراحتها.
- كانت تعرف في المكتب والدوائر الرسمية «مس ناصر»، وأما الأصدقاء والعائلة فكانوا يختزلون اسمها إلى «لزي». وكان من أعز صديقاتها وزميلاتها في العمل الاجتماعي: السيدة زليخة الشهابي؛ مؤسسة ورئيسة الاتحاد النسائي العربي في القدس، والسيدة هند الحسيني؛ مؤسسة ورئيسة دار الطفل العربي. وكانت «لزي» عضوا في الهيئتين الإداريتين لهاتين المؤسستين حتى آخر أيامها. وعندما توفيت قالت عنها صديقتها هند الحسيني: «كانت لزي ناصر مدرسة بحد ذاتها وقد تعلمت منها الكثير.»
- كنا، أنا وأخوتي، نتبادل المزاح معلقين على «العمة لزي»: «كان الله في عون الذي تحبه والذي لا تحبه». فمن تحبه كانت تغمره بالمحبة، ومن لا تحبه لم تخف مشاعرها تجاهه. فقد كانت صراحتها محرجة، أحيانا، ولكن الكل كان يقبلها كما هي؛ لأنها إنسانة بكل معنى الكلمة، خدمت وأعطت من ذاتها، رغم هفواتها وعاشت حياة بسيطة ومتواضعة.
- كانت تعشق الأكل الطيب والحلويات، رغم أنها في سنواتها الأخيرة كانت مصابة

بالسكري ولكن هذا لم يمنعها أن تأكل القطايف أو الحلويات مع القهوة السادة. كما كانت تتطلع بشوق للنزهة في السيارة مع شقيقتها التوأم التي كانت تحضر من نابلس، لاصطحابها لزيارة الأصدقاء والأهل في رام الله وبير زيت. ومن حسن حظها أنها رحلت قبل إقامة الحواجز وبناء الجدار بين القدس والضفة الغربية.

- كما كانت تعشق الموسيقى والرقص. وحدثتني صديقة لها كانت تسكن طبريا عندما بدأت «العمة لزي» حياتها العملية هناك، بأنها كانت اجتماعية تحضر حفلات الرقص وتلعب التنس. وهذه الناحية من حياتها لم أعاصرها إذ كنت طفلة، ولكن لم أتعجب عند سماعها.
- ولعل في تلك السمات والخصائص لشخصيتها المميزة ما يجعلنا نفسر كيف فرضت على والدها أن يرسلها إلى الجامعة الأمريكية في بيروت، من دون أخواتها ولا حتى أختها التوأم. وكانت النتيجة أنها من أوائل الفلسطينيات اللواتي حصلن على شهادة جامعية.

«مس ناصر»؛ تبحث عن المحتاجين لتسد جوعهم وتزيل أوجاعهم

تقول السيدة «سامية ناصر خوري» في شهادتها بحق «إليزابيث ناصر»: أذكر ذات يوم كنت أوصلها إلى أحد فنادق القدس، وبعد أن أنزلتها قال لي البواب «هذه السيدة شفيعة المحتاجين». ولا أزال أذكر كيف كانت تجمع ما تبقى من أكل عند وجودها في المطعم وكانت من زبائن المطعم الوطني الدائمين. ولم تكن العادة في حينه أن يأخذ أحد ما تبقى من وجبات الطعام، كما هو الحال الآن. إلا أن العمة كانت تأخذ كل ما تبقى بما فيه الزيتون والخبز لفتياتها وللعاملات.

ولعل في «مازن نوفل»[8]؛ السكرتير العام للمعهد الفرنسي، ذلك المقدسي الذي انتشلته «مس ناصر» من بين ركام الفقر والعوز، واحدًا من النماذج التي تؤكد على مقولة السيدة سامية، إذ يقول:

- بدأت قصتي معها عندما كان عمري خمس سنوات حين كنت طالباً عندها في مدرسة وروضة الزهور، وقد سبقني عندها في المدرسة أختان وأخ. فقد كانت تمد لأسرتي، المكونة من عشرة أفراد، يد المساعدة، ولم تبخل علينا عندما أعفت والدي (رحمه الله) من أقساط تعليمنا جميعًا. ولم تتوقف عند هذا المستوى، بل أنها كانت تساعد والدي، وتساعدنا جميعًا في جميع أمور حياتنا المعيشية من مواد تموينية أو تعليمية أو ملابس. حتى أنها اهتمت بصحتنا وحافظت علينا، وأذكر جيداً أنه عندما كان يمرض أي من

8 تمت مقابلته في 7 تشرين ثاني، 2014 في شارع صلاح الدين بالقدس.

أفراد أسرتنا، كانت تطلب من مديرة المدرسة (السيدة سلوى زنانيري) أن تعطيني رسالة إلى الدكتور أمين الخطيب حيث كانت عيادته في البلدة القديمة طريق الآلام لكي يعالجنا مجاناً. وهذا لم يكن حال أسرتي فقط، وإنما كانت تهتم بالكثير من العائلات المستورة مثلنا.

- عندما أصبحت في الصف الخامس الأساسي، وبعد أن غادر مراسل المدرسة عمله، قررت توظيفي في المدرسة فتسلمت مفتاحي المدرسة والبريد، وأصبحت أتابع احتياجاتها، فكنت في الصباح الباكر؛ وقبل بدء دوامي المدرسي اشتري لها أغراضها من مأكولات وسجائر. وبعد انتهاء دوامي المدرسي أتوجه إلى البريد واحضر المراسلات ..
- بعد أن أنهيت الصف السادس التحقت بمدرسة دار الأيتام في البلدة القديمة (مسائي) حضرت دواما صباحيا عند اليزابيث ناصر ثم للمدرسة. وبعد الثانوية وظفتني في المدرسة سنة 1985، حتى تاريخه.

ليست هذه هي نهاية قصة «مازن نوفل»، بل إنها بداية قصة حياة لنوفل وأسرته وأبنائه وأحفاده، عندما يبث فيهم تلك الأخلاق والطباع والعادات ومنهجيات الحياة التي تعلمها من «مس ناصر»، والتي يلخصها فيما يلي:

- يوماً ما أخَذَنا والدي في رحلة؛ فلم أتوجه إلى «مس ناصر» كعادتي. وفي اليوم التالي توجهت إليها فسألتني عن الأمس: أين كنت؟ وهي غاضبة من عدم حضوري، ثم هدأت من روعها، فتوجهت لي، ناصحة: عليك أن تحترم الموعد، وأن تكون قادراً على تحمل المسؤولية، فهذا مستقبلك ويجب أن تحرص عليه.
- في علاقتي اليومية معها، لم أشعر للحظة أنها مسيحية وأنا مسلم؛ لأنها كانت إنسانة قبل كل شيء.
- كانت تغرقني بالحنان والعطف، عندما كانت تدعوني إلى تناول الغداء الذي تكون قد اقتطعته من غدائها، أو زاد أثناء الغداء الذي تحضره لمناسبة ما في الفندق. وليس هذا وحسب، وإنما كانت تزود أسرتي بمتطلبات البيت الغذائية..
- لقد تعلمنا منها الأخلاق الرفيعة، وحسن التعامل مع الغير، والأسلوب الراقي لاحترام جميع من نتعامل معهم؛ بغض النظر عن الوظيفة، ومستوى التعليم وغيره، فهو إنسان قبل كل شيء.

الخاتمة

هذه هي «إليزابيث حنا ناصر»؛ الفلسطينية التي أضاءت كتابنا هذا بطيف واسع من القصص والحكايات المشبعة بالتحدي والقدرة على تجاوز الصعوبات. بدءًا من تلك الفتاة التي تصر على مغادرة حضن الأسرة للاغتراب؛ لتحقيق هدف سام وهو الحصول على شهادة يندر نظيرها، على مستوى الوطن في حينه، وانتهاءً ببناء مؤَسسة شامخة تؤدي رسالة وطنية في مواجهة التهويد الذي يهدد كل شبر في قدسنا العزيزة. مرورًا بتلك الإبداعات في مواجهة النكبة والنكسة، وإفرازات كل منهما وعذاباتها.

هذه هي «العمة لزي» التي تميزت بحياة صاخبة، سماتها الحب والحنان، وقوة الشخصية، والقدرة الإدارية الفائقة القائمة على احترام الوقت، والحرص على كرامة الإنسان.

هذه هي «مس ناصر» التي لم تتزوج ولم تنجب بضع أفراد كما تفعل النساء، وإنما أنجبت الآلاف ممن أصبحوا الآن -رجالًا ونساءً- يمتلكون ناصية العلم والمعرفة والثقافة، وقد شكلت لهم مربيتهم «مس ناصر» نموذجًا حيًا لقدسية العلاقة القائمة بين فسيفساء شعبنا، بمسلميه ومسيحييه، وعائلاته وطوائفه. تلك العلاقة الطيبة القائمة على الصدق والتفاني في خدمة الوطن الفلسطيني الحر الموحد.

هذه هي «إليزابيث حنا ناصر» المقدسية التي صنعت تاريخًا في مجال التعليم والثقافة والمعرفة والرعاية الاجتماعية، التي نعتز بأن نضمها إلى زملائها الآخرين من المقدسيين الذين صنعوا تاريخًا في قدسهم؛ إلى جانب السياسيين والتربويين والأطباء والمهندسين... الخ، والذين أبقوا على شعلة القدس العربية متّقدة، رغم الرياح العاصفة التي سلطها عليها الأعداء، ليبقوا هم نماذج تعتز بهم الأجيال المقدسية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

مقدسيون صنَعوا تَاريخاً

د. أمين صالح مجج

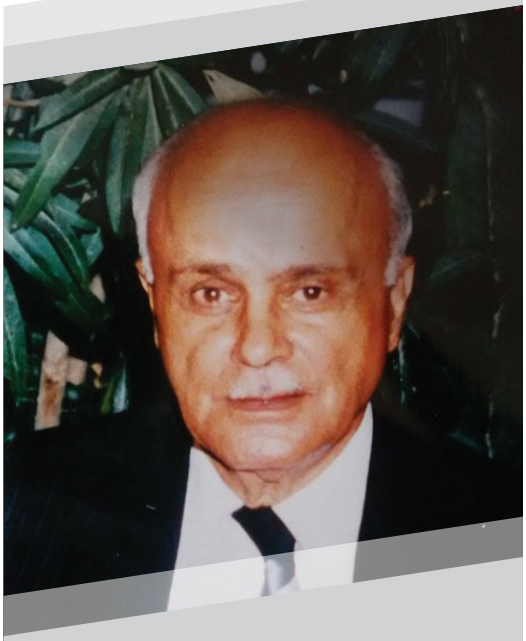

صورة فوتوغرافية للدكتور أمين صالح مجج

مقدمة

منذ اللحظة الأولى التي شرعنا بالتخطيط لكتاب «مقدسيون صنعوا تاريخًا»، ذُكر اسم «د. أمين مجج» كواحد من أولئك الذين يجب ذكرهم والتحدث عنهم وتعداد مناقبهم، ولأنه لا يوجد معرفة سابقة معه من قبل كلا المؤلفيْن، فقد استغرقت وقتًا طويلًا حتى توصلت إلى «الكتف» التي نأكل، بل نلتهم منها بيانات وبيّنات «د. أمين مجج». وكانت مبرّة الأميرة بسمة هي المدخل للحصول على هاتف بيته. فكان اتصالي الأول مع «مدام بيتي»، في 7/10/2014، حيث شرحت لها فكرة الكتاب وأننا مهتمون بأمر « د. أمين مجج « ؛ كشخص مقدسي بنى في القدس وعَمَر فيها ما يحفظ لها عروبتها، ويحميها من تهويد قادمٍ لكل فراغ تركناه لهم.

أبدت السيدة «بيتي» تعاونًا واهتمامًا، واستعدادًا لتوفير ما يلزم من أوراق ووثائق، وزودتني بالبريد الالكتروني لابنتهما «أ. لينا» لكي أرسل الرسالة التي توضح منهجية الكتاب والمعلومات المطلوبة حول كل مقدسي وقع عليه الاختيار للكتابة عنه.

وهذا ما حصل بالفعل؛ فقد توجهت «مدام بيتي» إلى حيث يعمل الصديق «نبيل دعنا» في شارع صلاح الدين، فأودعت عنده ما توفر بين يديها من وثائق، كالسيرة الذاتية، والمقابلات الصحفية التي أجريت معه، وأوراق علمية وبحثية مرتبطة باسمه أو هو مذكور فيها. وبعد الاطلاع على تلك الوثائق، تم عقد لقاء في منزل الأسرة في القدس، بتاريخ 24/10/2014، حضره إلى جانب السيدة «بيتي» نجلاها: د. صالح وأ. لينا.

لقد كان ذلك اللقاء هادئًا فيه الكثير من الفرح؛ عند الحديث عن انتماء «د. أمين مجج» لوطنه وأسرته وقومه والإنسانية جمعاء، وفوق كل ذلك انتماؤه لذاته التي عَرف، من خلالها، كيف يعطي ويجزل العطاء، وكيف يأخذ، شاكرًا، ويقل الأخذ. كما كان في ذلك اللقاء الكثير من الحزن؛ عندما تستذكر خسارة القدس لفارس من فرسانها الذي عمل بجد واجتهاد، ووصل الليل بالنهار وهو يذود عن عروبتها: بإسلاميتها ومسيحيتها. كما يحزنك أنه غادر وفي نفسه غصة من طموحات وأحلام ورؤى كان يخطط لها، بإبداع وتفانٍ منقطع النظير.

لم يتوقف التواصل عند هذا الحد، ولم ينته عند ذلك اللقاء، بل أخذت الآنسة«أ. لينا أمين مجج» تنقب بين ثنايا الذاكرة والذكريات؛ لتكتشف في كل مرة شيئًا فتسارع بإرساله، عبر البريد الالكتروني؛ لكي نستثمر أية فرصة للغوص في البحر العميق من الأثر والآثار التي حفرها «والدها/ د. أمين مجج» في ذاكرة القدس: مكانًا، وزمانًا، وتاريخًا، وإنجازات، فكانت ترسل كل ما يقع بين يديها من وثائق ومقابلات، وكل ما «يلمع» في ذاكرتها من عبارة

سمعتها منه، أو سمعتها عنه، ومن نكتة قالها ببديهيته التي كان يتمتع بها، ومن رأي قاله، في لحظة، ما لأحد ما.

هكذا؛ تمت اللوحة الفنية الجميلة التي نسجناها في هذا الكتاب لـ «د. أمين مجج»، طرزة طرزة، ولونًا لونًا، ونحن نحفظ -لمن ساعد وقدّم -الفضل، بعد فضل الله علينا ومنّته في نجاح هذا العمل.

د. أمين صالح مجج (١٩٢١-١٩٩٩)

طبيب أطفالٍ بارع.. سياسيٌ منتم لوطنه وأمته.. مهنيٌ الى حد انتقاده «اللاذع» لذاته قبل انتقاد غيره.. إنسانٌ عربيٌ فلَسطينيٌ دافع عن وطنه دفاع الأبطال.. بنى مؤسسات مقدسية؛ فأتقن البناء والإدارة، حتى ضمن ديمومتها، وها هي شامخة «تلهج» باسمه على روابي القدس.. مسيحيٌ ذاد عن المسجد كما ذاد عن الكنيسة، عرف القرآن كما عرف الإنجيل، آمن بحرمة التنازل عن الأقصى، كما آمن بالدفاع عن القيامة بالنفس والمال والولد.. ومن أجمل ما قيل فيه: «عدا خبرته في الشؤون الصحية فانه لعلم من أعلام الأدب والسياسة والاجتماع. بل أنه زهرة من زهرات المجتمع الاردني الفائقة العبير».

سيرة حياته

أولًا: المولد-النشأة-التعليم:

تشير السيدة بيتي؛ زوجة «د. أمين صالح مجج» إلى أن رجلًا قابله في العام 1964، أكد له أن أصله من عائلة مجج المسلمة باليمن، وقد هاجرت من اليمن إلى سوريا. كما أفادت كريمته «لينا» بأن فرع العائلة المسلم من سوريا قد حضروا إلى عمان وتعارفوا إلى عائلة مجج المسيحية بالأردن. أما من جهة أمه فقد أشار «د. أمين مجج» نفسه إلى أن جده لأمه «الدكتور فيليب»؛ هو طبيب من أصل لبناني جاء إلى فلسطين ليعمل فيها بعد إنهاء خدمته في السودان[9].

9 ورد ذلك في الحلقة الأولى من مقابلة أجريت مع «د. أمين مجج» في صحيفة النهار، بتاريخ: 1991/04/8،

- ولد «د. أمين مجج» في رام الله بفلسطين، في العام 1921.
- تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدرسة «المطران–القدس»، وتخرج فيها في العام 1938؛ في عهد الانتداب البريطاني، حاصلًا على شهادة «متركليشن».
- التحق سنة 1938، بكلية الطب في الجامعة الأمريكية في بيروت
- أكمل تعليمه العالي في الطب في الجامعة الأمريكية ببيروت، فحصل على شهادة الطب من تلك الجامعة عام 1945.
- عاد في العام 1947 إلى القدس، وافتتح عيادته الطبية في شارع ماميلا المعروف بإسم «شارع مأمن الله»، فكان قرار التقسيم في العام 1947 ثم النكبة في العام 1948؛ فاضطر إلى نقل عيادته إلى بيته (الحالي) في باب الساهرة في شرقي القدس[10].
- تخصص في طب الأطفال في جامعة لندن، فتخرج فيها في العام 1954، بمستوى دبلوم في طب الأطفال.

ثانيًا: المناصب التي شغلها[11]:

- عضو مجلس أمانة القدس، خلال الفترة (1950–1964).
- كما اشغل منصب نائب أمين القدس، ثم أمينا للقدس بالوكالة.
- عضو بلدية القدس وأمين القدس على فترات متقطعة منذ العام 1950.
- عضو مجلس النواب الأردني (عن القدس)، خلال الفترة: 1967–1988.
- شغل في العام 1957، في حكومة د. حسين فخري الخالدي، في المملكة الأردنية الهاشمية، وزيرًا لثلاث وزارات في آنٍ معًا، هي: الصحة، والإنشاء والتعمير، والشؤون الاجتماعية.
- شغل في العام 1964 منصب وزير الصحة في حكومة المملكة الأردنية الهاشمية برئاسة بهجت التلهوني.
- المدير الطبي لـ «مستشفى المطلع في القدس»، خلال الفترة (1977–1990).

ص: 7.

10 الحلقة الأولى من مقابلة أجريت مع «د. أمين مجج» في صحيفة النهار، بتاريخ: 1991/04/8، ص: 7.

11 هناك بيانات تم الحصول عليها من خلال الحلقة الأولى من مقابلة أجريت مع «د. أمين مجج» في صحيفة النهار، بتاريخ: 1991/04/8، ص: 7.

- ورئيس قسم الأطفال في مستشفى المطلع في القدس، خلال الفترة: 1950–1990.
- في جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في القدس: رئيس قسم الأطفال (1970–1985)، مدير مستشفى المقاصد الخيرية الإسلامية (1977–1982).
- نائب رئيس مجلس الإدارة في المستشفى العربي الأهلي/ غزة.
- نائب رئيس مجلس الإدارة في المستشفى الإنجيلي العربي/ نابلس.
- رئيس المجلس الأعلى لجمعية الشبان المسيحية بالقدس.
- نائب رئيس جمعية المشروع الإنشائي العربي– القدس/ أريحا، خلال الفترة (1950–1991).
- عضو مجلس إدارة لجنة اليتيم العربي–القدس.

آثاره العلمية:

درس «د. أمين مجج» الطب إرضاءً لوالدته، وكان والده يريده أن يدرس التجارة، أما هو نفسه فكان يرغب بدراسة الموسيقى والفيزياء. وقبل إتمام متطلبات التخرج بفترة وجيزة قال له والده: «كم كنت مخطئا! ها أنا سوف أراك طبيباً عن قريب! «ولكن أمنية الوالد لم تتحقق؛ فقد توفي قبل تخرجه بشهرين.

لم ينزوِ «د. أمين مجج» بعد تخرجه، في عيادته؛ كي يلتقط الأموال من أيادي مرضاه ومراجعيه، وإنما انطلق طبيبًا-باحثًا؛ يفتش عن الحقائق العلمية، فيقيمها ويعدلها ويصوّبها، عبر مقالات في المجلات الطبية في الولايات المتحدة وألمانيا وبريطانيا. وأما موضوعات مقالاته تلك فكانت حول: فيتامين (هـ) E، سوء التغذية، فقر الدم، السلينيوم والكروميوم. أي أنها من الموضوعات ذات المستوى العلمي المتقدم.

وفي ذلك الشأن يصفه قليلات (1965) بالقول[12]: يعتبره المراقبون المدققون فلتة من فلتات رجال العلم في الأمور الصحية الحديثة. إنه تجددي بالمعنى الواسع لتلك الأمور. وهو من العاملين، بإخلاص وحماس، من أجل إلحاق بلاده بعجلة الارتقاء في أوضاعها الصحية، بحيث تصبح قادرة على مجاراة التطورات العلمية الصحية الحديثة والاندماج بروحها.

12 قليلات، كمال (1965). السجل الذهبي اللُبناني الأردني العربي الدولي الممتاز. مكتب النشر العربي–الدولي. بيروت، لبنان. ص: 36–38.

وعند البحث في الأوراق العلمية وأبحاث «د. أمين مجج»، وجدت فيها الكثير، مما يحتاج إلى القراءة والتحليل، إلا أن زميله ورفيق دربه «د. أنور دودين» نشر مقالاً في مجلة القدس الطبية، العدد الثالث، أيار 2014، بعنوان: الدكتور أمين مجج رائد طب الأطفال والبحث العلمي في فلسطين. أكد فيها أن «د. أمين مجج» تعامل مع الطب كمهنة وكحياة، ومصدر الهام دائم. وفي ممارسته للطب تمكن من العمل، بشكل يجعل الممارسة اليومية متصلة بالبحث، دون أن يضع حدودًا بين العمل اليومي الجاد، بكل صفاته الإنسانية من رفع للمعاناة، والبحث العلمي الرصين، والتعلم الدائم لنقل المعرفة للآخرين. واستعرض د. دودين أهم منجزات «د. أمين مجج» في المجال العلمية بالنقاط التالية:

أولا: تأسيس تخصص طب الأطفال في فلسطين: فقد كرس نفسه لهذا التخصص، في وقت كان كثيرون يعتبرونه فرعا صغيرا وغير متميز عن الطب العام. ولا يعتبر «د. أمين مجج» رائدا فقط، لكونه أول طبيب أطفال في البلاد، ولكن لإضافاته المنهجية في ممارسة هذا التخصص نفسه، منها:

- عمل على تأسيس معظم أقسام الأطفال في حينه ووضع معايير علمية وعملية، متفقة مع الواقع المحلي من خلال عمله.
- ساهم في وضع اللبنات الأساسية في إيجاد الممارسة المحلية وإنتاج المعرفة وتداولها محليا.
- نظم مؤتمر طب الأطفال لدول البحر الأبيض المتوسط في القدس في أواسط الستينيات، ويعد ذلك تقديرا واعترافا من الهيئات الشبيهة في العالم بدوره الرائد.

د. أمين مجج في استقبال الملكة زين في افتتاح الاتحاد النسائي بالقدس

ثانيا: الأبحاث العلمية والدراسات: فقد بدأ «د. أمين مجج» نشر الأبحاث السريرية، المتعلقة بطب الأطفال، منذ أواسط الخمسينيات في دوريات الجمعيات المصرية واللبنانية. وقام بنشر العديد من الأبحاث مع فريقه وبعضها بمشاركات دولية في الدوريات العالمية، وكان آخر بحث نشر له في عام 1968. وقد تمكن هذا العالِم، رغم الظروف الصعبة والإمكانات القليلة، الإسهام في الإنتاج العلمي المعرفي على مستوى مشهود، من خلال ربط الطب بواقعه المحلي والوصول بالبحث إلى أفاقه الرحبة والأساسية. وبالنظر إلى تلك الأبحاث، خرج د. دودين بالملاحظات التالية:

- ارتبطت أبحاثه بالظروف الموضوعية لجمهور الأطفال الفلسطينيين، والذي كان يعاني من سنوات الخمسين بعد النكبة وبخاصة في المخيمات من سوء التغذية وأمراض فقر الدم، مما يعبر عن الارتباط الشديد لهذا الباحث بظروف مجتمعه، ويضفي عليه صفة المؤسس في طريقته ومدرسته.
- قادت هذه الأبحاث إلى متابعة البحث العلمي الأساسي في مجالات غير مطروقة في حينه، أهمها: دور فيتامين (ه) في فقر الدم؛ مما كان له تداعيات متتالية حول دور هذه المادة في مختلف أفرع الطب، وما زالت مجال بحث حتى الآن.
- كان له مساهمة في دور مادة الكرومين في التمثيل الغذائي للسكر وسوء التغذية.
- أدت هذه الأبحاث، وبطرق منهجية منظمة مترافقة برغبة شديدة لدى الباحث في الدقة والبعد عن التقريب، إلى إدخال تقنيات مخبريه متطورة جدًا، في حينه، إلى البلاد من بينها أولى الاستخدامات للنظائر المشعة في التشخيص والعلاج.
- كما أنه أول من اكتشف نوعًا جديدًا من أنواع فقر الدم (macrot) بين اللاجئين الفلسطينيين
- كما أن جميع الأوساط الطبية والعلمية العالمية، تناقلت بشغف أبحاث «د. أمين مجج»، والتي ما زالت تُدرس حتى الآن في كتب طب الاطفال[13].
- ولا بد من الإشارة إلى أن «د. أمين مجج» كان يعتز بإنجازاته العلمية، رغم أن حرب 1967 خذلته؛ ومنعته من الاستمرار بالبحث العلمي، ولكنه سرعان ما تغلب على الإحباط، وزاول مهنته واستمر في العطاء رغم الصعاب إلى أن توفي عام 1999 [14]، كما

13 وردت هذه العبارة على موقع مستشفى المطلع. انظر: http://www.avh.org/arabic/date/date.html (أمكن الحصول عليه في 2015/02/03)

14 ورد ذلك في رسالة من الآنسة «لينا أمين مجج».

أفاد نجله «د. صالح» أنه في العام 1967 تم قصف الطابق العلوي الذي يضم مختبر قسم الأطفال في مستشفى المطلع، كما تم تدمير قسم الأطفال، كاملًا، في هذا الطابق.

آثاره الإدارية:

أجمل ما في المرء أن يتحدث عنه معاصروه ومن عايشوه؛ ممن عملوا معه في المؤسسات المختلفة على المستوى الإداري بعد وفاته، وانقطاعه عن الدنيا، وانقطاع تأثيره عليهم، وتلاشي مهابة حضوره بينهم. وهذا ما وجدته في الذين تحدثوا عن «د. أمين مجج» أثناء الإعداد لهذا الكتاب. فلم أقرأ، للحظة، بين أسطر حديثهم أنهم تخلصوا من «دكتاتوري» أو «قمعي»، بل أنهم أجمعوا على أنهم افتقدوا إداريًا ناجحًا، مبدعًا، مواكبًا لروح العصر، ومتابعًا لآخر ما توصلت إليه الحضارة الإنسانية. فأدلى كل من قابلتهم بدلوه، حتى صمموا لوحة إدارية تتكون من فسيفساء «د. أمين مجج» الجميلة الوضّاءة التي تصلح لكل العصور والأزمان، منها:

أولًا: وصفه قليلات (1965) بأنه[15]:

- وضع حدًا للاستهتار بأعمال هذه الوزارة (الصحة) الكبرى أو التلاعب بمصالحها؛ بما استصدره من تشريعات صحية إنسانية, كلها جرأة ونضوج في تقدم البلاد الصحي العام حيث أصبحت المملكة الأردنية الهاشمية من أرقى البلاد العربية في شؤونها الصحية.
- لقد كانت هذه النظم من التقدمية بحيث جعلت للوزارة مورداً كبيراً في الميزانية العامة، ضَمِن لها الحد الأدنى من الوفرة المادية في التطبيب الصحي المجاني, تلك الكفاءة التي تقوم في سبيل الكرامة الإنسانية، وفي سبيل قيام مجتمع صحي نظيف.
- لقد كان من آثار هذه الوثبة التطورية الصحية أن ارتفع المستوى الصحي في المجتمع الاردني واستؤصلت، من معظم أفراده، أسباب المرض والهزال والضعف من جذورها.
- إنه يشرف على كل شاردة وواردة في وزارة الصحة الأردنية، وان هذه الوزارة في عهده تقوم بعبء ثقيل جداً, فهي تقوم اليوم بتحسين الحالة الصحية في الأرياف والمدن، وتقوم بفتح مستشفيات جديدة للجراحة والولادة وبخاصة لطب الأطفال الذين هم

15 قليلات، كمال (1965). السجل الذهبي اللُبناني الأردني العربي الدولي الممتاز. مكتب النشر العربي–الدولي. بيروت، لبنان. ص: 36–38.

زهرات المجتمع الأردني. وهناك أيضاً المستشفيات والمستوصفات الحكومية المجانية، التي تداوي وتساعد المرضى الفقراء المحتاجين إلى الأدوية والعناية الصحية.

ثانيًا: يقول «عيسى عليان» في وثيقة مكتوبة، استلمتها من مدام «بيتي مجج»، بتاريخ: 24/10/2014م:

- عملت مديرا لمكتب «د. أمين مجج»، عندما كان رئيساً لقسم الأطفال في مستشفى المقاصد الخيرية الإسلامية. وأعتبرُ هذه الفترة مميزة في حياتي العملية؛ كوني عملت مع مدير له خبرة إدارية عميقة؛ كوزير للصحة في الحكومة الأردنية مرتين: الأولى عام 1957 والثانية عام 1964، بالإضافة إلى أنه عضو في أكثر من مؤسسة صحية واجتماعية، ونائب في البرلمان الأردني.
- له يد بيضاء في تطوير المستشفى من الناحية الإدارية، واستقدام كفاءات جديدة ، وتحديث الأقسام وتزويدها بأجهزة طبية حديثة. وقد تم تغيير أسرّة المستشفى، في عهده، بأسرّة جديدة صناعة فرنسية، وتطوير المختبرات الطبية في المستشفى، وتزويدها بأجهزة حديثة وتعيين مديرة للمختبر تحمل شهادة دكتوراه في تخصص المختبرات الطبية من أمريكا؛ وهي «د. عائدة نور الدين».
- أثناء مرافقتي له، طيلة تلك السنين، علمت منه أنه أثناء عمله كوزير استطاع أن ينقل الوزارة من الإدارة التقليدية (Traditional Management) إلى الإدارة الحديثة، ونقل مديري الدوائر وأعاد توزيعهم على محافظات أخرى، وكان حريصا على تعيين الكفاءات آخذًا بعين الاعتبار أن يكون الموظف المناسب في المكان المناسب.

«د. أمين مجج»: شخصية متعددة الأبعاد: إداريٌ معاصر.. مهنيٌ-أخلاقيٌ.. وفيه من خصائص العالم «ابن سينا»:

تقول «أ. لينا مجج» بأن «د. أمين مجج» عشق الموسيقى وألف فرقة موسيقية، وهو ما زال طالبا في المدرسة بعمر 16 عامًا، وكان يعزف على الكمان، وفي أحيان كثيرة كانت ابنتاه (لينا وهالة) ترافقانه على آلة البيانو[16]. كما ويصفه قليلات (1956) بالقول[17]:

- وجه صبوح مشرق تتدافع الحيوية من قسماته ويفيض بمعاني الذكاء والفطنة.

16 المصدر: رسالة خطية من الآنسة «لينا أمين مجج».

17 قليلات، كمال (1965). السجل الذهبي اللُبناني الأردني العربي الدولي الممتاز. مكتب النشر العربي-الدولي. بيروت، لبنان. ص: 36-38.

- يحمل ثقافة عميقة واعية، مستمدة من مطالعات واسعة، مثالية، متنوعة، ثقافة جعلت منه عنصراً أساسيًا في توجيه ركب الحضارة التطورية العلمية الصحية. يضاف إليها مؤهلات وخصائص طبية علمية اعترفت له بها الاوساط الطبية والصحية.
- له ايضاً في الحقل الادبي، والانتاج الفكري الاجتماعي جولات واسعة موفقة.
- عدا خبرته في الشؤون الصحية فانه لعلم من أعلام الأدب والسياسة والاجتماع. بل إنه زهرة من زهرات المجتمع الاردني الفائقة العبير.

كما أفاد د. دودين[18] بأن «د. أمين مجج» كان إلى جانب مهنته في الطب وأبحاثه العلمية، مهتمًا بالنواحي الاجتماعية والموسيقية والسياسية، فكان شخصية متميزة تملأ مكانها الاجتماعي والوطني والمهني. ويقول «د. دودين»:

> **«يذكرني «د. أمين مجج»، في سيرته، بالعالم ابن سينا، الذي عاش عصره؛ طبا وعلما وسياسة، حتى الرمق الأخير، ولكن قيل عنه دائما انه لم يطأطئ رأسه لأمير.»**

ثم يدعو د. دودين إلى اعتماد شعار:

> **«أمين مجج في تاريخ الطب الفلسطيني رفع راية المهنية الحقة ولم يطأطئ رأسه لأمير».**

ومما يعزز هذا القول، تلك المواقع والمناصب التي تقلدها، والتي تتسع لتغطي النواحي المذكورة. الأمر الذي يجعلنا نتوقف، بالتشخيص والقراءة والتحليل والاستنباط والاستنتاج، لسلوكات هذا القائد وخصائصه الشخصية وسماته التي مكنته من الانتقال من نجاحٍ إلى نجاح حتى الرمق الأخير من حياته، منها:

الصدق في العمل ونظافة اليد: فقد قدم الخدمة الاجتماعية والمهنية بشكل نظيف وعال في المناصب التي شغلها. وترفع وبذوق رفيع أن يمد يده لقاهري شعبه في كل الظروف. في ظروفنا الصعبة والمعقدة من العسير أن يتعرض الإنسان لهذا الكم من الحياة العامة ويبقى بإجماع من عرفوه مثال الاستقامة[19]. وتشير كريمته «أ. لينا مجج» إلى ذلك بالقول: لم يكن «د. أمين مجج» متديناً، بالمعنى الحرفي، وكان يذهب إلى الكنيسة فقط في المناسبات. لكن

18 د. أنور دودين (2014). الدكتور أمين مجج رائد طب الأطفال والبحث العلمي في فلسطين. مجلة القدس الطبية، العدد الثالث، أيار 2014.

19 د. أنور دودين (2014). الدكتور أمين مجج رائد طب الأطفال والبحث العلمي في فلسطين. مجلة القدس الطبية، العدد الثالث، أيار 2014.

حياته وعمله كانت بمثابة صلاة متواصلة فآمن بمبادئ وقيم وأخلاق الدين واهم فضيلة عنده هي المحبة التي كانت تتجلى في كل أعماله. كما آمن بروعة الخليقة والتي تجلت له من خلال العلوم.

1. أخلاقياته العالية: فجميع من عمل مع «د. أمين مجج» يؤكد على أنه كان يتمتع بقدرة عالية على توفير أجواء الاحترام المتبادل بينه وبين من يعمل معه. تعامل مع زملائه بمنتهى الأخلاق العالية.

يؤكد د. أنور دودين أن مهنية «د. أمين مجج» لم تكن قابلة للتفاوض، فكان يعرف كيف ينسحب بهدوء وحزم عندما لا يروق له شيء، ولا يستطيع تغييره. فأعطى، بذلك، مثالا واضحًا ونموذجًا حيًا لزملائه من الأطباء الآخرين. ومن أجمل ما قيل فيه: أنهت (وزارة الصحة) في عهده أسطورة تحكم بعض الأطباء بالمرضى من أبناء الإنسانية المتألمة.

1. التواضع: إذ لم يحدث أن «د. أمين مجج» قد استكبر بعلمه وبمنصبه على أبناء شعبه، وإنما كان يبذل جهودًا حقيقية لإسعاد المواطنين وتلمس احتياجاتهم، دون أن يُشعرهم بمنة أو فضل، لإيمانه بأن واجبه الأخلاقي والوطني يتطلب منه أن ينزل لمستوى مواطنيه الذين ينظرون إليه نظرة أمل وتفاؤل ومحبة واحترام.

«د. أمين مجج»: الطبيب الإنسان:

تقول الآنسة «لينا مجج»: لقد اختار «د. أمين مجج» مهنة طب الأطفال الذين أحبَّهم، وكان عندما يعود إلى البيت يتحدث عنهم بعاطفة فائقة وابتسامة تنير وجهه. ويعزز ذلك «ماهر العلمي»[20]، بقوله:

> **«اشتهر»د. أمين مجج» بحنانه الأبوي الصادق في أداء رسالته الإنسانية، حتى أصبحت الأمهات، من بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، يحملن أطفالهن إلى عيادته المتواضعة؛ وكلهن ثقة بأن بين يديه البلسم الشافي لفلذات أكبادهن. وأن شهرته هذه تصاعدت واخترقت حدود الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية، حيث أضحى مثار إعجاب الجميع، وكانت كل أم تزهو بأن طفلها شفي بمشيئة الله وببراعة هذا الطبيب الخبير الإنسان.»**

كما أن إنسانيته كانت تفيض حتى على الأعداء؛ فأثناء حرب 1948 أنقذ حياة رجل يهودي

20 انظر: المجلة الطبية الفلسطينية. مقابلة: أجراها ماهر العلمي.

وجده ينزف في الطريق وأخذه إلى بر الأمان، كما قام بإنقاذ حياة رئيس الأساقفة البريطاني في القدس آنذاك، وكان جريحا ونقله تحت الخطر إلى مستشفى قريب وأراد ملك بريطانيا آنذاك تقليده وساما تقديرا لجهوده ولكن د. مجج رفض ذلك قائلا انه قام بواجبه؛ فعرض حياته للخطر إخلاصًا لقسمه كطبيب بأن ينقذ الحياة بغض النظر عن الدين أو العرق[21].

وأما بالنسبة للمرضى، فكان أحياناً يشخص المرض من نظرة، إلا أنه يُتبِع ذلك بفحص كامل ودقيق في كل مرة. وعندما يكون المريض فقيرًا، يعفيه من تكلفة الفحوصات كاملة، ثم يزود المريض بحاجته من الأدوية مجاناً، لذلك لُقِّب «طبيب الفقراء»[22].

كما كان يتمتع بـ «سرعة البديهة»، التي مكنته من فهم الناس وطباعهم؛ كفهمه للمرضى الذين كان يعالجهم. وقد ضحى كثيرًا، لشعبه، وأعطى دون حساب؛ فكان كريماً، معطاءً، يحب الفقير ويشفق على المحتاج. وفي أثناء النكبة، في العام 1948، قام بإنشاء مستشفى في دير في العيزرية وتطوع فيه كل من زوجته الممرضة وأفراد عائلته (والدته وأخته وأخيه وزوجة أخيه) وقاموا بمعالجة المرضى وإسعاف الجرحى.

وفي تفاصيل هذا الموضوع أفاد «د. أمين مجج» في مقابلة مع المجلة الطبية الفلسطينية بأنه «نقل جرحى المجاهدين من مستشفى الهوسبيس إلى العيزرية، حيث حوّل مدرسة المسكوبية إلى مستشفى لمعالجة المصابين من الثوار، وقد انتشر في ذلك الوقت وباء الجدري وقام الفريق الطبي بحملة تطعيم. ثم انتشر التيفوئيد فقام الفريق بحملة تطعيم أيضًا».

وفي موضوع ليس ببعيد عن الأجواء الإنسانية–الوطنية المشبعة بها شخصيته، وعندما سُئل عن رأيه في مستوى وعي وانتماء الأم الفلسطينية وعنايتها بأطفالها، كان لـ «د. أمين مجج» رأي واضح ملخصه[23]:

الأم العربية، بصفة عامة، تهتم بأطفالها كثيرا، والحالات النفسية المنتشرة بين الأطفال في الغرب غير موجودة عند الأطفال العرب؛ والسبب أن القليل من الأمهات العربيات يعملن، في حين أن الأمهات الأوروبيات والأميركيات تبعدهن وظائفهن ومهامهن عن بيوتهن وأطفالهن. ويضيف نجله «د. صالح» بأن والده كان «يؤمن بأن وجود الأم في حياة طفلها هو جزء مهم جدًا من علاج الطفل[24]».

21 المصدر: رسالة خطية من الآنسة «لينا أمين مجج».

22 المصدر: رسالة خطية من الآنسة «لينا أمين مجج».

23 انظر: المجلة الطبية الفلسطينية. مقابلة: أجراها ماهر العلمي.

24 وقد قامت زوجته السيدة بيتي فيما بعد بتطبيق هذه المنهجية في علاج الأطفال في مؤسسة الأميرة بسمة؛ إذ كانت تشترط إدخال الأم مع طفلها خلال فترة العلاج.

- الرضاعة منتشرة في المجتمعات العربية خلال العام الأول للطفل، أما في الغرب فإنه، رغم حملات الإقناع، إلا أن الأمهات يرفضن إرضاع أطفالهن. وكما هو معروف «الإرضاع عنصر مهم في التكوين النفسي للطفل وتحصينه ضد الأمراض».
- كما أشاد بتجاوب الأم الفلسطينية مع نصائح وتوجيهات طبيب أطفالها، وبخاصة فيما يتعلق بالتطعيم، ونوعية التغذية؛ وذلك بفضل التعليم، والوعي، والتفرغ للعناية بأطفالها. كذلك الأمر بالنسبة للأم (الفلسطينية) العاملة، فإنها أيضًا واعية، وحريصة على رعاية أطفالها.

«د. أمين مجج»: الزوج المخلص.. الأب المتفاني وصاحب النكتة السريعة:

بقي «د. أمين مجج» وزوجته «بيتي» لمدة عشر سنوات دون أن ينجبا، وبعد أن قطع الأمل من الإنجاب؛ عندما عجز أشهر أطباء بريطانيا عن معالجة الوضع. لم يبق أمامهما إلا أن يتوكلا على الله فقط، فرُزقا بخمسة أطفال، توفيت الأولى منهم بعد أسبوعين من الولادة؛ بسبب خلل في القلب. فقال «د. أمين مجج»، حينئذٍ: هذا من حسن حظنا، أنا ووالدتها، إننا نعرف بأنها ماتت الآن إذ أنني، كطبيب أطفال، أعرف أنها لن تحيا اكثر من 14 عاما؛ بهذا الخلل في قلبها، وكنا، بسبب ذلك، سنموت كل يوم مئة مرة.

أما بشأن علاقته مع أسرته، فقد كان يتعامل مع أفرادها بروح الفكاهة، فكان يستمتع بسرد النكت، ويكررها، وكان يضحكهم في كل مرة. كان متعلقًا بالقراءة والمطالعة في الموضوعات العلمية والثقافية والفنية، فكان يجمع أبناءه، لمناقشة ما كان يطالعه حول هذه الموضوعات وكان يساعدهم في دروسهم، ويناقش معهم المشاكل التي قد تواجههم، رغم انشغاله المكثف في عمله[25].

ومن أجمل سماته تلك التي أوردتها ابنته «لينا»: «عند المرض، كان يعاني بصمت، وعند الفرح كان يشارك الجميع»، وعندما غلبه المرض في أيامه الأخيرة لم تفارق الابتسامة شفتيه[26].

25 المصدر: رسالة خطية من الآنسة «لينا أمين مجج».

26 المصدر: رسالة خطية من الآنسة «لينا أمين مجج».

أما بشأن النكتة وخفة الدم، فقد تمكنا من رصد المواقف المضحكة التالية:

- كان «د. أمين مجج»، وهو أشهر طبيب أطفال في المنطقة، يردد ما قال له والد طفل: «عقبال ما تصير طبيبا للكبار يوما ما يا دكتور، متمنيا له النجاح».
- وعندما تسلم ثلاث حقائب وزارية، مجتمعة، كان يردد نكتة: أنه في إحدى المرات وجه رسالة كوزير للصحة، إلى وزير الشؤون الاجتماعية (هو نفسه وزيرها)؛ متهما إياه وزير الشئون الاجتماعية بالتقصير في ناحية من نواحي عمل الوزارة، فإذ به يتسلم ردا من وزير الشؤون الاجتماعية أي من نفسه، قائلا: «التزم بعملك ولا تتدخل فيما لا يعنيك»!

يقول «د. مجج»: في العام 1948، وأنا في العيزرية أعالج الثوار، اشتهر اسمي في المنطقة. ففي يوم حضر شخص يسأل بلهفة: أين الطبيب.. أريده لحالة مستعجلة، فأجبته: أنا الطبيب فنظر اليّ باستغراب؛ حيث كنت أرتدي بنطلونا قصيراً، وغادر دون أن يصطحبني، قائلاً: أنت الطبيب؟ السلام عليكم.. وأتبعها بضحكة مجلجلة قائلًا: يبدو أن الطبيب يجب أن يكون دائماً مرتدياً البدلة![27].

«د. أمين مجج» القائد والسياسي:

يقول قليلات (1965)[28] «في «د. أمين مجج»:

لأنه من أجرأ العاملين في حقل التحرر من الأنظمة الرجعية البالية، تلك الأنظمة التي طالما تحكمت في عادات الشعوب وأخضعتها إلى ألوان من الظلم والعبودية[29]. ومما يؤكد على ذلك أنه منذ تخرجه في العام 1947، وعودته إلى القدس وهو يعيش همومها وآلام أهلها.

- إنه من أركان رجالات الأردن السياسيين، ومن القادة الوطنيين الكبار الذين لم يضنوا بأي جهد في سبيل تقدم ومصلحة بلادهم في جميع المجالات.
- إن معاليه من كبار رجال السياسة الذي شهدت الأوساط الرسمية والشعبية بعمله ومرونته وقوة شخصيته.

---

27 يفيد نجله «د. صالح» بأن البدلة كانت قلما تفارقه.

28 قليلات، كمال (1965). السجل الذهبي اللُبناني الأردني العربي الدولي الممتاز. مكتب النشر العربي-الدولي. بيروت، لبنان. ص: 36-38.

29 قليلات، كمال (1965). السجل الذهبي اللُبناني الأردني العربي الدولي الممتاز. مكتب النشر العربي-الدولي. بيروت، لبنان. ص: 36-38.

- أما «د. أمين مجج»، نفسه، فيقول في مقابلة له مع المجلة الطبية الفلسطينية: لقد حضرت جميع معارك القدس عام 1948 وكان الأطباء نادرين .. بعد أن وضعت الحرب أوزارها شكلت الحكومة الأردنية عام 1949 لجنة للقدس، فتم اختياري عضواً فيها، حيث اعترف الجميع بخدماتي ونشاطي خلال حرب 1948، وبعد ذلك جرت عدة انتخابات بلدية فزت فيها عضواً في المجلس البلدي, وقد انتخبني المجلس البلدي عدة مرات نائباً للرئيس. وفي كل تلك المراحل قمت بواجبي كطبيب ،ووفقت بين مهنتي وبين خدمتي لمدينة القدس ولمواطنيها؛ بصفتي نائباً لرئيس بلدية القدس، ونائباً لأمين القدس المرحوم روحي الخطيب، الذي أصبحت بعد رحيله أمينا للقدس.

د. أمين مجج في استقبال الملكة زين في افتتاح الاتحاد النسائي بالقدس

كان «د. أمين مجج» حازماً، شجاعاً ملتزماً بمبادئه وأهمها الصدق؛ فقد كان يمقت الكذب. ويروى أن المرحوم الملك حسين قال للدكتور حسين فخري الخالدي، عند تشكيله الوزارة: «انصحك بأن تعيّن امين مجج في وزارتك أولا، وبعد ذلك يمكنك اختيار من تشاء من باقي الوزراء». كما كان مقربا من الملك حسين، الذي كان يقول له: «اسمك أمين وأنت أمين»[30].

كما كان قائدًا قادرًا على الصبر والصمود عند الشدائد، ففي عام 1973، استقل طائرة أقلعت من مطار عمان متجهة إلى بيروت، وإذ بها تهوي إلى الأرض، بعد الإقلاع مباشرة؛ بسبب الحمولة الزائدة، وتدخل أحد البيوت، نظر فوقه فرأى سقف البيت؛ فأصيب الركاب

30 المصدر: رسالة خطية من الآنسة «لينا أمين مجج».

بالذعر وسال الوقود من الطائرة. ومن شدة الصدمة غفل الركاب عن فك الأحزمة، فقام «د. أمين مجج» بمساعدتهم في ذلك، وأخرجهم جميعا من الطائرة قبل أن يغادرها هو.

أما من الناحية السياسية، فقد كان صاحب رأي واضح في جميع القضايا المطروحة، على قاعدة عريضة وصلبة وواضحة من حيث حبه لوطنه، وإيمانه بالوحدة العربية، ومن أبرز الأمثلة على توجهاته السياسية[31]:

- ناضل من أجل استقلال لبنان، وهو طالب في كلية الطب في الجامعة الأمريكية في بيروت، وأصيب برصاصة في رجله في إحدى المظاهرات ونجا منها بأعجوبة إذ دخلت الرصاصة ما بين عظمتي الساق ولم تتسبب له بكسر.
- في عام 1956 قام بزيارة الرئيس جمال عبد الناصر مع المجلس البلدي للقدس بصفته رئيسا للبلدية بالوكالة، فهنأه بتأميم قناة السويس، وسلمه مفتاح القدس.
- قبل حرب عام 1967 انتُخب نائبا في البرلمان الأردني، ليمثل القدس وأريحا، وكان شعاره في الحملة الانتخابية: «أمين مجج حبيب الشعب» وكان فعالا في هذا المنصب ويحضر اجتماعات البرلمان، رغم الاحتلال، ولأكثر من عشرين عامًا؛ حتى عام 1988 عندما قطع الأردن علاقته الإدارية مع فلسطين، محتفظا بإدارته للممتلكات الإسلامية والمسيحية في القدس، الأمر الذي ترك فيه خيبة أمل.

«د. أمين مجج»: مقدسيٌ.. فلسطيني.. مؤمن بعروبة فلسطين ويعتز بأهلها:

عند حضور السلطة الوطنية الفلسطينية، أصدر المرحوم ياسر عرفات، في العام 1995، قرارًا بتعيين «د. أمين مجج» أمينًا للقدس، كما أعاد جميع أعضاء مجلس الأمانة الذين كانوا قبل حرب حزيران/ 1967 [32]. وما يعنيه ذلك من رمزية وطنية تغيظ الاحتلال.

وفي مقابلة صحفية معه أفاد «د. أمين مجج» أكد أن أمانة القدس كانت وما تزال حقيقة واقعة يمكن للفلسطيني المقدسي أن يتوجه إليها لحل مشاكله. ويجتمع مجلس الأمانة في مدينة القدس منذ احتلال إسرائيل للمدينة عام 1967، ويمارس هذا المجلس

31 المصدر: رسالة خطية من الآنسة «لينا أمين مجج».

32 صحيفة الرأي الأردنية، بتاريخ 1995/06/20م. ص: 48.

الإشراف على شؤون موظفيه حتى تاريخه، علمًا بأن فعاليات هذه الأمانة تعطلت بعد حرب حزيران عام 1967. وقد قام مجلس أمانة القدس بتاريخ 8/6/1995 بمقابلة سيادة الرئيس ياسر عرفات، حيث شرح الوفد لسيادته ظروف مجلس أمانة القدس ومتطلباته. وكانت توجيهات الرئيس عرفات بضرورة تفعيل وجود المجلس ووعد بمساندته ودعمه له، ماديًا ومعنويًا. وطلب سيادة الرئيس ياسر عرفات من أعضاء الوفد القيام بزيارته كل شهر للوقوف عن كثب ومتابعة مجلس أمانة القدس حتى يتحقق ذلك[33].

وفي مقابلة معه أجرتها «مجلة وطني، العدد السابع»، أكد «د. أمين مجج» على مواقفه السياسية الواضحة، منها[34]:

- مدينة القدس عربية وستبقى عربية إسلامية، ومصيرنا كمصير الشعب الفلسطيني المرتبط بجذورها. المسجد الأقصى عربي وكنيسة القيامة عربية، وهناك الجامعات والمدارس والمعاهد وعشرات المؤسسات والشركات والفعاليات العربية، كما أن الوجود العربي ثابت شرعا وقانونا وفق قرار مجلس الأمن الدولي 242 الذي يعتبر القدس أرضا محتلة.
- القوة معيار هام في فرض الأمر الواقع وان الواقع الحالي يفرض علينا أن نستمر في النضال من اجل تحقيق السلام العادل المبني على الحق والعدل والحرية، وقوة الشعب الفلسطيني تنبع من وحدة الأمة العربية والإسلامية.
- يمكن للفلسطينيين أن يزيدوا من مساحة الوجود العربي في مدينة القدس؛ بالعمل على استثمار الأموال اللازمة من خلال المشاريع الحيوية، وبناء المساكن والمصانع، وإيقاف تسريب بيع الأراضي والعقارات إلى الأيدي غير العربية، وإعادة بناء المدارس المحيطة بالمسجد الأقصى وداخل أسوار البلدة القديمة، والعمل على ترميم المساكن القديمة على أسس حديثة تقوي الوجود العربي والإسلامي.
- وذكّر «د. أمين مجج» بأن الإسرائيليين يقومون بصرف الملايين من الدولارات في إنشاء المدارس والمعاهد الدينية في البلدة القديمة على حساب الأملاك العربية والإسلامية؛

33 مجلة وطني، المجلة المركزية لقوات الأمن العام الفلسطيني. العدد السابع، السنة الأولى تموز-آب 1995. ص: 16.

34 مجلة وطني، المجلة المركزية لقوات الأمن العام الفلسطيني. العدد السابع، السنة الأولى تموز-آب 1995. ص: 16.

حيث تقوم، وبشتى الوسائل، بالعمل على الشراء والامتلاك أو الاستيلاء على الأملاك العربية داخل مدينة القدس وخارجها.

- إننا لا نعترف بضم مدينة القدس، وباعتقادي أن مدينة القدس مقسمة ومجزأة حاليا إلى قسمين: القسم الغربي والقسم الشرقي. وعندما نتحدث عن ذلك تقوم الحكومة الإسرائيلية بالرد بأننا نخالف القانون، وان العمل على تفعيل مجلس الأمانة يعتبر خرقا للقانون الإسرائيلي ولكننا ماضون ومصممون على تفعيل مجلس الأمانة بكل قوة وإصرار...
- الإسرائيليون يراهنون دائما على عنصر الوقت، وقد أمضوا أحد عشر عاما، أو تزيد، وهم يفاوضون المصريين على طابا، وليس بعيدا أن يكون في مخططهم التفاوض حول القدس على امتداد خمسين عاما أو ثلاثة أرباع قرن كاملة. من هنا؛ فإننا ندرك أن من الواجب أن نحارب من اجل القدس في كل مرحلة، بل في كل يوم وكل ساعة؛ لان الحقائق الساخنة في كل زاوية من زوايا القدس لا يمكن أن تستسلم للأمر وللعبة الساسة الإسرائيليين.

يتضح مما سبق أن «د. أمين مجج» صاحب رسالة وطنية واضحة، ومدركٌ، تمامًا، لحجم المؤامرة التي تتعرض لها فلسطين بشكل عام والقدس بشكل خاص. فها هو يشير، بل يحذر، بوضوح، مما تميز به الاحتلال، عبر تاريخه الطويل، من سمات الغدر والخداع والمماطلة. كما يتبين لنا أنه يدعو إلى التماسك التام بين أبناء الوطن الواحد والمدينة الواحدة «القدس»؛ بمسلميها ومسيحييها، وأنه لم يكن يومًا إلا مسيحيٌ يدافع عن الإسلام دفاعه عن حياته وعن أسرته.

ولعل في الإهداء التالي الذي تلقاه «د. أمين مجج» من رئيس الحرم الشريف؛ مصطفى خليل الأنصاري، خير دليلٍ على صحة هذا الاستنتاج ودقته، كما أن فيه رسالة للأجيال المتتابعة على هذه الأرض، بأنه لم تكن العلاقة بين مسلمي فلسطين ومسيحييها غير الود والاحترام المتبادل، والحرص الشديد كل على الآخر.

وعند وفاته، في كانون ثاني من العام 1999، أُعدت له جنازة مهيبة، كانت المرة الأولى التي يمر فيها العلم الفلسطيني (يغطي التابوت) في شوارع غربي القدس وصولا الى المقبرة؛ على جبل صهيون، وسط تهديد الاحتلال الإسرائيلي بعدم تنظيم السير أثناء الجنازة، لكن «د. أمين مجج» قاوم الاحتلال في حياته وفي مماته، ومشت الجنازة؛ يتقدمها فيصل الحسيني ووجهاء القدس في شارع نابلس. وفي غربي القدس حملت الكشافة إكليلا من الزهور، يحمل اسم الرئيس ياسر عرفات في شوارع القدس المحتلة وسط احتفال شعبي.

الخاتمة

هذا هو«د. أمين صالح مجج»؛ القادمة أجداده من اليمن السعيد، ليفيض في فلسطين سعادة، وينشر في الأردن هناءً. وقد حظينا به طبيبًا رسم الابتسامة على شفاه أطفالنا المتشققة ألمًا وجوعًا ووجعًا، ورسم الفرحة على محيّا أمهاتهم اللاتي كن يرين فيه البلسم الشافي. حظيت به البشرية، جمعاء، باحثًا يفتّش بين سطور الحقائق العلمية في طب الأطفال؛ ليعزز الصحيح، ويصوّب الخاطئ منها. فقدم إليه علماء طب الأطفال من جميع أنحاء المعمورة؛ لينهلوا من علمه ومعرفته وهو يتربع على عرش امبراطورية علمية بناها بجده وتعبه، وبمواظبة طلبته وإطاعتهم له؛ ربّان سفينة حط بها على شطآن البحث العلمي، بمنهجياته المختلفة.

حظيت به القدس؛ أمينًا على كل ذرة تراب فيها، أمينًا على المقدسيين وجودًا وهوية عبر سني عمره التي عاشها بين جنباتها قائدًا سياسيًا والكل يهتف «الدكتور أمين مجج حبيب الشعب»؛ عشقه المسلمون مسيحيًا يذود عن أقصاهم، وتعلق به المسيحيون قائدًا يرى في قيامتهم رمز كرامتهم الوطنية.

حظيت به المؤسسات المقدسية؛ إداريًا مبدعًا، متفانيًا في حماية مؤسسته والذود عن أهدافها أيًا كان ثمن ذلك، مواكبًا لروح العصر؛ فيحضر أحدث ما توصل إليه العلم لتكريسه لخدمة إنساننا وليوفر له سبل الراحة والطمأنينة، لا يخشى الرجل غير المناسب ولا يهاب جبروته وعنجهيته فلا يضعه في أي مكان.

حظيت به المملكة الأردنية الهاشمية؛ وزيرًا متعدد الأبعاد الفكرية، واسع المدارك، قادرًا على البذل والعطاء؛ غير ملتفت إلى جاهٍ أو مالٍ أو شهرةٍ، بل كان يريد وجه ربّه ومصلحة بلده التي اؤتمن عليها. استلم ثلاث وزارات، في آن معًا، فأعطى وأجزل العطاء، وطوّر وأتقن التطوير، وبنى فأعلى البنيان. أنجز كل ذلك، دون أن يرف له جفن؛ خوفًا من قويٍّ فاسد، أو طمعًا في مغنم يمتلك حرية التصرف فيه.

هذا هو «د. أمين صالح مجج» المقدسي الذي بنى وأسس في قدسنا العديد من المؤسسات التي تشهد له، ولا تشهد عليه. كتبنا عنه ما كتبنا ونحن نشعر بقلّة الحيلة؛ لقلّة ما كتبنا؛ لأننا لم نستطع أن نغرف أكثر من بحره الهادر الذي تعلونا أمواجه الطبية، والعلمية، والفكرية، والسياسية، والإدارية، فتطوينا تحت ثناياها لترينا عجزنا عن القفز فوقها..

مقدسيون صنَعوا تَاريخاً

أنور الخطيب «التميمي»

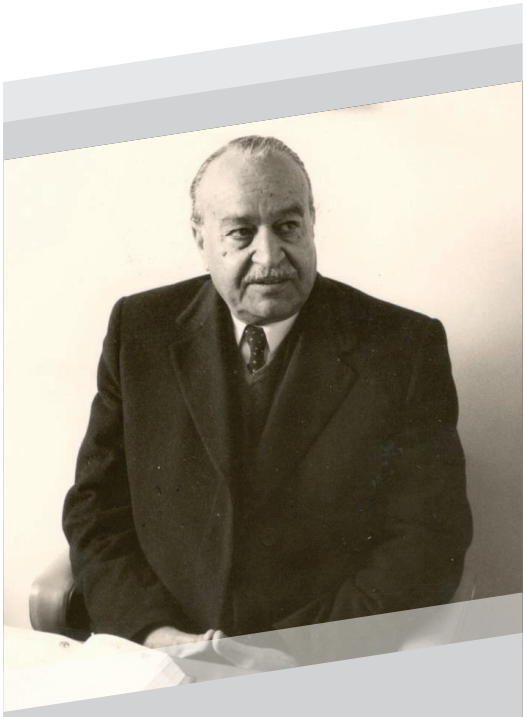

المرحوم «أنور عبد الحي الخطيب التميمي» في
مستشفى المقاصد رئيساً لهيئة جمعيته الإدارية

مقدمة

لا شك في أن الحديث عن القدس يعني الحديث عن التاريخ بأسمى صوره وتجلياته. ومن يصنع التاريخ غير رجاله الذين يحملون على عاتقهم بناء أوطانهم والدفاع عنها، وحمايتها عندما يشتد الخطب! وفق هذه المعادلة الدقيقة شرعنا في كتابنا هذا «مقدسيون صنعوا تاريخًا»، وقد تطرقنا إلى شخصياته العشر، التي تتوزع على المحاور المختلفة : التربوية، والسياسية، والتعليمية والدينية والطبية. وأما في الجانب السياسي، فلا نكاد نخرج أيا من أولئك المقدسيين من تحت مظلتها؛ لأنهم جميعاً، بلا استثناء، واجهوا الاحتلال، وقاوموه، وأعاقوا تقدمه بكل السبل.

وعندما بحثنا في إدارة الشأن المقدسي، بمعناه الشمولي، منذ ما قبل النكبة، وجدنا ضالتنا في المرحوم «أنور عبد الحي الخطيب التميمي». فقد كان رئيساً لمجلس بلديتها إبّان النكبة، وكان محافظاً لها إبّان النكسة، وكان من رجالها الذين يشار إليهم بالبنان في كل شأن مقدسي، رسمي وشعبي، إلى أن توفاه الله في العام 1993م. وأثناء تجوالنا بين المقدسيين قيد البحث في كتابنا هذا، وجدنا أنه كثيراً ما يُذكر «أنور الخطيب» وأثره الفاعل في بناء ودعم العديد من المؤسسات المقدسية.

عند الحديث عن «حسني الأشهب»، نجد المتحدث يشير إلى أن المرحوم الأشهب اعتقل إلى جانب عدد من أعضاء اللجنة الوطنية للدفاع عن القدس، من بينهم محافظ القدس المرحوم أنور الخطيب. كما أن جمعية المقاصد الخيرية، التي كان يرأس هيئتها الإدارية السيد أنور الخطيب، شكلت مظلة قانونية لمكتب تربية وتعليم، قام المرحوم حسني الأشهب بتأسيسه لإدارة المدارس البديلة عن المدارس الرسمية التي استولى عليها الاحتلال.

كما يشير المتحدثون في سيرة المرحومة «هند الحسيني» إلى أنها عندما قررت استيعاب أيتام دير ياسين إبّان النكبة وإسكانهم وتعليمهم، بأن فتحت مدرسة لهم في بيتها، تلقت الدعم والإسناد من «أنور الخطيب»؛ رئيس مجلس بلدية القدس في حينه. وعندما أنشأت لهم «دار الطفل العربي»، في العام 1949م، كان «أنور الخطيب» – المحامي المستشار القانوني لهذه الدار.

وفي سيرة الشيخ «حلمي المحتسب»، نجد أن «أنور الخطيب» عمل مع مجموعة من المقدسيين الغيارى على قدسهم؛ بأبعادها : الدينية، والوطنية والسياسية. فشاركهم وشاركوه، في الفترة الأخيرة من حياته، في اتخاذ القرارات الهامة والجريئة للمحافظة على المقدسات الإسلامية وإدارة المؤسسات المقدسية، منهم: أنور الخطيب، وغيره ممن تيقظوا لمواجهة عملية التهويد

التي كانت تتم بحق القدس. ومن بين القضايا الكبرى التي تمكن هؤلاء من إنجازها: 1) استمرار عمل مستشفى المقاصد الإسلامية بالقدس؛ الذي كانت سلطات الاحتلال تنوي تحويله إلى مقر للشرطة الإسرائيلية، بعد اقتطاع جزء منه كإسطبل. 2) تأسيس وتثبيت المدارس والمعاهد والكليات التعليمية العربية المقدسية.

وعند الحديث مع المحامي «فؤاد شحادة»، عن المرحوم «محمود أبو الزلف»، وجدنا أنه في الجانب السياسي لصحيفة القدس، كان «أنور الخطيب» ممن يكتبون افتتاحيتها في مناسبات معينة.

نستنتج من هذه العجالة، أن المرحوم «أنور الخطيب» كان شخصية محورية على المستوى المقدسي من مختلف النواحي: التعليمية والثقافية، والعمل الخيري (الفردي والجماعي). إذ قلّما تجد نشاطاً في تلك المجالات – سواء على مستوى التخطيط أو البناء أو التطوير وتحسين الأداء أو الحماية القانونية– يستثني فيه رأي أنور الخطيب.

أما المسمى الوظيفي الذي كان يحتله «أنور الخطيب»، معظم الفترة منذ النكبة وحتى وفاته، فهي «محافظ القدس»، من قبل الحكومة الأردنية التي استلمت شرقي القدس عندما كان «الخطيب» رئيساً لمجلس بلديتها. مما يعني أن «الخطيب» كان يتحمل أوزار الحالة الأمنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية في محافظة القدس، التي كانت تضم ألوية رام الله وبيت لحم وأريحا؛ أي أنها تغطي مساحة شاسعة من الضفة الغربية. أضف إلى ذلك المناصب الوزارية التي تقلدها «الخطيب» في الحكومات الأردنية المتعاقبة.

أما على مستوى العلاقة مع منظمة التحرير الفلسطينية، فتشير الوثائق إلى القليل، ولكن أهم هذا القليل كانت العلاقات التشاورية بين المرحومين: «ياسر عرفات» و «خليل الوزير» من جهة، و«أنور الخطيب» من جهة أخرى، والتي كانت في أقصى مستويات التفكير الاستراتيجي المتعلق بالقضية الفلسطينية بشكل عام، وقضية القدس والأماكن المقدسة بشكل خاص.

لذلك؛ نجد أنفسنا أمام شخصية مقدسية، متعددة الأبعاد والآفاق والرؤى والتأثير، لما كان يمتلكه من شبكة واسعة من العلاقات الجادة والمؤثرة، على المستويات كافة. ولعل أكثرها أثرًا وتأثيرًا، شبكة العلاقات الدولية التي جعلت منه شخصية محورية ذات صلة برؤساء الدول والحكومات والوزراء على المستويين العربي والدولي.

هكذا... يكون كتاب «مقدسيون صنعوا تاريخًا» قد ضم شخصاً فلسطينيًا مقدسيًا، تحلى بشخصية صلبة، مشبعة بسمات سياسية ودبلوماسية وفكرية متميزة، صاحب إسهامات

فاعلة وجادة في بناء العديد من المؤسسات المقدسية التي حافظت على القدس من التهويد، وحفظت لها عروبتها؛ بإسلاميتها ومسيحيتها. وها نحن في كتابنا هذا نتوقف عند «أنور الخطيب التميمي» كمقدسي صنع في القدس تاريخًا يبقى نموذجًا حيًا للأجيال المتعاقبة.

محافظ القدس أنور عبد الحي الخطيب التميمي (١٩٩٣-١٩١٧)

تعددت مسمياته الوظيفية، فكان الرجل الصلب الذي لا يلين، صانع القرار الذي لا يتراجع عنه؛ لأنه يتخذه بعد عمق تفكير. إنه رجل المهمات الصعبة. عاش مع الراحلَيْن: الملك عبد الله والملك الحسين بن طلال وعايشهما، ووضعا ثقتهما فيه، فكان رئيساً لمجلس بلدية القدس في أصعب الأوقات، وسفيراً للأردن في مصر العروبة، ومحافظًا لدرة فلسطين «القدس الشريف»، وقاد عدة وزارات في عدة حكومات. التقى مع الصف الأول من قادة العرب والعالم، لم يكن قياديًا في منظمة التحرير الفلسطينية، إلا أنه كان يحظى باحترام وتقدير كبيرين من أبي عمار وأبي جهاد، فيستمعان له ويأخذان برأيه عندما يشتد الخطب.

محطات في سيرة حياة «أنور الخطيب»:

المولد-النشأة-التعليم:

- ولد أنور عبد الحي عبد الفتاح عبد الحي أحمد عبد الغني عبد الرحمن أحمد علي أبو الوفا الخطيب التميمي الداري في مدينة الخليل في العام 1917م.
- كان والده أزهرياً ووجيهاً بارزاً من وجوه الخليل، حيث كان خطيباً للحرم الإبراهيمي، ومفتياً للمدينة كما عمل رئيساً لبلديتها ومتولياً لوقف تميم الداري.
- كان لأنور تسعة إخوة، نذكر منهم: 1) الشيخ «إدريس»: ولد في العام 1908م وتعلم في الأزهر الشريف ورجع خطيباً للحرم الابراهيمي، وكان عالماً جليلاً وله مواقف وطنية ضد الانجليز وطورد من الانتداب. 2) «رشاد»: ولد في العام 1910، وتعلم القانون وعمل في التدريس، ثم انتخب في مجلس النواب الأردني في دورتين عن مدينة الخليل، وعين -لاحقاً - عضواً في مجلس الأعيان الأردني، كما عمل وزيرا للاقتصاد ووزيراً للزراعة

وقائماً بأعمال قاضي القضاة. وقد نفاه الحاكم العسكري للاحتلال الإسرائيلي الى الأردن في العام 1968، وعاد في العام 1983، إلى أن توفي ودفن في الخليل.

- درس «أنور» في مدارس الخليل حتي المرحلة الثانوية، ثم توجه إلى القدس لإكمال دراسته، فالتحق بالكلية العربية ونال شهادة الدبلوم في علم النفس.

التطور المهني:

- بعد تخرجه بشهادة الدبلوم في علم النفس، عمل «أنور الخطيب» مدرساً في مدرسة بئر السبع الداخلية، لفترة من الوقت، ثم انتقل مدرساً في المدرسة الرشيدية الثانوية في القدس.
- خلال عمله في التدريس، التحق «أنور» بمدرسة الحقوق المسائية في القدس، فحصل على الشهادة المتوسطة في الحقوق.
- أثناء دراسته في مدرسة الحقوق، اشتعلت أحداث الثورة الفلسطينية في ثلاثينيات القرن العشرين، فنشط «أنور» مع المقاومين، وأُلقي القبض عليه بتهمة المشاركة في الثورة، اعتقل على إثرها لعدة أشهر وتم فصله من وظيفته في التعليم؛ استنادا لقانون الطوارئ الذي وضعه الانتداب البريطاني آنذاك. بعد إطلاق سراحه حاول الاحتلال البريطاني تقييد حركته، بتوجيه إتهامات وتقديمه للمحكمة؛ مما حدا بأنور أن يغادر القدس إلى عمان ثم الى بغداد، حيث أقام مدة قصيرة وتابع بعدها سفره إلى أن وصل إلى مسقط عاصمة عمان.
- في مسقط، عمل «أنور» في سلك التعليم، وعرف عنه أنه قام بتدريس أبناء العائلة الحاكمة هناك، وبقي في عمله طيلة سنوات الحرب العالمية الثانية إلى أن قرر العودة إلى القدس في نهاية العام 1945م. حيث تم تعيينه سكرتيراً عاماً للمجلس الاسلامي الأعلى في فلسطين؛ وهي المؤسسة المسئولة عن إدارة المحاكم الشرعية ودوائر الاوقاف الاسلامية.
- في العام 1946م، ترشح أنور لانتخابات الهيئة العربية العليا، التي كان يرأسها جمال الحسيني وانتخب عضواً فيها، كما انتخب سكرتيراً عاماً لجمعية المشروع الإنشائي العربي.
- لم يغب عن أنور ضرورة حصوله على شهادة المحاماة، التي أحبها، فخلال وجوده في القدس أكمل دراسة القانون إلى أن حصل على شهادة الليسانس.

أنور الخطيب: السياسي والدبلوماسي حتى آخر العمر

عاصر أنور نهاية الانتداب البريطاني، وإعلان بريطانيا تخليها عن الانتداب في شباط من العام 1947، وما تلاه في 28 نيسان من العام نفسه في قرار للهيئة العامة للأمم المتحدة بتشكيل لجنة دولية للنظر في القضية الفلسطينية من دول أعضاء منتخبين، وهم: أستراليا، كندا، تشيكوزلوفاكيا، غواتيمالا، الهند، ايران، هولندا، بيرو، السويد، اوروغواي ويوغسلافيا، والقرار بتعيين رالف بانش سكرتيراً عاماً للجنة.

حضرت اللجنة إلى فلسطين في أواخر حزيران من العام 1947 للاجتماع بالطرفين العربي واليهودي. فقرر الطرف العربي، الممثل بالهيئة العربية العليا لفلسطين، مقاطعة اللجنة وعدم التعاون معها، مما حد باللجنة الاكتفاء بالاجتماع مع سكرتير عام الجامعة العربية عبد الرحمن عزام، دون أن تجتمع بأي من القادة الوطنيين. بينما اجتمعت اللجنة مع الجانب اليهودي ممثلاً بحاييم وايزمن وبن غوريون ومناحيم بيغن، الذي كان مطلوباً للبريطانيين بتهم إرهابية، ورغم ذلك أصر على الاجتماع برالف بانش في مخبئِه. وقد عبر أنور في مذكراته عن قرار الهيئة العربية العليا بأنه «كان سلبياً ومثل أسلوب العاجز خاصة لأصحاب قضية عادلة، تركوا اللجنة الأممية للاستماع لرأي الطرف اليهودي فقط».

في 29 تشرين الثاني من العام 1947 صدر قرار بتقسيم فلسطين في الجمعية العامة للأمم المتحدة بتصويت 33 دولة مع القرار، و 13 دولة ضد القرار وامتناع 10 دول. وبتبني خطة تقسيم فلسطين بإنهاء الإنتداب البريطاني قسمت فلسطين إلى ثلاثة كيانات: عربية ويهودية ومنطقة القدس وبيت لحم وما حولهما تم وضعهما تحت الوصاية الدولية.

بصدور ذلك القرار قام آخر مندوب سام بريطاني، ويدعى ألن كاننغهام بالإشراف على تنفيذ اتفاقية للهدنة بين العرب واليهودً، فاجتمع في مقره في جبل المكبر مع قيادات فلسطينية، وكان منهم أنور الخطيب؛ بصفته سكرتيراً عاماً للمجلس الإسلامي الأعلى. وقد ذكر أنور في مذكراته أن كاننغهام «نقل مباركة الحكومة البريطانية لاتفاق الهدنة، وأعلن أن القدس وما حولها تعد منطقة دولية وفق قرار تقسيم فلسطين، وأن أمين عام جامعة الدول العربية عبد الرحمن عزام قد بارك هذا القرار أيضاً». وبعد صدور القرار الأممي أصدرت الجامعة العربية قرارها بدفع الجيوش العربية إلى فلسطين في صبيحة 15 أيار من العام 1948 بحيث استثنت القدس وما حولها من خططها العسكرية (احتراما!) لقرار التقسيم.

أما على الجانب الآخر، فما أن استكمل الجيش البريطاني انسحابه من القدس، حتى سارعت عصابات الهاجاناة اليهودية إلى خرق الهدنة العربية-اليهودية؛ فقامت بالاستيلاء على أحياء من القدس، ومن ضمنها جزء من حي الشيخ جراح؛ لتعزل القدس عن باقي أنحاء فلسطين. ويذكر انور في مذكراته أن القدس «لم يكن فيها أكثر من خمسمائة مقاتل للدفاع عنها، ويتبع جزء من هؤلاء المقاتلين للجهاد المقدس والجزء الآخر من بقايا جيش الإنقاذ بقيادة الضابط العراقي فاضل عبد الرشيد، وكانوا يقاتلون على جبهتين: احداهما داخل أسوار القدس ضد الحامية اليهودية المتمركزة في الحي اليهودي حيث تمكنت عصابات البالماخ من الوصول إليها بحماية القوات البريطانية قبل إنسحابها، والأخرى خارج الأسوار ضد عصابات الهاجاناة».

ومع اندلاع القتال بين الطرفين التقى «أنور» ورفاقه في مقر المجلس الإسلامي الأعلى داخل أسوار القدس، واتخذوا من عمارة الهوسبيس المجاورة للمسجد الأقصى المبارك مستشفى مؤقتًا داخل أسوار المدينة؛ لعلاج المصابين خلال القتال الدائر مع الحامية اليهودية. ويستذكر الخطيب مجموعة من الأطباء، منهم: «ابراهيم طليل الذي تفانى في عمله معالجاً للجرحى والمصابين خلال القتال مع العصابات اليهودية».

لقد ظهرت جلياً قدرة العصابات اليهودية في التخطيط والتنسيق وجمع المعلومات في هجومهم لاقتحام القدس عن طريق النبي داود فدير الارمن للوصول إلى الحامية اليهودية لعصابات البالماخ الموجودة داخل أسوار القدس، ولغرض قطع الإمدادات عن المدافعين العرب داخل القدس القديمة ومحاصرتهم.

ولهذا، بادر الضابط العراقي فاضل رشيد بالاجتماع مع مجموعة المقاومين الفلسطينيين، ومنهم أنور الخطيب وأنور نسيبة، لاستعراض الاخطار التي تواجهها القوات الموجودة داخل الأسوار وعجزها عن الصمود. وقد كان الرأي أن يتم الاتصال بالملك عبد الله، ملك الأردن، ووضعه في صورة الخطورة التي تتعرض لها المدينة، ووقع الاختيار على أنور الخطيب وأنور نسيبه للتوجه إلى عمان لإيصال هذه الرسالة.

توجه أنور الخطيب وأنور نسيبة من فورهما لعمان، وفور وصولهما اجتمعا بالملك عبد الله وشرحا له المخاطر التي تتعرض لها مدينة القدس، وبخاصة المدينة القديمة والأماكن الدينية هناك. يذكر أنور الخطيب أن رد الملك عبد الله كان بأن قال «ما حيلتي؛ وقد دفعت بكامل جيشي إلى المعركة، ولم يبق لدي جندي واحد لأرسله إليكم»، واقترح إرسال قوات شعبية متطوعة للدفاع عن القدس.

ظهر من رد الملك عبد الله أن يديه مكبلتان بالاتفاق مع الحليفة بريطانيا، والذي وقعه رئيس وزراء الأردن حينها توفيق أبو الهدى ووزير الخارجية البريطاني ارنست بيفن، وبحضور قائد الجيش الأردني «السير جون جلوب»؛ البريطاني الأصل. وقد اشتمل الاتفاق الموقع أن لا يتجاوز الجيش الأردني خط التقسيم الأممي، وأن يتجنب المنطقة التي تم تدويلها في القرار وتحديداً مدينة القدس.

في تلك الأثناء، تم إيصال صورة الوضع الحرج الذي تواجهه القدس الى أمين عام الجامعة العربية عبد الرحمن عزام مساء، وكان حينها في مدينة الزرقاء الأردنية، حيث اجتماع مندوبي دول الجامعة العربية. وقد سارع الامين العام الى إيقاظ مندوبي الجامعة العربية، وتوجه الجميع الى مقر الملك عبد الله وهناك وبعد نقاش الموضوع مع الملك، قال عبد الرحمن عزام للملك[35]: «إن القدس إذا سقطت في يد اليهود، فسوف أعلن للعالم أن الأسرة الهاشمية هي السبب في ضياعها..» وأضاف «إذا أنقذت القدس فسوف أعلن تتويجك عليها ملكاً..». وقد استجاب الملك لكلام عبد الرحمن عزام وقال «لن أخذلك ولن أخيب أملك»، وأمر رئيس وزرائه توفيق أبو الهدى باتخاذ إجراء سريع بهذا الشأن، وقال له: «ان القدس فوق الوعود والعهود وفوق المال والسلاح وفوق العمل على أرضاء الحليفة[36]». ثم أعطى الملك أوامره لقائد القوة الأردنية المرابطة في أريحا «عبد الله التل» بالتحرك الى مدينة القدس، متجاوزا قائد الجيش جون جلوب.

أنور الخطيب مع المرحوم الملك حسين وأمير الكويت في القدس

35 Larry Collins and Dominique Lapierre, O Jerusalem, 1972

36 ويقصد بها بريطانيا والوعد والعهد ما تم توقيعه من اتفاق مع وزير الخارجية البريطاني حينها بأن لا يتجاوز الجيش الأردني خط التقسيم أو القدس الدولية.

في هذه الأثناء رجع انور الخطيب ورفيقه انور نسيبة الى القدس، مروراً برام الله؛ للالتقاء بالضابط اللبناني فوزي القاوقجي، الذي كان قائداً لجيش الإنقاذ، والذي فاجأهما بأن الأوامر التي وصلته من ملك الأردن عبد الله أن يسحب قوات فوج اليرموك المرابطة في مدينة رام الله باتجاه الشمال. وقد أزعج هذا الخبر انور الخطيب، الذي علم من خلال حديث القاوقجي أن «السبب قد يكون الخلاف مع قوات الجهاد المقدس انذاك، والتي كانت تؤثر بشكل كبير على التنسيق في العمل الميداني». وقد يكون أيضاً ما ذكر لاحقاً، من عدم تعاون قادة القوات الميدانيين من الجيوش العربية والمقاومين الفلسطينيين مع القاوقجي وتشكيكهم به[37]. وقبل مغادرة الخطيب ونسيبة مقر فوزي القاوقجي طلبا منه «أن يوجه مدافع قواته باتجاه منطقة سانت هدريا ومشارف الشيخ جراح، حيث تجمعات القوات اليهودية؛ وذلك لتخفيف الضغط عن المقاتلين. وقد حصل هذا، ولكن لم ينجم عن هذا القصف أي تأثير على القوات اليهودية».

وصلت القوة الأردنية القادمة من أريحا بقيادة عبد الله التل الى مدينة القدس مساء يوم الثامن عشر من أيار من العام 1948، فاستقبلها «أنور الخطيب» في منطقة رأس العمود، ورافقها الى باب الاسباط ثم الى موقع النبي داود، حيث اشتبكت مباشرة مع عصابات البالماخ اليهودية وأوقفت زحفها، ثم تابعت إلى منطقة الحامية اليهودية في الحي اليهودي، حيث عصابة الهاجاناة وقامت بمحاصرة الحامية اليهودية إلى أن استسلمت للقوة الأردنية، بتاريخ 28 أيار من العام نفسه .

لقد أفرد أنور الخطيب بمذكراته الكثير عن حرب 1948، ما قبلها ومابعدها، وعن أسباب هزيمة الجيوش العربية وأهمها غياب التنسيق والمعلومات، مما حدا بالقادة العرب الى الظن أن الامر لا يتعدى نزهة قصيرة يتم بعدها القضاء على العصابات الصهيونية. وقد استطرد في مذكراته: «أن الواجب يقتضينا أن ننظر للصراع العربي-الإسرائيلي على أنه صراع حضاري، بين مجتمع متقدم ثقافيا وعلمياً وصناعيا وزراعيا يعيش ديمقراطية حتى في أشد أزماته بلا تسلط ولا حكم فردي ولا زعامة تصل لحد العبادة، زعامة ملهمة لا تخطئ ولا تسمح لأحد بمناقشتها..».

37 هاني الهندي، جيش الإنقاذ، 1974

أنور الخطيب: بين النكبة والنكسة أخطاء ولا من يعتبر

بعد نكبة العام 1948 كتب «أنور الخطيب» سلسة مقالات في جريدة «الصريح المقدسية[38]»، وخص في مقالاته ضرورة بناء جيش يستطيع استرداد ما فقد من الوطن، وأن يكون تمويله من البترول العربي. وقد كان أول من نادى بشعار «بترول العرب للعرب». في نفس الصحيفة، وبتاريخ 11 كانون أول من العام 1948، نُشر القرار رقم 194 الصادر عن الأمم المتحدة، والقاضي بتدويل مدينة القدس، وأنشأت لجنة سمتها «لجنة التوفيق»، مهمتها الاجتماع مع الجانبين العربي واليهودي بشأن قرار التدويل الأممي.

بعد صدور القرار الأممي حضر عبد الله التل الذي كان يشغل الحاكم العسكري لمقابلة «أنور الخطيب»؛ ناقلاً له توجه الأردن لتشكيل مجلس بلدي للقدس، كي تستقبل اللجنة الأممية والرغبة بتعيين أنور الخطيب رئيسا للمجلس البلدي. وبموافقة «أنور الخطيب»، اصدر التل كتاباً في كانون اول 1948 بتشكيل المجلس البلدي برئاسة «أنور الخطيب»، وعضوية كل من: المحامي سابا سعيد (توفي وحل محله انسطاس حنانيا)، توفيق الحسيني، ياسين الخالدي، حسين النشاشيبي، الاب ابراهيم عياد، الدكتور رأفت فارس، الشيخ ضياء الخطيب (استعيض عنه بروحي الخطيب)، ابراهيم نسيبة، عبد الله نعواس، توفيق الدجاني وعادل جبر.

لم يثنِ عمل «أنور الخطيب»، كرئيس للمجلس البلدي، حبه للعمل السياسي، وكتابته للمقالات التي تعكس واقع الحال العربي. فقد نشط في الكتابة في مجلة الهدف[39] الأسبوعية، التي كانت تتبنى وجهات نظر حزب البعث العربي الاشتراكي بخصوص وحدة الهلال الخصيب. وكان لهذه المقالات تأثير سلبي من طرف وزارة الداخلية الأردنية، مما حدا بالوزارة الى تسليمه كتاباً بتاريخ 22 تموز من العام 1950، يبلغه بعزله من منصبه كرئيس للمجلس البلدي، كان نصه: «أبلغني معالي وزير الداخلية انه استناداً الى الصلاحيات المخولة للمندوب السامي في الفقرة الثانية من المادة خمسين من قانون البلديات لسنة 1934 وعملاً بالمادة الثالثة من الارادة الملكية السامية المنشور في العدد 1003 من الجريدة الرسمية

38 أسسها في العام 1948 هاشم السبع وكانت صحيفة معارضة ساخرة أغلقت العديد من المرات حتى تم إغلاقها نهائياً في العام 1958.

39 مجلة أسبوعية انشأها كل من برهان الدجاني ويحيى حمودة في القدس في العام 1950 وقد صدر منها خمسون عدداً قبل أن يتم إغلاقها بسبب مقالاتها التي تركز على المأساة الفلسطينية وما وصلت إليه.

للمملكة الاردنية الهاشمية فقد تقرر إعفاءكم من الاضطلاع بمهام رئاسة مجلس بلدية القدس اعتبارا من تأريخه».

لقد ذكر «أنور الخطيب» في مذكراته توقعه لقرار العزل، وقد حاول استباقاً قبل تسلمه قرار العزل بفترة أن يستقيل من منصبه؛ طالباً ذلك من هزاع المجالي، الذي كان يشغل رئيساً للديوان الملكي. وبالرغم من رفض المجالي لفكرة الاستقالة، إلا أنه أسر لـ «أنور الخطيب» عن عدم رضا المسئولين عما ينشره في مجلة الهدف، وعن إمكانية أن يؤثر هذا على تعاملهم معه.

لهذا، وكما ذكر الخطيب في مذكراته، فقد توقع أن يتم العزل في أي وقت، وأكد هذا لاحقاً ما أسر له به إحسان هاشم أنه كان محرجاً لتبرير ما حصل، عند سؤال الخطيب له وقد بادره قائلاً «إنها الأوامر». على إثر هذا الكتاب، قرر جميع أعضاء المجلس البلدي تقديم استقالاتهم، خلال جلسة استثنائية، احتجاجاً على تصرف وزارة الداخلية.

قرر «أنور الخطيب» الانزواء، والعمل محامياً من خلال مكتبه في القدس. ولكن لم تمضِ مدة قصيرة على ذلك إلا وقام الملك عبد الله بطلبه لمقابلته في مقره خلال زيارته للقدس. ويذكر «أنور» في مذكراته أن الملك أخبره تفهمه لغضبه من القرار، ولكنه وعده بمنصب أكبر»، وطلب منه التوجه إلى عمان خلال اليومين القادمين لمقابلة سمير الرفاعي، الذي كان مكلفاً بتشكيل الحكومة خلفاً لحكومة توفيق أبو الهدى.

سافر أنور إلى عمان، وتوجه إلى منزل سمير الرفاعي، وكان أول مرة يقابله فيها، وفي اللقاء عرض الرفاعي على «أنور الخطيب» الاشتراك في الحكومة، إلا أن الخطيب اعتذر عن تلبية العرض، مبدياً رغبته في التفرغ لمكتب المحاماة. وحينها طلب الرفاعي من انور الخطيب مرافقته لمقر الملك الاردني الذي رشحه للوزارة للاعتذار له بشكل مباشر. ويذكر الخطيب أن الأمور في حضرة الملك عبد الله «سارت عكس ما رغب إذ قام بأداء القسم أمام الملك وزيراً للتجارة في حكومة سمير الرفاعي» التي تشكلت يوم الرابع من كانون الأول من العام 1950.

في الفترة ذاتها، وتحديداً بتاريخ الرابع والعشرين من نيسان من العام 1950، صدر قرار وحدة الضفتين (الضفة الشرقية والضفة الغربية)، وتبع القرار صدور تعديل على عدد أعضاء مجلس النواب والأعيان للتمثيل النيابي من الضفة الغربية. فتمت زيادة عدد مقاعد مجلسي النواب والأعيان الأردني إلى عشرين مقعداً لنواب الضفة الغربية، وعشرة مقاعد لأعيان الضفة الغربية. وفي العام نفسه جرت الانتخابات النيابية الأردنية في «الضفتين»،

وقد ترشح عن محافظة القدس «أنور الخطيب»، وترشح شقيقه «رشاد» عن محافظة الخليل، وفاز الإثنان، ودخلا البرلمان كأول شقيقين يفوزان في نفس الدورة النيابية.

في يوم الجمعة الموافق 20 تموز من العام 1951 توجه الملك عبد الله، كعادته، إلى المسجد الأقصى المبارك، لأداء صلاة الجمعة، وكان يرافقه حفيده حسين بن طلال وقائد حراسته المشير حابس المجالي. وما كاد الملك يهم بالدخول من بوابة المسجد إلا وعاجله شخص- عرف لاحقاً باسم مصطفى شكري عشو- برصاصة من مسافة قصيرة، وجهها الى رأسه أدت إلى مقتله بعد وقت قصير. أما مصطفى شكري عشو، فقد قتله حراس الملك آنذاك مباشرة بعد إطلاقه الرصاص. ومنعاً للفوضى من أن تندلع في مدينة القدس، فقد فرض رئيس الوزراء سمير الرفاعي منع التجول على أحياء المدينة لحقن الدماء. وتم لاحقاً تشييع جثمان الملك بجنازة رسمية، وفق طلب ابنه الأمير نايف، وقد سجي جثمانه في مقبرة بجانب الديوان الملكي الأردني، على عكس ما أوصى به سابقاً من حبه أن يتم دفنه في مدينة القدس التي أحبها.

استلم الحكم خلفاً للملك عبدالله نجله البكر الملك طلال الذي كان ولياً للعهد حينها. ولكن، وبعد أقل من عام، أجبر البرلمان الأردني الملك طلال على التنحي، وأعلن تنصيب الملك حسين بن طلال ملكاً بتاريخ 11 آب من العام 1952، وكان عمره آنذاك سبعة عشر عاماً، ولهذا فقد تم تتويجه ملكاً في الثاني من أيار عام 1953.

في الخامس من أيار من نفس العام، أي بعد ثلاثة أيام من تتويج الملك حسين، تم تشكيل الحكومة الجديدة برئاسة فوزي الملقي، وكلف «أنور الخطيب» بوزارتي الاقتصاد والإنشاء والتعمير. وخلال شغله وزيراً للاقتصاد ذكر أنور الخطيب في مذكراته في العام 1954 أنه «لمست شخصياً مقاومة الغرب لإنشاء المصانع، فقد كنت مسئولا عن أعمال النقطة الرابعة[40]، وكان اهتمام البعثة الأمريكية مقصوراً على إنشاء حقول لرعي الأغنام، أو إقامة جدران استنادية خشية انجراف التربة، وقد رافقت بعضهم إلى الخليل، حيث لمسوا مهارة المزارع الخليلي في إقامة الجدران الاستنادية وتحويل الصحراء إلى حقول خضراء. فقال البعض منهم: نحن بحاجة الى التعلم منهم لا تعليمهم.. ولما اقترحت على مدير النقطة الرابعة إنشاء مصنع لتعليب الفواكه، يقام بين حلحول وبيت أمر، حيث تكثر الفواكه والخضروات، رفض هذا الاقتراح بشدة، وقال: هذا خارج عن اختصاصنا وصلاحياتنا، فنحن ضد التصنيع».

40 وكالة التنمية الأمريكية (USAID)

في تموز من العام نفسه 1953 ، ورغم معوقات تسجيل الأحزاب السياسية، إلا أن مجموعة من السياسيين تمكنت من تسجيل وترخيص «الحزب الوطني الاشتراكي الأردني». وكان في طليعة المؤسسين: سليمان النابلسي، وهزاع المجالي، وعبد الحليم النمر، وأنور الخطيب، وحكمت المصري، وشفيق ارشيدات، وكمال منكو، وجريس هلسه، وسعيد العزة، ونعيم عبد الهادي، ورشاد الخطيب (شقيق أنور الخطيب)، ومجموعة من السياسيين والوجهاء الأردنيين وذوي الأصول الفلسطينية.

كان من المواضيع التي أثارها الحزب، في ذلك الوقت، موضوع المعاهدة الأردنية البريطانية التي تم التوقيع عليها بتاريخ 28 آذار من العام 1948. وكانت هذه المعاهدة تواجه بمعارضة شعبية في الأردن، حيث بلغت أوجها بعد أن القى رئيس الحكومة البريطانية آنذاك ونستون تشرتشل خطاباً في مجلس العموم البريطاني، في أيار من العام 1953، وبالغ في كيل المديح لحكومة «دولة إسرائيل»، مما حدا بحكومة فوزي الملقي تقديم احتجاج رسمي بتاريخ 11 أيار من العام 1953، اعتراضاً على الخطاب. تقدمت بعد ذلك حكومة الملقي باستقالتها للملك، بالرغم انه لم يمض على تشكيلها أكثر من شهر، وتزامن هذا مع حدوث مظاهرات في الأردن وفي الضفة الغربية، مطالبة الأردن بإلغاء المعاهده.

أما القشة التي قصمت ظهر البعير، فيما يخص المعاهدة، فهو ما نشرته إحدى الصحف البريطانية من تقرير تحت عنوان «ملك الأردن غير المتوج[41]» و«لورنس الثاني»، ويقصدون بذلك قائد الجيش الأردني السير جون جلوب[42] أو جلوب باشا كما كان يطلق عليه. كل هذه التراكمات دفعت بالملك حسين، بعد ثلاث سنوات، إلى إصدار قراره التاريخي في الأول من آذار من العام 1956، بتعريب قيادة الجيش العربي الأردني وبإنهاء خدمة الضابط البريطاني جون جلوب من قيادة الجيش العربي الأردني، وتطهير الجيش من جميع الضباط الإنجليز، وإبلاغهم بضرورة مغادرة الأردن خلال سبع ساعات من إبلاغهم بالقرار.

في التاسع والعشرين من شهر تشرين أول من العام 1956 تشكلت أول حكومة حزبية برئاسة سليمان النابلسي، حيث شغل «أنور الخطيب» فيها وزيراً للأشغال العامة، وكان حينها قطباً من أقطاب الحزب الوطني الاشتراكي الأردني. ولما كانت هذه الحكومة أول حكومة حزبية، فقد كان واضحاً من خطابها التزام الحكومة أمام المجلس النيابي، وأمام الشعب بإلغاء المعاهدة البريطانية الأردنية. لقد حظي التزام الحكومة بخصوص المعاهدة بتأييد جميع القوى والأحزاب، كما ساهم الضغط الشعبي وتوجه الحكومة، في قرار مجموعة من

41 State, Society, and Land in Jordan, Michael Fischbach, 2000

42 Sir John Glubb

الدول العربية وهي مصر وسوريا والسعودية في العام 1957 بترجمة دعمها لقرار الحكومة والتوجه الشعبي؛ بتوقيع اتفاقية التضامن العربي، ودعم الأردن بمعونة مالية تغنيه عن المعونة البريطانية.

قادت هذه التطورات الأردن لإلغاء الإتفاقية الثنائية، وفي الثالث عشر من العام 1957 وقع سليمان النابلسي، بصفته رئيساً للحكومة، والسفير البريطاني تشارلز جونسون قرار إلغاء المعاهدة الاردنية البريطانية، فقام المجلس النيابي بالمصادقة على ذلك، وفي اليوم نفسه اجتاحت المدن الأردنية والفلسطينية مظاهرات الابتهاج بالقرار.

جمال عبد الناصر يتسلم أوراق إعتماد أنور الخطيب سفيرًا للأردن في مصر ويرى في الصورة عبد المنعم رياض وزير الخارجية

وفي العام نفسه الذي تشكلت فيه وزارة النابلسي حدث العدوان الثلاثي على مصر، وذلك بعد إعلان الرئيس المصري جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس في 26 تموز من العام 1956. شارك في ذلك العدوان: بريطانيا وفرنسا وحليفتهما «دولة إسرائيل». لقد كان جمال عبد الناصر خصماً للدول الثلاث التي كانت تريد إسقاطه. ف «دولة إسرائيل» كانت تريد

تدمير السلاح المصري الجديد قبل استيعابه من الجيش المصري، وفرنسا تريد أن تنتقم ممن دعم الثورة الجزائرية وبريطانيا، التي كانت تمتلك نسبة كبيرة من أسهم قناة السويس وتسيطر على دول الخليج، فقد أرادت أن تتخلص من عبد الناصر[43].

يذكر «أنور الخطيب» في مذكراته، أنه في خضم تلك الأحداث حضر الملك حسين ومعه رئيس الاركان الجديد اللواء علي أبو نوار إلى مجلس الوزراء للاجتماع معهم. اقترح الملك في الاجتماع فتح جبهة شرقية لتخفيف الضغط عن مصر، وهنا يذكر الخطيب أنه استأذن الملك، قائلاً: «هل يسمح جلالة الملك بان يعطينا قائد الجيش تقديره للموقف، ومدى استعدادنا لخوض المعركة، وما هي النتائج المتوقعة؟». فكان رد اللواء «أبو نوار» وتقديره للموقف ونتائج فتح الجبهة الشرقية محبطاً، وبخاصة أن «أبو نوار» وفي تقييمه للوضع ذكر أن ما تحمله الأربع والعشرون ساعة الأولى من التدخل هو سقوط محافظة الخليل ونابلس، وسيكون على القوات الاردنية ان تدافع عن القدس حتى آخر جندي. بعد الاستماع إلى تقرير «أبو نوار»، انقسم الحضور بين رأيين: أحدهما مع التوجه الى فتح الجبهة الشرقية بأي ثمن والآخر يفضل التريث.

أما أنور الخطيب، فيشير في مذكراته، إلى أنه قد طلب أن يتحدث للملك، وقال: «يا سيدي هل نحن في وضع نستقبل فيه لاجئين جدد؟ وهل نحن بحاجة الى فقدان أرض جديدة بعد الذي فقدناه من فلسطين؟ إن الصورة التي قدمها قائد الجيش تحملنا على التروي والتريث. إننا جميعاً نرغب في تخفيف العبء عن مصر، ولكن اشتراكنا بهذه الصورة قد يزيد العبء على مصر ويجعلها تلتفت لنجدتنا وهي في محنتها الحالية». وانتهي الاجتماع الى التوصية بأن يقوم وزير المالية آنذاك صلاح طوقان بتقديم تقرير، في جلسة أخرى تعقد في الديوان الملكي، في الوضع المالي والتبعات التي من الممكن أن تحصل عند أي قرار للمملكة. فجاء تقييم وزير المالية قاتماً. لكن ما ساعد الأردن على اتخاذ القرار النهائي، في الوقت المحدد، هو رسالة قائد الجيش المصري المشير عبد الحكيم عامر، التي طلب فيها من الأردن المحافظه على حدوده فقط؛ كون المعركة خرجت من أن تكون بين مصر والدول الثلاثة، بل تعدت هذا. ثم كان ما كان لاحقاً من قرار الولايات المتحدة بوقف العدوان الثلاثي.

في العام 1957 بدأت الأحزاب السياسية في الأردن تنشط سياسياً، وكانت التجاذبات بين القطبين السوفييتي والأمريكي وقتها تؤثر في الوضع السياسي في مختلف دول العالم العربي، وليس الأردن فقط. لقد قادت مجموعة من التطورات والاحتقان السياسي إلى

43 Peter Wright, Spycatcher, 1987

إعلان الملك حل حكومة سليمان النابلسي، ولم يمضِ على تشكيلها سوى أقل من عام.

هنا؛ وجد أنور الخطيب الفسحة التي أرادها، في ذلك الوقت بالالتفات الى مكتب المحاماة الذي أسسه هو والمحامي «إبراهيم بكر» في القدس، فنشط في المكتب حيث تدرب لديه العديد من المحامين الذين أصبحوا مرموقين لاحقاً. ونشط أنور الخطيب في المحاماة حتى بداية العام 1964 حيث استدعاه القصر الملكي في الأردن مرة أخرى، ليس للحكومة، ولكن هذه المرة لتعيينه أول سفير للأردن في جمهورية مصر العربية؛ على إثر مؤتمر القمة العربي الثالث الذي عقد في القاهرة في الفترة 13 – 17 من كانون الثاني في العام نفسه (1964). وقد صدر عن المؤتمر بيان ختامي تضمن «أهمية الإجماع على تصفية الخلافات العربية، وتحقيق المصالح العربية العادلة المشتركة، ودعوة دول العالم وشعوبها الى الوقوف الى جانب الأمة العربية في دفع العدوان الإسرائيلي». وقد وثقت القرارات العربية لأول مرة في رسالة إلى الأمم المتحدة بعد ثمانية أشهر من عقد مؤتمر القمة.

وفي ذلك المؤتمر أنشئت منظمة التحرير الفلسطينية، لتعبر عن إرادة الشعب الفلسطيني، ولتكون هيئة تطالب بحقوقه وتقرير مصيره. وكلف المؤتمر ممثل فلسطين حينها أحمد الشقيري بالاتصال بالفلسطينيين، وتحضير تقرير يقدم للقمة العربية القادمة. فقام الشقيري بالتواصل مع الفلسطينيين في الدول العربية، كما قام ورفاقه بوضع الميثاق القومي والنظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية، كما تقرر عقد مؤتمر فلسطيني عام في القدس. عقد المؤتمر في القدس في الفترة 28 أيار – الثاني من حزيران من العام 1964 حيث افتتحه الملك حسين. وقد عرف هذا المؤتمر ب«المجلس الوطني الفلسطيني»، الذي انتخب الشقيري رئيساً له، وأعلن عن قيام منظمة التحرير الفلسطينية، وصادق على الميثاق القومي والنظام الأساسي للمنظمة، كما قرر إعداد الشعب الفلسطيني عسكرياً وإنشاء الصندوق القومي الفلسطيني.

أنور الخطيب يروي قصة النكسة: المقدمات والنتائج

سقوط القدس ١٩٦٧م

في الثالث عشر من شهر أيلول من العام 1965 انعقد مؤتمر القمة العربي في الرباط، تحت رعاية العاهل المغربي الحسن الثاني، وقد حضره «أنور الخطيب» ضمن الوفد الأردني، حيث كان سفيراً للأردن لدى مصر. قدمت القيادة العسكرية العربية تقريراً للقادة العرب، وصف بالسري، عن تقييم القيادات العسكرية للمواجهة العسكرية المحتملة مع الجيش الإسرائيلي. في هذا الخصوص يذكر «الخطيب» أن التقرير خلص إلى أن «الجيوش العربية ليست جاهزة للمواجهة مع الكيان الإسرائيلي في الوقت الحالي، وأنه يمكنها الدفاع عن حدود دولها بعد خمس سنوات، أي في العام 1970 إذا ما تم تطبيق التوصيات والخطط التي رفعها قادة الجيوش العربية للزعماء العرب».

لقد ظهر جلياً، وبعد عقود من الزمن، أن المخابرات الإسرائيلية اخترقت سرية المؤتمر، بالتعاون مع المخابرات الفرنسية[44] التي ساعدتها المخابرات الإسرائيلية «الموساد» في تصفية قادة الثورة الجزائرية. تبين أن الموساد تمكن من أن يتجسس على لقاءات الزعماء العرب والأحاديث التي كانت تدور في المؤتمر، بل ان رئيس جهاز الموساد حينها، مئير عميت، نزل شخصياً في نفس الفندق الذي نزل به القادة العرب[45]. كان للوثائق التي عرضت في المؤتمر، سواء السرية منها أو العلنية، والتي زودها الموساد للقيادة الإسرائيلية، وبخاصة ما يتعلق بالوثيقة التي تؤكد عدم جاهزية الجيوش العربية لخوض حرب مع الجيش الإسرائيلي، أثر كبير على قرار القيادة الإسرائيلية بشأن المعركة القادمة. أما على صعيد القرارات ومتابعتها، وبخاصة تلك التي عرضها قادة الجيوش العربية، فمن الواضح أن القرارات كانت تذهب أدراج الرياح بانتهاء المؤتمر، وبخاصة تلك التي تدعو للتضامن والتعبئة لمواجهة خطر الكيان الإسرائيلي.

---

44 تم إيقاف هذا التعاون وتفكيك خلية الموساد بالمغرب بأمر من الرئيس الفرنسي شارل ديغول بعد قتل الموساد لناشط سياسي مغربي يدعى بن برقة على الأراضي الفرنسية. وقد تعدى الأمر ذلك بان أوقف ديغول تزويد الجيش الإسرائيلي بقطع غيار لطائرات الميراج الفرنسية التي زودت فرنسا بها الجيش الإسرائيلي سابقاً.

45 رونين بيرغلي وسلومو نكديمون – يديعوت احرانوت – 2015

في العام 1966 استدعت الحكومة الأردنية «أنور الخطيب» لتعيينه محافظاً لمحافظة القدس. ومع انتهاء عمله سفيراً لدى جمهورية مصر العربية، وهو من ربطته علاقة جيدة بقادتها وسياسييها، فكان أن ذهب لوداع الرئيس جمال عبد الناصر في بيته بمنشية البكري. وهنا، يذكر «الخطيب» أنه، وجد عبد الناصر بمزاج جيد، وتحدث في جملة من القضايا العربية، وعندما وصل للقضية الفلسطينية ذكر بأنه «لا يوجد حل لها إلا عن طريق العمل السياسي». وقد سأله الخطيب «يا سيادة الرئيس ما دام هذا هو رأيكم فلماذا لا تصارح به الشعوب العربية، ولماذا تكرار الحديث عن الحرب القادمة، وتكديس السلاح وإهدار الثروات العربية؟». فكان رد عبد الناصر بأن قال: «إن أي حل سياسي سيتطلب الاعتراف بدولة إسرائيل، إضافة لتنازلات لا يقدر عليها أي زعيم عربي»، فسأل انور الخطيب «انت الزعيم العربي الذي يملك الشارع العربي من محيطه لخليجه وانت موضع ثقة الجميع»، فأجاب الرئيس جمال عبد الناصر: «ومن أنا حتى اقول لابن عكا: خلاص مالكش وطن، فهذا الموقف لا يقدر عليه إلا أصحاب الأرض وهو الشعب الفلسطيني».

في مستهل العام 1966 نجح الانقلاب العسكري الثالث عشر في سوريا في القضاء على نظام حكم الرئيس السوري امين الحافظ صاحب الانقلاب الثاني عشر. وقد ساعد في نجاح الانقلاب اكتشاف الامن السوري للجاسوس الاسرائيلي ايلي كوهن في مستهل العام 1965، وكان يدعو نفسه حينها كامل امين. ومن الواضح أن الجاسوس، الذي كان مقرباً من الرئيس أمين الحافظ، حتى انه كان من الممكن أن يترشح لرئاسة سوريا، وكان قد تمكن من جمع كامل المعلومات عن سوريا والدول العربية، وبخاصة مصر، وتزويد الكيان الإسرائيلي بها.

مع قيادة سوريا الجديدة فتح المجال للعمل الفدائي الفلسطيني في العام 1966، حيث نشط واتسعت ميادينه، من عمليات على الحدود المشتركة مع الكيان الإسرائيلي إلى عمليات في عمق الكيان نفسه. وقد كان من بين الأعمال الفدائية تلك التي استهدفت مشروع الكيان الإسرائيلي، الذي سعى الاسرائيليون حينها الى سرقة المياه العربية؛ بتحويل روافد نهر الأردن إلى بحيرة طبريا ومنها إلى صحراء النقب. لقد كان رد الفعل العربي ضعيفاً بان قرروا تحويل مسار روافد نهر الاردن، حتى لا تستفيد دولة اسرائيل من مياهها وبخاصة في ظل العجز العربي من منع الاسرائيليين عسكرياً.

في نفس العام 1966 قامت الادارة الامريكية ممثلة بالرئيس الامريكي ليندون جونسون بتزويد الكيان الاسرائيلي بمائتي دبابة حديثة من نوع باتون، إضافة لسرب من طائرات سكاي هوك. كانت الصفقة برأي الصحف الامريكية لدعم المحور التركي-الاسرائيلي امام المحور السوري-المصري الذي كان يدعمه السوفييت.

في الثاني عشر من شهر تشرين الأول من العام 1966 قام الجيش الإسرائيلي بالرد على العملية الفدائية التي جرت في السموع من محافظة الخليل، والتي قتل وأصيب خلالها عدد من الجنود الإسرائيليين. حيث قامت القوة الإسرائيلية المؤلفة من الدبابات والمدرعات بنسف أكثر من مئة بيت في قرية السموع، واشتبكت مع قوة من الجيش الأردني استشهد منها ثمانية عشر جنديا. لقد كانت القوة الإسرائيلية المدرعة اختبارا لمعاهدة الدفاع العربي المشترك، والتي نصت على أن «أي اعتداء على أي بلد عربي يعتبر اعتداء على كل الدول العربية». لم تهب أية دولة عربية بعد هذا الهجوم، تحقيقاً للمعاهدة. ولهذا، قامت مظاهرات صاخبة في الضفة الغربية طالب المتظاهرون خلالها إعداد المواطنين بمدهم بالسلاح لمواجهة الغطرسة الإسرائيلية.

يذكر أنور الخطيب المظاهرات، التي اندلعت بشكل عفوي، واستغلال البعض للمظاهرات بالاعتداء على بعض الضباط الأردنيين الذين كانوا على أبواب مبنى المحافظة، وقد طلب المحافظ من قيادة الجيش والشرطة الأردنيين بعدم التعرض للمتظاهرين. أدان مجلس الأمن بقراره رقم 228، مباشرة بعد العدوان على بلدة السموع، ما قام به الجيش الإسرائيلي من اعتداءات وذلك بإجماع اربعة عشر صوتاً وامتناع نيوزيلندة. ولقد سبق هذا القرار خمسة قرارات أخرى تدين إسرائيل، ولكنها لم تجبرها على وقف ممارساتها[46].

أما الموقف المصري، بقيادة جمال عبد الناصر، فقد بدا ضعيفا؛ إذ لم تحرك القوات المصرية ساكنا، وقد كان رد عبد الناصر لاحقا بان أرسل قائد الجيش المصري محمد فوزي في 14 ايار من العام 1967 الى دمشق، للتنسيق والتشاور، وفي اليوم التالي بدأ الجيش المصري يتحرك نحوسيناء وبدأ يبث تحركاته الاستعراضية على شاشات التلفاز، بالرغم من اعتراف عبد الناصر بعدم جاهزية الجيش المصري للمعركة؛ حيث أن أغلب الجيش المصري كان في اليمن، وكان الوضع الاقتصادي المصري متدهورا، وبخاصة ان الجنيه المصري تدهورت قيمته بعد طلب الامريكان من المصريين دفع قيمة القمح المستورد بالدولار الأمريكي.

أما الوضع العربي فقد كان مفككا، والحرب الاعلامية بين الدول المحافظة والأخرى التقدمية على أشدها. وقد ذهبت مصر نتيجة للحرب الاعلامية واتهامها بعدم الجدية في مواجهتها للغطرسة الاسرائيلية من قبل الدول العربية المحافظة، بان اصدر عبد الحكيم عامر قرارا يقضي بسحب القوات الدولية من مواقعها في سيناء، والتمركز في غزة، مما حدا بأمين عام الامم المتحدة يو ثانت ان يخير المصريين بين الانسحاب الكامل للقوات

46 القرارات: 93 (1951)، 101 (1953)، 106 (1955)، 111 (1956)، 171 (1962)

الدولية من جميع المواقع او عدم الانسحاب، وقد كان هذا رأي رالف بانش الذي كان يكن العداء للعرب والمصريين بشكل خاص[47].

توالت الأحداث إلى أن أعلن جمال عبد الناصر في خطابه في القاعدة الجوية المصرية بتاريخ 22 ايار من العام 1967، وذلك بعد سحب الامم المتحدة للقوات الدولية، بان خليج العقبة هو جزء من المياه الاقليمية المصرية، وان هذا يعني ان مصر ستمنع السفن الإسرائيلية من العبور عبر مياه الخليج، وقال عبارته المشهورة: «إن كانت اسرائيل تهدد بالحرب، فجوابي لها: اهلا وسهلا فنحن على اتم الاستعداد».

لقد تأكد محافظ القدس «أنور الخطيب» من إعلان عبد الناصر بأن الحرب واقعة لا محالة. ولهذا، فقد دعا الى مكتبه قناصل الدول العربية: العراق، مصر، سوريا، لبنان والسعودية في القدس، وأعلمهم ان الحرب باتت وشيكة، وأنه عليهم أن يقوموا بإبلاغ حكوماتهم اذا رأوا ذلك مناسبا. وفي الوقت نفسه اجتمع «الخطيب» برجالات المدينة في القدس، وتم تشكيل لجان مختلفة للدفاع والتموين والمواصلات وغيرها للتعامل مع ما يطرأ، وقام بتوجيه نداء للمواطنين للتبرع بالدم.

أما الموقف الأمريكي، فكما ذكر «أنور الخطيب» فكان «منافقاً وكاذباً»؛ فقد ارسل الرئيس الامريكي ليندون جونسون برسالة للملك حسين في 23 تشرين الثاني من العام 1966 جاء فيها: «لقد نقل لي السفير فندلي بيرز قلق جلالتكم من نوايا اسرائيل التوسعية، خصوصا على حساب الضفة الغربية، وانني في الوقت الذي ادرك فيه أسباب مخاوفكم، أستبعد ان تصبح هذه المخاوف حقيقية، اذ ان موقفنا بوجوب المحافظة على خط الهدنة واضح ومعروف لدى اسرائيل، وان اسرائيل ترتكب خطأ فاحشا اذا حاولت الاعتداء على الخط، وأؤكد لكم ان اسرائيل على اطلاع تام على موقفنا هذا[48]». لم تكتفِ امريكا بهذا الرد، فقد قامت بتحويل سفينة شحن الأسلحة المتوجهة إلى ميناء العقبة لصالح الجيش الاردني نحو الحبشة لتفرغ حمولتها هناك، في الوقت الذي بدأت تمد اسرائيل بجسر جوي من الأسلحة الهجومية، وخصوصا طائرات سكاي هوك من خلال قاعدتها في ليبيا. وقد ذهبت أمريكا إلى أبعد من هذا؛ فقد قام علماؤها وجواسيسها باختراق جميع المنظومات العسكرية

٤٧ Benjamin Rivilin and Leon Gordenker, The Challenging Role of The UN Secretary-General, 1993

48 Donald Neff, Warrior for Jerusalem: The Six days that changed the Middle East, 1985

المصرية لصالح اسرائيل، لضمان نجاحها في الضربة العسكرية المباغتة للقوات المصرية[49].

أعطت أمريكا إسرائيل الضوء الأخضر للهجوم وفي الخامس من حزيران باغت الجيش الاسرائيلي القوات الجوية المصرية ودمر معظم سلاحه الجوي ومعظم مطاراته من الأقصر الى القاهرة.

مع بدء الحرب، وفي ليل السادس من حزيران غادر «أنور الخطيب» غرفة العمليات الواقعة في مركز قيادة الشرطة، وبرفقته حازم الخالدي، متوجهين إلى «فندق ريتس» لأخذ قسط من الراحة. ولم يبدد ظلام الليل الحالك الا تساقط القنابل في المنطقة، ما دل على أن جيش الاحتلال الإسرائيلي يقترب أكثر باتجاه قلب القدس. وبوصولهم للفندق، حاول «الخطيب» أن يتواصل مع القائد العسكري عطا علي، الا انه لم يتمكن من ذلك، وعلم لاحقاً انه انسحب الى داخل السور برفقة قائد الشرطة، ولم يُعلِم المحافظ، وان الجيش الاسرائيلي تمكن من اجتياح حي الشيخ جراح، ووضع علمه على مستشفى مار يوسف، كما اتجهت قوة اسرائيلية نحو المتحف الفلسطيني في واد الجوز ونحو باب العمود.

أنور الخطيب ود. أمين مجج في مستشفى المطلع

49 Elie Podeh, The Lie That Won't Die: Collusion, 1967, in Middle East Quarterly, Winter 2004, pp. 51–62.

غادر الخطيب والخالدي الفندق نحو باب الساهرة، ومعهما مرافقان اثنان استشهد احدهما وأصيب الآخر بجراح، قبل الوصول الى مدخل باب الساهرة الذي كان مقفلا، وقد بادر الضابط الاردني منصور كريشان بفتح الباب، وذكر للخطيب انه خسر القسم الأكبر من افراد كتيبته. توجه الخطيب الى ساحة المسجد الاقصى متخذاً دائرة الاوقاف مقراً. لقد علم من عطا علي أن الموقف حرج للغاية؛ فقد انسحب اللواء المعسكر في رام الله بقيادة كمال الطاهر، وانسحبت معه القوة المتمركزة في مرتفعات النبي صمويل التي تشرف على مدينة القدس. واردف عطا علي بأن اللواء الموجود في الخليل بقيادة بهجت محيسن قد انسحب ايضا.

بهذا علم «الخطيب» بحرج الموقف الذي يشير ان القدس اصبحت مكشوفة من الشمال والجنوب، وقد ظهر لاحقاً ان الاوامر بالانسحاب جاءت من عبد المنعم رياض. وقد رأى أنور الخطيب، وباستغراب بالغ، أن «هذا الانسحاب الذي تم دون قتال هو سر من أسرار حرب حزيران دفن مع عبد المنعم رياض».

قضى انور الخطيب يوم السادس من حزيران في دائرة الاوقاف، برفقة الشيخ سعيد صبري وحسني الاشهب وحازم الخالدي وفؤاد طهبوب، وبقوا هناك حتى المساء الى ان حضر عطا علي لإعلام «أنور الخطيب» بانه ليس هناك أمل في وصول نجدة للقدس، التي اصبحت مطوقة، وان اجهزة الاتصال كلها مجمدة وليس أمامه والحالة هذه إلا الانسحاب مع من تبقى من جنوده. وطلب من أنور الخطيب أن يهيئ نفسه للانسحاب معه، فهو محافظ القدس والحاكم العسكري لها.

لم يستطع انور الخطيب تحمل هذا الكلام وبخاصة الانسحاب، ومن أين؟ من القدس الشريف، فبادر بسؤال عطا علي مستفسراً إن كان هذا هو قراره الأخير. فأجاب عطا علي بالإيجاب. وبعد صمت قال أنور الخطيب لعطا علي: «هذا قرارك، وانا لا اتدخل فيه. أما فيما يتعلق بي فأنا هنا مع أهل المدينة وشعبها، مع الذين أحبوني وأحببتهم، ومع الذين وقفوا معي في الرخاء، فلا اتركهم في الضراء. إنني أربط مصيري بمصيرهم، وأنا هنا تحت ظلال هذه القباب التي ترتفع في سماء القدس، افتديها مع المرابطين بالأرواح والمهج ولا نسمح بالمساس بها ما دامت تجري الدماء في عروقنا. أما أنت، فاتمنى لك ولجنودك السلامة». وعانق «الخطيب» عطا علي الذي غادر منسحباً مع جنوده.

ما إن كادت شمس يوم الأربعاء (السابع من حزيران) تشرق حتى حاول «أنور الخطيب» ومن معه تقدير الموقف، ولم يطل الأمر، ففي الساعة الحادية عشرة صباحاً اقتحم جنود الاحتلال مكتب الاوقاف، حيث يوجد «أنور الخطيب» ورفاقه، وأشهر الجنود السلاح وفتشوا

الموجودين تفتيشاً جسديا، ثم أمروهم برفع أيديهم واقتادوهم إلى ساحة المسجد الأقصى، وطلبوا منهم الوقوف ووجوههم للجدار وايديهم مرفوعة.

بقي انور الخطيب وحازم الخالدي وسعيد صبري ورفاقهم على وقفتهم، الى ان طلب ضابط من «أنور الخطيب» وسعيد صبري مرافقته لمقابلة القائد. ويذكر «أنور الخطيب» ان القائد العسكري كان ينظر الى خريطة أمامه، وعندما وصل الخطيب وصبري مد يده لمصافحة «أنور الخطيب» قائلا انهم لم يأتوا للقتل والتدمير، وانما لطرد الجيش الاردني، ثم سأل الخطيب عن مدى علمه بعدد المصابين في القدس فأجابه بالنفي. وقبل الغروب طلب القائد العسكري من «أنور الخطيب» ان يعطيه شهادة بان الاماكن المقدسة سليمة ولم يلحق بها أي أذى، الأمر الذي أحاله انور الخطيب للقاضي سعيد صبري، واتفقا على ان يقوم المسلمون بفحص المسجد الاقصى بعد ان تم استلام المفاتيح. لقد سمح أخيرا لـ «أنور الخطيب» ورفاقه بالمغادرة والذهاب الى بيوتهم. وهكذا بدأ فصل أسود جديد لاحتلال كامل فلسطين ودرتها المدينة المقدسة.

انتهت حرب حزيران 1967 بالهزيمة التي أطلق عليها «نكسة 67» تماما كما أطلق سابقاً «نكبة 48». وقد رفضت القيادات العربية، وبخاصة جمال عبد الناصر الاعتراف بالهزيمة، وأن دولة إسرائيل حققت نصراً يقضي على العزيمة العربية للنصر. وقد برز هذا في أول قمة عربية بعد الحرب، والتي عقدت في الخرطوم في السودان في 29 آب من العام 1967، حيث صدر عنها ما عرف بقرار «اللاءات الثلاثة: لا سلام مع إسرائيل، لا اعتراف بإسرائيل، لا مفاوضات مع إسرائيل». كما كان القرار العربي بدعم مصر والأردن، باعتبارهما خط المواجهة الأول للعدو الإسرائيلي.

على صعيد مدينة القدس، بدأ الاحتلال، ومنذ اللحظة الأولى لانتهاء الحرب، بمحاولة إعادة الحياة إلى طبيعتها. وقد ظهر جلياً أن لدى الإسرائيليين المعلومات الكافية والدقيقة عن الدوائر العاملة والموظفين العاملين فيها، بدليل تواصلها معهم لاستمرارهم في أعمالهم لخدمة سكان «الشطر الشرقي» من القدس. وفي الوقت نفسه، كانت الحكومة الإسرائيلية قد أعدت مسبقاً مخططاتها لإحكام السيطرة على القدس من خلال قوانين متعددة، مثل: «حارس أملاك الغائبين»؛ الذي أجاز للمحتل الاستيلاء على عقارات وأراضي وثروات الفلسطينيين بعد حرب 1948، وحتى الأراضي الوقفية ومؤسساتها صارت تتبع وزير الأديان في الحكومة الإسرائيلية.

لقد تنبه المقدسيون، ومنهم «أنور الخطيب» لهذا الأمر، فقام وشخصيات مقدسية بالاجتماع في قاعة محكمة الاستئناف الشرعية الواقعة في شارع صلاح الدين بالقدس؛ للنظر في

كيفية تفادي الخطر القائم. وقد كان لقرار المجتمعين أن تم تأسيس دوائر محلية محل الدوائر الأردنية، فتم تشكيل مجلس للأوقاف وآخر للقضاء الشرعي، وتم استكمال النصاب القانوني لمحكمة الاستئناف الشرعية وتعيين مدير لها ومدير لأوقاف القدس، وتم أيضاً تشكيل لجنة إعمار للمسجد الأقصى. ومما لا شك فيه أن كان لتلك الخطوات العملية الأثر الكبير في الحفاظ على النسيج الاجتماعي والديني في مدينة القدس، وتحييد سيطرة حكومة الاحتلال عليه.

لقد ذهب المجتمعون في مجلس الأوقاف بشعورهم بالمسئولية، وبضرورة مجابهة الخطط الإسرائيلية وقرارها بضم القدس، بأن قاموا بإرسال كتاب احتجاج للحاكم العسكري العام؛ رافضين قرار ضم القدس وأن القدس تعتبر جزءاً من الضفة الغربية، والتي تعتبر جزءًا من المملكة الأردنية الهاشمية، وأن القرار الإسرائيلي مخالف للفقرة الرابعة من ميثاق هيئة الأمم المتحدة، وأن سكان القدس كانوا قد مارسوا حقهم الكامل في تقرير مصيرهم بحرية كاملة، وذلك بإعلان الوحدة بين الضفتين، استناداً إلى القرار الذي اتخذه مجلس الأمة الأردني في 24 نيسان من العام 1950. كما طالب الكتاب بعدم تدخل الاحتلال بالشؤون الدينية للمسلمين، بما في ذلك الأحوال الشخصية والقضاء الشرعي وأمور الوعظ والإرشاد واحترام الشعائر الدينية وحرمة الأماكن المقدسة وعدم المساس بها أو التعرض للأوقاف الإسلامية. وقد وقع الكتاب كل من: أنور الخطيب، عبد الحميد السائح، سعيد صبري، كمال الدجاني، عارف العارف، عبد الرحيم الشريف، سعيد علاء الدين، عبد المحسن أبو ميزر، اسحق الدزدار، داود الحسيني، روحي الخطيب، سعد الدين العلمي، إبراهيم بكر، فؤاد عبد الهادي، حافظ طهبوب، عمر الوعري، إسحق درويش، حسن طهبوب وصبحي غوشة. وعلى أثر الكتاب، صدر قرار عسكري بإبعاد أنور الخطيب وداود الحسيني وعبد المحسن أبو ميزر وإبراهيم بكر عن مدينة القدس، ولمدة ثلاثة أشهر.

أبعد أنور الخطيب إلى مدينة صفد، وطلب منه إثبات تواجد ثلاث مرات يومياً، وأن يقيم على حسابه الشخصي. ويذكر «أنو الخطيب» أنه لدى إعتقاله فجراً لإبعاده قال له الضابط أن يستلم الكتاب الذي تم توجيهه للحاكم العسكري، ورفض الخطيب ذلك؛ كون الكتاب من مجلس الأوقاف واستلامه ليس من اختصاصه. فما كان من الضابط وبعد تكبيل يدي أنور الخطيب إلا أن دسه في جيب بنطال «الخطيب».

مع نهاية العام 1967 رجع «أنور الخطيب» من منفاه إلى بيته، وبعد عدة أشهر، وتحديداً بتاريخ 4 نيسان من العام 1968 طلب موشي ساسون زيارة «أنور الخطيب» في منزله في حي بيت حنينا بالقدس، وذلك بطلب من ليفي إشكول رئيس وزراء دولة اسرائيل. وخلال

زيارته للخطيب عرض ساسون على الخطيب رغبة ليفي إشكول بمقابلته؛ للتباحث معه في مواضيع سياسية تتعلق بالأردن. قبل الخطيب دعوة إشكول، وقد قابله في القدس بمنزله. ذكر الخطيب أن إشكول تناول التحذير السوفيتي الذي نقله السفير الروسي لإسرائيل، بإزالة حشودها العسكرية عن الحدود السورية، وأن رد إشكول بأن طلب من السفير مرافقته للحدود ليريه بأن ليس هناك حشود إسرائيلية، ورفض السفير الروسي العرض. كما تطرق للأردن، وأنه أرسل من خلال الجنرال أودبول، قائد القوات الدولية، للملك الاردني يعلمه بأن لا نية لإسرائيل في مهاجمة الأردن، وأن إسرائيل لم تبادر للحرب، إنما فرضت عليها الحرب. وتوجه بالطلب من «أنور الخطيب» إذا ما كان بإمكانه التحدث باسم الأردن، فعاجله الخطيب بالنفي، وأضاف: إذا ما كان هناك أي مجال لمحادثات سلام، فبإمكانه الاتصال بعمان وعرض الموضوع على المسئولين هناك. لقد لاحظ الخطيب «أن مستشار إشكول أشار إليه بعينه، بأن لا يواصل الحديث في هذا الموضوع». وهكذا انتهى اللقاء بأن إشكول سيدرس إمكانية ما طرحه «الخطيب» ويعاود التواصل معه، الأمر الذي لم يحصل بعدها قط.

تابع «أنور الخطيب»، الذي حافظ الملك الأردني على تعيينه محافظاً للقدس، ومعه شخصيات مقدسية وفلسطينية من الضفة الغربية وقطاع غزة، على شؤون القدس وبخاصة من خلال مجلس الأوقاف أو المجلس الإسلامي الأعلى، أو من خلال المؤسسات المقدسية المتعددة، مثل: مؤسسة دار الطفل العربي، وجمعية المقاصد، وشركة كهرباء القدس وغيرها من المؤسسات التي كان لها دور في المحافظة على الوجه الفلسطيني للقدس. وقد وجد «أنور الخطيب» في مكتبه بشارع صلاح الدين في القدس، مكاناً للاجتماع مع مختلف الشخصيات والقيادات المجتمعية، وقد كان الخطيب ممثلاً للمملكة الأردنية الهاشمية في القدس؛ يستقبل الشخصيات الدينية المسيحية والقناصل المتواجدين في القدس.

نشطت حركة الاستيطان الإسرائيلي في كل فلسطين، والقدس بوجه الخصوص، منذ حكومة ليفي إشكول ثم غولدا مئير فإسحق رابين، وقد كان الاستيطان محصوراً في المناطق غير المأهولة؛ لأسباب أمنية وضمن ما عرف بخط الون، غير أن الهجمة الاستيطانية شهدت تحولا كبيراً مع بدء تنفيذ اتفاقية كامب ديفيد في نهاية سبعينيات القرن الماضي بين مصر وإسرائيل، وأخذ الاستيطان بعداً جديداً إضافة للبعد الأمني، وهو أن أرض فلسطين بالكامل هي أرض الميعاد، وأن حق اليهودي البناء على أية بقعة منها حتى لو كان في وسط المدينة العربية، وهو ما حصل في مدينة الخليل.

أنور الخطيب: يرى في زيارة السادات لإسرائيل أسرار لم تُكشف بعد

لقد ذهب المستوطنون، وبتعاون واضح مع الحكومة الإسرائيلية والوكالة اليهودية بعد توقيع معاهدة كامب ديفيد، إلى وضع خطة دروبلس (Drobless Plan[50])، وجاء في بيانها: «هناك أحاديث عن مفاوضات قادمة تتعلق بيهودا وشمرون، ولذا فنحن الآن في سباق مع الزمن وعلينا أن نسارع في إقامة المستوطنات حتى إذا تم تطبيق الحكم الذاتي فإنه يطبق فقط على السكان دون الأرض ولهذا علينا أن نحول أكبر مساحة من الأرض إلى مستوطنات وفي أقصر مدة ممكنة». أما مدينة القدس، فقد تزايدت وتيرة تهويدها ومحاولات التحكم بالمقدسات الإسلامية والمسيحية، وبخاصة المسجد الأقصى المبارك ومحيطه.

يتذكر «أنور الخطيب» قصة اتفاقيات كامب ديفيد بألم بالغ، خصوصا أنها جاءت بعد حرب أكتوبر في العام 1973، حيث تجلى شيء من الوحدة العربية أمام الدعم الأمريكي اللامحدود لدولة إسرائيل. ومن الواضح أن الخلاصة التي وصل إليها «الخطيب» هي مجموعة من علامات الاستفهام عن الأسباب الحقيقية التي أدت بالقيادة المصرية إلى مخاطبة الإسرائيلين بتاريخ 9 تشرين الثاني من العام 1977، بأن الرئيس المصري على استعداد ليذهب إلى الكنيست لمخاطبة الإسرائيليين؛ لعدم إراقة دماء أي جندي مصري. وقد حرص السادات يومها على إحضار ياسر عرفات بطائرته الخاصة من ليبيا إلى القاهرة لحضور الخطاب، وحرص بعدها على ترجمة خطابه إلى عرض قدمه إلى أعضاء من مجلس الكونغرس الأمريكي الذين نشطوا بعد سماعهم خطابه.

لقد تحقق ما أراده السادات بعد عشرة أيام من خطابه، وذلك في يوم السبت الموافق 19 تشرين الثاني من العام 1977، حيث هبطت طائرته في مطار اللد، وما لبث أن خرج من بابها يهبط درجات سلم الطائرة بخطوات مترنحة وغير متزنة. يذكر الخطيب مشاهدته لهذا الحدث على التلفاز، وهو يردد في نفسه: «لماذا هذه الزيارة وأية كرامة نزفت دماً، واي كبرياء قومي تهاوى وتزعزع بنيانه، وأي إحباط هذا الذي حمل السادات على ركوب هذا المركب الخشن؟!».

في اليوم الثاني توجه أنور السادات الى المسجد الأقصى ليصلي صلاة العيد. وقد كان لرغبة السادات في الصلاة في المسجد الأقصى وقع الحيرة والانقسام؛ فهو ليس ضيف

50 B'TSELEM, Land Grab – Israeli's Settlement Policy in the West Bank, 2002

الفلسطينيين إنما الاحتلال الإسرائيلي، وقد كان الخيار: إما أن يتم إهماله ومقاطعة الصلاة في المسجد الأقصى من القيادات المقدسية، ومن ثم الذهاب للصلاة في مسجد جمال عبد الناصر في البيرة؛ تعبيراً رمزياً عن رفض زيارة رئيس أكبر دولة عربية للكيان الإسرائيلي، أو الرأي الثاني القائل بأن يزور السادات المسجد الأقصى الذي هو ملك للمسلمين، وأن عدم حضور المقدسيين ومن يدير شؤون المسجد من الفلسطينيين معناه أن يأتي تيدي كوليك رئيس بلدية الاحتلال أو وزير الأديان الإسرائيلي ليكونا في استقباله. وهكذا كان من رأي المشرفين على المسجد الأقصى، فاستقبله «أنور الخطيب» ومن معه من شخصيات مقدسية ودينية على باب الاسباط.

يذكر «الخطيب»، الذي ربطته علاقة صداقة بأنور السادات، خلال وجوده سفيراً للأردن في مصر[51]، أنه سأل «أنور السادات» وهم في طريقهم مشياً من باب الأسباط للمسجد الأقصى: «أهلا بك يا سيادة الرئيس، واني أقدر ما بذلته من جهد وضغط أعصاب وتفكير عميق في تقدير لجميع الأمور، وأنت تقوم بهذه الزيارة، التي تطلبت منك شجاعة تفوق شجاعتك وأنت تأمر الجيش المصري بعبور قناة السويس ودك حصون بارليف»، وقد أجابه السادات بكلمات متقطعة وغير واضحة «اللّه أعلم – واللّه المستعان – والحمد للّه». وقد حاول «أنور الخطيب» أن يحث السادات على الحديث إلا أنه لم يتحدث أكثر مما ذكره سابقاً.

لقد أوصل أهل القدس، من القيادات الدينية والسياسية، رسالة واضحة للسادات بشأن القدس، ومن ضمنها خطبة الجمعة التي ألقاها الشيخ عكرمة صبري خطيب المسجد الأقصى. أما السادات فقد غادر متوجها إلى كنيسة القيامة، ثم قام بعدها بزيارة موقع «ياد فاشيم»؛ وهو النصب التذكاري الذي أقامه اليهود في القدس لذكرى ضحايا النازية. وهناك رفض السادات ارتداء الطاقية الدينية اليهودية على رأسه.

كان خطاب السادات في اليوم الثاني في الكنيست، وقد طلب في خطبته بشكل مباشر انسحاب الإسرائيليين من الأراضي التي احتلوها في حزيران من العام 1967، إلا أن خطاب مناحيم بيغين رئيس الوزراء الإسرائيلي كان يقطر سماً، حين قال للسادات: «أنت تعلم أننا رفضنا في الماضي، ونرفض في الحاضر والمستقبل، أية شروط مسبقة، وأن هذه البلاد هي بلادنا، وليست بلادكم، وأننا نستند في حقنا إلى إرادة اللّه ووعده، فنحن لسنا غرباء، ولم ننس أرضنا الموعودة في يوم ما».

وفي اليوم الذي تلاه قام «أنور الخطيب» وحكمت المصري ونعيم عبد الهادي ونهاد جار اللّه

51 مع صلاح الدين في القدس – أنور الخطيب، 1989

بزيارة السادات في فندق الملك داود، بناء على ترتيب مسبق، وقد كان في اللقاء وفد من غزة والضفة الغربية كان منهم ابراهيم أبو ستة الذي وقف، دون التنسيق مع أي من الشخصيات الفلسطينية الموجودة، ليعلن عن طلبه إلقاء كلمة فلسطين مرحباً بالسادات، وما حققه الجيش المصري، وأنه لا يحق لأحد التحدث عن فلسطين إلا منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للفلسطينيين. أما أنور الخطيب، فقال: «أرجو أن تكون زيارتك هذه تمهيداً للفتح العظيم كما كان صلح الحديبية أيام الرسول الأعظم تمهيدا لفتح مكة». ولم يقابل السادات كلام «الخطيب» بالرضا، واستأذن بالانسحاب لارتباطه بمواعيد.

حاول «أنور الخطيب» من خلال علاقة الصداقة التي تربطه بقيادات مصرية مثل حسن التهامي، الذي التقى مع ديان في المغرب مرتين، وتحت إشراف الملك المغربي الحسن الثاني للتمهيد لزيارة القدس، أن يفهم كيف قرر السادات زيارة القدس، ولكنه لم يتمكن. وفي زيارة للرئيس الأمريكي جيمي كارتر للقدس، ومقابلة أنور الخطيب له، ذكر كارتر: أن زوجته «روزالين» هي التي أوحت له بضرورة دعوة القيادة المصرية والإسرائيلية إلى منتجع كامب ديفيد. وهذا ما تم في يوم الخامس من سبتمبر من العام 1978، حيث بدأت مفاوضات شاقة لمدة ثلاثة عشر يوماً، استقال خلالها وزير الخارجية المصري محمد إبراهيم كامل، ولم ينتظر أن يعود لمصر كما هو العرف.

أنور الخطيب وهند الحسيني وإليزابيث ناصر وسيدات مقدسيات مع جيمي كارتر أمام قصر إسعاف النشاشيبي

لقد ظهر جلياً أن التنازلات المتتالية من قبل السادات كانت استجابة لطلبات جيمي كارتر، الذي لم يستطع الضغط على مناحيم بيغن حتى في موضوع تجميد الاستيطان الإسرائيلي خلال المفاوضات، حيث قام «أنور الخطيب» بإرسال كتاب في الحقيبة الدبلوماسية للسادات بشأن تسارع وتيرة الاستيطان مع بدء المفاوضات، إلا أن السادات وكارتر لم يستطيعا عمل شيء حيال هذا الأمر.

يرى «أنور الخطيب» أن السادات تأثر بشخصيتين أمريكيتين دفعتاه للقيام بزيارة القدس وتوقيع الاتفاقيات مع الكيان الإسرائيلي: أما الأولى، فهو هنري كيسنجر، والذي عرف عنه الكذب والرياء والدهاء في نفس الوقت. وأما الشخصية الثانية، فهو جيمي كارتر، الذي كان السادات يحاول أن يمنحه نجاحاً دبلوماسياً على حساب القضايا العربية، لمعرفته بعدم قدرة كارتر على الضغط على إسرائيل. وهكذا كان؛ فقد كان رأي «أنور الخطيب» أن السادات، وباغتياله على منصةالاستعراض بالقاهرة أخيراً، كان ضحية النفاق الأمريكي وأن هذا «سيكون مصير كل حاكم يثق بأمريكا أو وعودها».

يتذكر «أنور الخطيب» التمزق والخلافات التي دبت في جسم الأمة العربية، بعد تحييد أكبر دولة عربية وعقدها «سلاماً منفرداً» مع الدولة العبرية، ثم محاولة تصفية القضية الفلسطينية عسكرياً في لبنان والاغتيالات التي حصلت لتطويع الفلسطينيين، واستفراد الاحتلال الإسرائيلي بفلسطين والقدس بشكل خاص، كان ذروته في 13 حزيران من العام 1985؛ بإصدار الحاخام الاكبر لليهود شلومو غورن فتوى يعلن فيها ان مساحات داخل «جبل البيت» اي داخل الحرم القدسي مسموح لليهود المتدينين الحج اليها، واقامة الصلوات فيها، ويجب إخراج هذه المساحات من سلطة الاوقاف الاسلامية وإلحاقها بالحاخامية اليهودية، وان تصبح شأنا يهوديا، مثل بقية الأحياء القديمة في القدس، التي اعتبروها عاصمة الدولة العبرية.

من خروج بيروت إلى مدريد: أنور الخطيب يلتقي ياسر عرفات وأبا جهاد ليحذر من القادم

استشعر «أنور الخطيب» الخطر الكبير على المسجد الأقصى، وكان حينها رئيساً للمجلس الإسلامي الأعلى، وفي زيارته لمنزل الصحفي ورئيس تحرير صحيفة الدستور الأردنية في

عمان «عرفات حجازي»، طلب منه أن يرتب له لقاء مع ياسر عرفات أثناء وجوده في الأردن، على أن يكون سرياً، وقد كان لعرفات حجازي علاقة قوية معه. يقول عرفات حجازي: «علاقة الرجلين ليست ودية؛ لان لكل منهما وجهة نظر تشكيكية في الآخر، ولكن «أنور الخطيب»، الذي شدد على سرية هذا اللقاء، أكد لي ان مصلحة الوطن والمقدسات تدفعه إلى السعي إلى هذا اللقاء[52]».

لم يؤخر عرفات حجازي الموضوع كثيراً، فخلال ساعة واحدة كان يعرض على ياسر عرفات، المقيم في دار الضيافة في عمان، طلب «أنور الخطيب» للقاء السري. يذكر عرفات حجازي في مقالته: «وبينما كنا نبحث الموضوع، خاصة أن أبا عمار كان يبادل أنور الخطيب ذات مشاعر عدم الود والارتياح، اذ دخل علينا المرحوم ابو جهاد خليل الوزير، وعندما استمع الى الموضوع تحمس لعقد هذا اللقاء، وقال لابي عمار: لعلها مبادرة طيبة، خاصة وأن أنور الخطيب كان من القلة الذين رفضوا إقامة علاقات مع الزعامات اليهودية التي كانت تحاول خطف وده، لأنه من أصلب القيادات التي حافظت على المقدسات».

يذكر عرفات حجازي أن اللقاء تم في منزل أبي جهاد، وحرصاً على السرية التي أرادها «أنور الخطيب»، فقد قام عرفات حجازي بنقل «الخطيب» بسيارته إلى بيت أبي جهاد، وقام أبو جهاد بإخلاء بيته من الخدم، وكلف زوجته أن تقوم بنفسها بشؤون الضيافة. يكمل عرفات حجازي، ويتحدث عن لقاء الرجلين، قائلاً: «وفي مساء ذلك اليوم تعانق «أنور الخطيب» وأبو عمار عناقا شديدا، وكأنهما من اعز الاصدقاء. وبدأ انور الخطيب حديثه على الفور، وهو يحمل بين يديه مجموعة من التقارير التي تؤكد ان مساعٍ سرية في الافق تجري لاقامة علاقات ما بين اسرائيل ومنظمة التحرير، وهذا الحلم الذيً تسعى له اسرائيل بدأت آثاره تظهر بشكل معاكس، وهو ان العرب والفلسطينيين بدأوا يتحدثون عن السلام، بينما اسرائيل بدأت تستعد للحرب والعدوان، وبخاصة على المقدسات، وبشكل اخص على المسجد الاقصى الذي يزعمون أنه أقيم على أنقاض هيكل سليمان المزعوم. ولهذا بدأت زعامات إسرائيل، بلا استثناء، تعمل لكسب معركة السلام، بمحاولات الهيمنة والقوة، وهو ما بدأ في استغلال انشغال المسؤولين الفلسطينيين بالسلام الكاذب، حتى ينفذوا على الأرض المكاسب التي لا يمكن ان يحققوها بغير الخداع وشراء الذمم وخيانة الاوطان».

توسع الخطيب في شرحه ما تتعرض له القدس، وبخاصة من خلال قرارات الشرطة الإسرائيلية وما تنفذه في محيط الحرم القدسي، وما تقوم به جماعات أمناء الهيكل،

52 جريدة الدستور الأردنية، 10 حزيران 2005

وما يكتبه بعض الكتاب اليهود، خصوصا ديفيد أوران والذي يكشف توجهات الحكومة الإسرائيلية في السيطرة على القدس والحرم القدسي بشكل خاص. وقد ذكر في معرض حديثه ما آلت إليه الأوضاع في الكثير من المساجد التي سيطرت عليها الحكومة الإسرائيلية في غفلة منا، وأن الإسرائيليين لا يريدون سلاماً كما نفكر به نحن، ولكنهم يريدون زمناً يمكنهم من إحكام استيلائهم على كل فلسطين ودرتها القدس الشريف. أما ما اقترحه «أنور الخطيب»، فهو: «تشكيل مجموعة من حرس الحرم القدسي من الحراس الحاليين، وإضافة مائتي حارس من الذين لديهم الإنتماء الوطني»، وذكر بأن العدد والنوعية مهمان لضمان كفاءة الحراسة.

ويتابع عرفات حجازي، واصفاً نهاية اللقاء: «وكما بدأ لقاء الزعيمين بالعناق وصفاء القلوب، انتهى أيضاً بانضمام أبي جهاد الذي كان يؤكد بأن الإيمان والبندقية وحدهما هما اللذان يحفظان الأقصى وكرامة العروبة والإسلام».

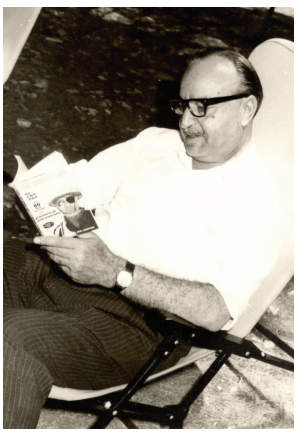

في مكان إبعاده عن القدس، في مدينة صفد في العام 1967

مما لا شك فيه أن حياة «أنور الخطيب» الحافلة، وخبرته التي اكتسبها من مواقف وأحداث كبيرة، جعلته مقتنعاً بأن الغرب، وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية، أعجز من أن يفرض على إسرائيل حلاً لصالح الجانب العربي، وأن أي زعيم عربي يثق بالحكومة الأمريكية سوف يكون ضحيتها؛ بسبب عدم الرغبة أو العجز الأمريكي عن التعامل مع الحكومة الإسرائيلية وما تقوم به. كما كان على قناعة بأن إسرائيل ليست معنية بسلام يفرض عليها، وإنما السلام الذي يعطيها ما تريد بهدوءٍ، دون أن تقدم شيئاً بالمقابل. وبالمقابل، كانت الحكومة الأمريكية على استعداد لممارسة أقصى الضغوط على الزعامات العربية لصالح ما تراه إسرائيل فقط.

وقد حصل ذلك حين منعت أمريكا ياسر عرفات من الحصول على تأشيرة دخول إلى نيويورك لمخاطبة الجمعية العامة للأمم المتحدة؛ وذلك لابتزازه والضغط عليه. وفي خطوة غير مسبوقة نقلت الجمعية العامة للأمم المتحدة اجتماعها إلى مقرها الآخر في جنيف، حيث خاطب ياسر عرفات ممثلي 159 دولة عضو في الأمم المتحدة عن مبادئ خطة السلام الفلسطينية والمؤتمر الدولي للسلام في الشرق الأوسط. وفي هذا الاجتماع، الذي تم في 13 كانون الأول من العام 1988، اعتمدت الجمعية العامة قرارين: الأول؛ حول التسوية السلمية للقضية الفلسطينية، بأغلبية 138 صوتاً مقابل صوتين هما أمريكا وإسرائيل. والثاني؛

بقرار إعلان الاستقلال الفلسطيني، وتغيير اسم منظمة التحرير الفلسطينية في هيئة الأمم المتحدة إلى فلسطين.

أما ياسر عرفات، فقد عقد اجتماعاً في اليوم التالي، يوضح فيه قبوله بنقاط ثلاث طلبها وزير الخارجية الأمريكي جورج شولتز بواسطة وزير الخارجية السويدي ستين أندرسون، وهي: وثيقة سرية مفادها «أن الولايات المتحدة تلتزم بفتح حوار مع منظمة التحرير الفلسطينية إذا أعلن عرفات وبوضوح تام الموافقة على نبذ الإرهاب». وقد أعلن عرفات الموافقة على قرار 242، وعلى حق إسرائيل في الوجود، وعلى نبذ الارهاب في المؤتمر. وبعدها بدأ الحوار الأمريكي – الفلسطيني وأعلن الرئيس الأمريكي رونالد ريغان أن الحوار يشكل خطوة هامة في عملية السلام. وفي نيسان من العام 1989 انتُخب عرفات في المجلس المركزي أول رئيس لدولة فلسطين.

مع نهاية الثمانينيات كان المحيط العربي لفلسطين غير مستقر مع الحرب العراقية–الإيرانية والنزاع بين العراق ودول الخليج، وعلى رأسها الكويت؛ مما خلق عمقاً عربياً مضطرباً وقابلاً للانفجار. ففي 2 أيلول من العام 1990، وبعد احتدام النزاع العراقي الكويتي، قام الجيش العراقي بشن هجوم على الكويت، وخلال يومين تم احتلال الكويت بالكامل، وشكل العراق حكومة صورية برئاسة علاء حسين تحت مسمى حكومة جمهورية الكويت، ثم تم إعلان ضم الكويت للعراق في 9 أيلول من العام نفسه .وفي الطائف بالسعودية، تشكلت حكومة الكويت في المنفى حيث اقام أمير الكويت والمسئولون الكويتيون. أما الولايات المتحدة الأمريكية فقد دعت لاجتماع طارئ لمجلس الأمن عقد في 3 أيلول وصدر القرار 660 الذي طالب العراق بالسحب الفوري لقواته.

قامت الولايات المتحدة ببناء تحالف لمواجهة الاحتلال العراقي، وصل ذروته في السابع من أيلول بوجود قوات تحالف أجنبية وعربية قدرت بنصف مليون جندي، وسميت الحملة العسكرية بعملية «درع الصحراء». وفي 26 شباط من العام 1991 نجحت الحملة في تدمير الجيش العراقي في الكويت. وقد قاد التحالف الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب، الذي وعد الدول االعربية المشاركة في التحالف أن تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بالدعوة إلى مؤتمر سلام لحل قضية العرب الاولى، وهي القضية الفلسطينية بعد الانتهاء من تحرير الكويت.

مما لا شك فيه أن الوضع العربي المترهل، وتفكك جمهوريات الإتحاد السوفياتي، أسقط من أيدي معظم الدول العربية التي قبلت الذهاب لمؤتمر مدريد للسلام مجتمعين في تشرين الثاني من العام 1991، ولكنهم ما لبثوا أن تفرقوا داخله، فأُنتجت صيغة المفاوضات الثنائية

والمتعددة، حيث فصل الأردن عمليا وعلنيا عن الصراع، ثم تم الضغط وابتزاز الفلسطينيين في قنوات مفاوضات سرية مرثونية.

عندما تم تحديد أعضاء الوفد الأردني الفلسطيني المشترك لمؤتمر مدريد للسلام، اشترطت إسرائيل عدم مشاركة اي شخص من القدس في الوفد الفلسطيني الذي كان يقوده حيدر عبد الشافي، فقام الملك الأردني الحسين بن طلال بالالتفاف على شرطهم، وإشراك «أنور الخطيب» ووليد الخالدي في الوفد الرسمي الاردني المكون من سبعة اشخاص، والوفد الفلسطيني المكون من سبعة أشخاص أيضاً وقد كان توجه أنور الخطيب ضرورة للحفاظ على مرجعية واضحة للوفد المشترك وأن يكون التفاوض مع الأردن للعودة إلى ما كان عليه الوضع قبل حرب حزيران[53]. اجتمع الوفد في عمان، برئاسة الملك حسين، الذي أخبر الوفد الفلسطيني أن ما يتنظرونه سيكون شاقاً ومنهكاً وأن إسرائيل ستحاول، بكل الأشكال، المماطلة وتمييع المفاوضات. وقد استفسر «أنور الخطيب» من الملك حسين والوفد الفلسطيني عن المرجعية التي سيتم على أساسها التفاوض مع الجانب الإسرائيلي بالنسبة للمسار الفلسطيني. وقد كان الجواب هو: «تفاهمات كامب ديفيد»، اي الحكم الذاتي الانتقالي. عندها؛ تيقن «أنور الخطيب» ومعه وليد الخالدي، بأن الفلسطينيين تم استدراجهم لفخ المفاوضات الثنائية والمنفردة العقيم الذي لن يجلب لنا إلا المزيد من المعاناة، ومعه المزيد من الإستيطان وابتلاع الأراضي والإجراءات الاحتلالية التعسفية، وأن قناعاته تؤكد أن إسرائيل تستدرج الفلسطينيين الى عملية طويلة مضنية، وخطرة في نفس الوقت. وعلى هذا الأساس اعتذر انور الخطيب ومعه وليد الخالدي عن مرافقة الوفد إلى مدريد، ورجع «أنور الخطيب» في اليوم الثاني إلى بيته في بيت حنينا بالقدس[54].

لقد تمكنت إسرائيل من فصل مسارات التفاوض والاستفراد بالدول العربية؛ فكان المسار الأردني، والمسار الفلسطيني، والمسار السوري والمسار اللبناني. أما المسار الفلسطيني، والمفاوضات السرية الجانبية التي كانت تجري في مدينة أوسلو بالنرويج، فقد تمخضت عن إتفاق سلام سمي «باتفاقية أوسلو»، والذي كان عبارة عن إعلان المبادئ حول ترتيبات الحكم الذاتي الانتقالي في أيلول من العام 1993، في مدينة واشنطن، بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل.

لقد سبق وأن شعر أنور الخطيب بالخطر الداهم على القضية الفلسطينية، والقدس

53 عماد الخطيب، تواصل مع دكتور عبد السلام المجالي، رئيس الوفد الأردني الفلسطيني المشترك، 2015

54 عماد الخطيب، لقاء مع الراحل في منزله بعد إنسحابه من الوفد المشترك، ونقاش مؤتمر مدريد ومستقبل أي عملية سلام (1991)

تحديداً، وأن الدولة العبرية لا يمكن أن تقبل بالتنازل عن أي شي للفلسطينيين بالسلام. ولهذا؛ أصدر كتابه «مع صلاح الدين في القدس» في العام 1989، والذي ذكر فيه أن القدس وفلسطين لن يحررها ويرجعها إلى الحظيرة العربية الإسلامية إلا قائد كصلاح الدين الأيوبي، وقد أنهى أنور الخطيب كتابه منادياً «فأين أنت يا ناصر؟»

وفاة أنور الخطيب ووداعه

في شباط من العام 1993؛ أي قبل إعلان اتفاق أوسلو بنحو سبعة أشهر، أصيب «أنور الخطيب» بأزمة قلبية نقل على أثرها الى مستشفى المقاصد، الذي ساهم في تأسيسه ودعمه سابقاً، وتوفي على أثرها في الثامن من شباط من العام 1993.

كانت للفقيد جنازة مهيبة، وتم دفنه في المقبرة الإخشيدية أو مقبرة الشهداء الموجودة على باب الأسباط مباشرة؛ والتي تعد واحدة من المقابر الإسلامية المقدسية ذات التاريخ العريق الذي يعود لأكثر من ألف عام. تعد المقبرة أصغر المقابر الإسلامية؛ بمساحة تصل لحوالي 40 مترًا مربعًا، وفيها ثلاثة قبور للأخشيديين وستة قبور أخرى تعود لأعيان القدس وشهدائها حيث تضم المقبرة، إضافة إلى رفات «أنور الخطيب»، كلاً من أنور نسيبة، وحسن طهبوب والشيخ سعد الدين العلمي، وصالح اليماني وجهاد بكر.

رحم الله أنور الخطيب (التميمي)، وجزاه خيراً عما قام به من عمل للقدس وفلسطين، وتقبل الله دعوته بظهور الناصر الذي سيحرر القدس وفلسطين.

الخاتمة

هذا هو «أنور الخطيب» الذي تجول بنا من حارات القدس وأزقتها وحاراتها حتى نيويورك ولندن والقاهرة. تحدث للأجيال عما مرّ به، وعما كان يجول في صدره. تحدث، وأجزل الحديث، دون أن يعقّ الشخصيات التي كان يتفق معها، ودون أن يمحو تواريخ الشخصيات التي اختلف معها؛ فلم ينزّه أحدًا عن الخطأ، ولم يكفّر أحدًا ويخرجه من الملّة.

هكذا، قاد «الخطيب» مذكراته ووجهها لكي تبقى منارات معرفة ومعلومات، دقيقة إلى حد كبير، حول ما جرى إبان النكبة، والنكسة، وما بينهما وما قبلهما وما بعدهما. إنها الأحداث الأخطر في التاريخ المعاصر، ليس على مستوى الوطن الفلسطيني وحسب، وإنما على مستوى العالم أجمع.

ولعل «أنور الخطيب» ينفرد في بعض التفاصيل الخاصة بتلك الأحداث، بسبب المراكز الوظيفية التي كان يتبوؤها، بين الحين والآخر. فهل من وصف أدق وأوضح مما نقله لنا عن العلاقة بين الملك عبد الله الذي كان يعاني من الضغوط الشعبية والرسمية عليه للتدخل من أجل الحفاظ على عروبة ما تبقى من القدس، وقائد جيشه الذي كان بريطاني الهوى والهوية والإرادة، ووظف كل ذلك من أجل إخراج الجيش العربي الأردني من معادلة الصراع على الأرض، لصالح إنشاء دولة إسرائيل.

أما ما جرى في العام 1967، والذي أدى إلى استكمال ضياع ما تبقى من أرض فلسطين، فإن «أنور الخطيب» كان يتجرع مرارة ذلك الواقع المأساوي، كمن يتجرع السم، من شدة وقع تلك الأحداث عليه، ومن خلال فهمه الدقيق لعوامل الهزيمة ومسبباتها، التي اشتركت فيها عدة أطراف عربية وإقليمية ودولية.

أما على مستوى العلاقات الخاصة والرسمية التي نسجها «الخطيب»، فقد تنوعت واتسعت إلى أقصى مدى ممكن. فها هو «أنور الخطيب» يحاور الرئيس الأمريكي «كارتر»، ويحاجج ثعلب الدبلوماسية الأمريكية «كيسنجر» الموصوف بالدهاء والكذب والرياء، ويكون جريئًا في حواره مع جمال عبد الناصر، الذي تم جرّه لحرب هو غير جاهز لها، ويحاول سبر غور السادات وهو يقلب ظهر المجن لمصر العروبة وللأمة العربية ويرمي بنفسه في أحضان العدو التاريخي لهما. وقد كان لمعرفة «أنور الخطيب» بحقيقة شخصية السادات أيام جمال عبد الناصر، الدور الاكبر في تفسير ما قام به السادات حتى انتهى به الوضع صريعا، لتذهب أسراره معه، دون أن يتمكن أحد من تفسير ما قام به من فعل أخرج مصر من معادلة الصراع في المنطقة.

رحم الله «أنور الخطيب»؛ المقدسي، الذي لم تنم عينه يومًا دون أن يرقب القدس كما ترقب الأم رضيعها. لم يبنِ مؤسسة محددة تحمل اسمه، ولكنه كان المصدر الأساس لبناء العديد من المؤسسات، وكان الحامي والحارس على مؤسسات أخرى؛ إنه المقدسي الذي صنع تاريخًا لن تمحوه الأيام.

مقدسيون صنَعوا تَاريخاً

الأستاذ حسني سليمان محمد مكي الأشهب

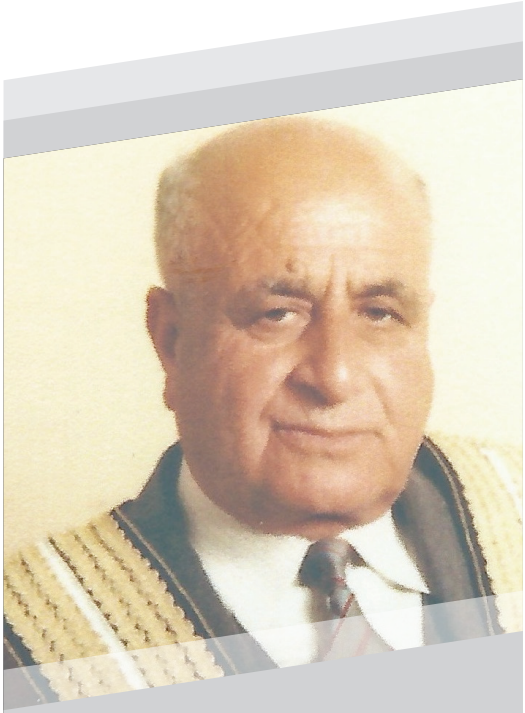

صورة فوتوغرافية للمرحوم «الأستاذ حسني سليمان الأشهب»

مقدمة

إذا كانت القوة العسكرية تحسم أمر المعركة لصالح الأقوى والأقدر على التخطيط السليم، فإن هناك قوة تقابلها، لا تقل عنها أهمية؛ وهي القدرة على تعليم المجتمع وتغذيته بثقافة وطنية، قادرة على تأجيج الانتماء في نفوس أبنائه، لتجعلهم قادرين على التحرر من ربق الاحتلال ومواجهة الظلم والظالمين، أيًا كانت سطوتهم وسلطتهم.

أما في القدس، فإن الحديث يطيب عن أولئك المقدسيين الذين جابهوا الاحتلال، بأوجهه المختلفة، بخاصة تلك الحقبة الممتدة بين الانتداب البريطاني وحتى أواخر القرن العشرين. وعندما شرعنا في وضع المعايير الخاصة بمن نختارهم لكتابنا هذا «مقدسيون صنعوا تاريخًا»، ممن أبدعوا في مواجهة الاحتلال وبناء صروح تعليمية متعددة في آن معًا، لم نجد من ينافس المرحوم «الأستاذ حسني الأشهب»؛ الذي قاد صراعًا مريرًا مع الاحتلال ورموزه وأعوانه حتى تمكن من تخليص التعليم في القدس من براثن التهويد الذي شرع به الاحتلال من اللحظة الأولى لاستكمال احتلال القدس بشطريها؛ الغربي والشرقي.

وعندما أخذنا ننقب في شخصية الرجل الذي كان عند حلول النكسة في العقد السادس من عمره، وجدنا أنفسنا أمام قائد وطني مخضرم، شرع في العمل النضالي والسياسي منذ نعومة أظفاره، والتي بدأت مع معركة البراق في العام 1929؛ حيث جرح الطفل «حسني الأشهب» لأول مرة في حياته، مع عدد من الطلبة بجراح خفيفة. ثم تبدأ رحلة حياته السياسية والنضالية والأكاديمية والاجتماعية في تصاعد مستمر، لا يخلو من الصخب والأحداث الجسام التي تحمل ملامح التحدي في كل شأن عمل فيه «الأستاذ حسني الأشهب».

نظرًا لميل «حسني الأشهب» إلى الابتعاد عن الأضواء الإعلامية، ولندرة تحدثه عن نفسه، فإن الباحث في حياته يجد صعوبة في الحصول على المعلومات والبيانات والبينات الكافية، سوى ما هو موثق في المؤسسات الرسمية التي كان يقودها «الأستاذ حسني الأشهب»، وتلك المؤلفات التي أعدها عبر سني عمره.

لذا؛ لم يكن بد من الاتصال والتواصل مع أسرة المرحوم «حسني الأشهب»، الذين أجمعوا على أن خير من يزيح الستار عن الملف الشخصي والمهني للمرحوم «حسني الأشهب»، هو نجله «م. هزاع» ففيه الذخر والذخيرة، فيما يتعلق بالمعلومات الخاصة بالمرحوم والده. فكان لنا ذلك؛ بأن قام «م. هزاع» بتزويدنا بورقة خاصة بوالده من طفولته المبكرة حتى وفاته، وما

حققه من إنجازات وما مر عليه من أحداث. وسنقوم، فيما يلي، بالاتكاء على هذه الورقة التي غطت المحاور المختلفة التي توزعت عليها شخصية «الأستاذ حسني الأشهب»؛ ذلك المقدسي الذي صنع في القدس تاريخًا سوف تزهو به الأجيال، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

الأستاذ حسني سليمان الأشهب (1915-1999)

تربوي مقدسي.. جعل من القلم سيفًا حادًا في مواجهة الاحتلال والمحتلين.. تنقل بين وظائف متعددة، لم تبتعد عن التعليم وشئونه وشجونه.. مارس اللعبة السياسية والنضالية، فكان ماهرًا في مواجهة الاحتلالات المختلفة، وكان ماهرًا في السير بين الألغام، فنجا بأقل الخسائر.. هبّ بعد النكبة لإنقاذ نظام التعليم من الانهيار، فأنجز عندما أعاد للتعليم مكانته وهيبته.. وهبّ بعد النكسة لتخليص التعليم في القدس من براثن التهويد الذي هبت نيرانه لتلتهم عروبة القدس وعروبة أبنائها؛ فحمى التعليم وأبقى على لغة الضاد مهيمنة إلى يومنا هذا.

سيرة حياته[55]: المولد-النشأة-التعليم-الوظائف:

- ولد «حسني سليمان محمد مكي الأشهب» في القدس أواخر العام 1915.
- كان والده تاجراً، تمتد تجارته من القدس إلى الخليل فالطفيلة والكرك والشونة والكرامة، وقد ورثها عن والده الذي كانت تمتد تجارته إلى بلاد الشام وكان مركزها القدس.
- درس «حسني الأشهب» في مدرسة الكلية الإسلامية في القدس، ثم في المدرسة الرشيدية، وحصل على شهادة المترك عام 1931م. وكان متفوقاً، فحصل على منحة لدراسة الطب في بريطانيا. إلا ان ظروف البلاد والعباد آنذاك منعته حتى من مجرد التفكير في قبول

55 عكرمة صبري: فقيد الأمة الشيخ سعيد صبري، مطبعة دار الأيتام الإسلامية، القدس، 1974.

المنحة. فحصل على شهادة الاجتياز للتعليم العالي الفلسطيني عام 1932م- 1933م.

الوظائف والمناصب التي تقلدها:

تنقل «حسني الأشهب» بين مناصب تربوية مختلفة، فكان معلمًا في الرشيدية والكلية العربية في القدس، ومدير مدرسة في الخليل، ومساعد مفتش معارف في كل من: الخليل وعمان والبلقاء، ومفتش معارف (مدير تربية) في كل من: معان والكرك، ثم رئيسًا لقسمي المناهج والامتحانات في وزارة التربية الأردنية، وأخيرا مديرا لتربية القدس. وقد تسلسل في تلك الوظائف كما يلي:

- لتفوقه عين معلما في المدرسة الرشيدية لتدريس مادة الكيمياء، في نفس عام تخرجه (1932-1933).
- عام 1939م، عاد والتحق بالكلية العربية وحصل على الشهادة العليا لمعلمي المدارس الثانوية عام 1941م. ولخبرته في التعليم حصل على درجة (E) ولتفوقه في الكلية عينه مدير الكلية العربية آنذاك مدرساً لمادة الرياضيات في الكلية، إضافة إلى عمله في المدرسة الرشيدية.
- التحق بجامعة بغداد لدراسة الحقوق والالتقاء بزملاء الأمس إلا أنه عاد بعد ان اندلعت الثورة بعنف قبيل النكبة.
- بعد النكبة، التحق مرة أخرى بجامعة بغداد لدراسة الحقوق. أنهى الأستاذ دراسة السنة الأولى والثانية ولكن نداء الواجب دق بابه مرة أخرى؛ ليرجع إلى أرض الوطن دون استكمال دراسته.
- عين مساعداً له (مساعد مفتش المعارف) بالإضافة إلى عمله كمدير لمدرسة الحسين الثانوية.
- وفي 1959/9/1 نقل إلى مثل عمله مساعداً لمفتش معارف البلقاء في عمان.
- نقل في نيسان 1961 إلى مفتش معارف للواء معان جنوب الأردن، حيث مكث فيها عاما ونصف العام.
- نقل بعد ذلك مفتشاً لمعارف الكرك مكث فيها مدة ثلاثة أشهر.
- نقل في أيلول 1962إلى وزارة التربية والتعليم رئيس قسم المناهج ثم رئيساً لقسم

الامتحانات.

- ونقل عام 1965 إلى مدينة القدس ليكون مديراً للتربية والتعليم لمحافظة القدس التي كانت تشمل بيت لحم وأريحا. وحلت النكسة في العام 1967 وهو يشغل هذا المنصب.
- ويبين الجدول التالي الشهادات والدورات التي تلقاها المرحوم حسني الأشهب:

الشهادة	السنة
شهادة الاجتياز للتعليم العالي الفلسطيني	1932
شهادة التربية والتعليم من الكلية العربية	1933
الشهادة العليا لمعلمي المدارس الثانوية (الكلية العربية)	1941
حلقة دراسية في الجامعة الأمريكية في بيروت (22 يوليو21- أغسطس)	1959
دبلوم الدراسات القصيرة في التربية الأساسية الأمم المتحدة (يونسكو، الصحة، العمل) مصر	1960
شهادة المركز الإقليمي لتدريب كبار موظفي التربية والتعليم في الدول العربية (اليونسكو)- الجامعة الأمريكية في لبنان	1962
دورة إدارة في ألمانيا الغربية	1965

حسني الأشهب: من طالب مناضل.. إلى معلم مناضل..

عاش في القدس وترعرع فيها، في حقبة زمنية مليئة بالأحداث التاريخية؛ إذ بعد سنتين من ولادته انتهت الحرب العالمية الأولى، واحتل البريطانيون فيما احتلوا فلسطين، وانتدبوا عليها لتنفيذ مؤامرة قيام الدولة الصهيونية على أرضها... قاوم الفلسطينيون المحتل البريطاني والمغتصب الصهيوني... اشتعلت الانتفاضات والمظاهرات المتعددة والثورات المسلحة طيلة عهد الانتداب ومنذ بداية الاحتلال والنكبة حتى يومنا هذا.

وعندما اشتعلت أحداث ثورة البراق في العام 1929، لم يكن «حسني الأشهب» قد بلغ

الرابعة عشر عامًا بعد، فانتقل كباقي طلاب جيله، من «طالب متظاهر» إلى حاملٍ للسلاح دفاعاً عن نفسه وأهله ومقدساته ووطنه. ففي ذلك العام تجمع عدد من اليهود في شارع يافا وساروا بلباسهم العسكري مخترقين شوارع القدس القديمة حتى وصلوا إلى ساحة البراق، حيث أقاموا طقوساً دينية لأول مرة، بمعرفة البريطانيين المحتلين، بعكس ما كان معمولاً به (ستاتيكو). فثارت ثائرة أهل القدس، فهاجموا اليهود في اليوم التالي بالحجارة والعصي، ورد عليهم اليهود بالسلاح فسقط عدد من الشهداء وكثير من الجرحى. كما ثار أهل فلسطين لأسابيع، مما جعل المؤرخين يطلقون على هذه الأحداث «ثورة البراق» أو انتفاضة عام 1929. وقد جرح حسني الأشهب مع عدد من الطلبة بجراح خفيفة، وكان أول مرة يصاب فيها.

كان لثورة البراق أثر كبير في كثير من العائلات الفلسطينية، خصوصا في منطقتي القدس والخليل. فقد قام الجيش البريطاني باعتقال الآلاف من الفلسطينيين في جميع أنحاء فلسطين وتركزت الاعتقالات في الخليل، بعدما اتهم أهل الخليل بقتل عدد من اليهود ممن يسكنون في الخليل؛ وذلك انتقاما لمقتل عدد من أبناء القدس على يد اليهود. كما حكم بالإعدام على عدد من المعتقلين في هذه الثورة، وهم الأبطال الثلاثة: فؤاد حجازي من صفد، ومحمد جمجوم وعطا الزير من الخليل، وأعدم الأبطال فيما بعد في سجن عكا.

كان من بين من اعتقلوا عدد من الذين كانوا يعملون مع والد «حسني الأشهب» في معصرة السمسم ومعصرة الزيتون (البد)؛ مما اضطر والده للإقامة في الخليل ومتابعة مصالحه التجارية هناك بنفسه، وجعل من بيته الذي بناه في الخليل في عين خير الدين ديواناً لعائلته. وبقي «حسني الأشهب» يعيش وحده في بيتهم في القدس عام 1933 حيث كان قد عين معلما في المدرسة الرشيدية.

كان طلاب المدرسة الرشيدية وطلاب الكلية العربية هم الذين ينظمون المظاهرات والفعاليات مع معلميهم. وكانوا عادة يجتمعون إما في النادي العربي أو في النادي الإسلامي وكان هذان الناديان هما الرئيسيان في القدس، وكان لأعضائهما دورٌ فعال في مقاومة الاحتلال البريطاني.

عندما أصبح الأستاذ حسني الأشهب يعيش وحده في البيت، أصبح بيته مكانا لاجتماع مجموعته، التي كانت تخطط لفعاليات ضد الاحتلال البريطاني، كانت تتكون منه ومن بعض زملائه معلمي المدرسة الرشيدية وخريجي الكلية العربية. وكان لمجموعته (خليته)، والخلايا أو المجموعات الأخرى دور تاريخي في انعقاد مؤتمر يافا الشبابي عام 1933، وما تبعه بعد ذلك من فعاليات في جميع أنحاء فلسطين أطلق عليها تاريخيا انتفاضة عام 1933،

كما كان لمجموعاتهم الدور الأكبر في تنظيم ومتابعة إضراب عام 1936. فقد عملت على تنظيم وتحريض طلاب المدارس وخصوصاً طلاب المدرسة الرشيدية والكلية العربية. كما عمدت خلايا المعلمين على بناء شبكة اتصال مع خريجي كل من المدرسة الرشيدية والكلية العربية في أنحاء فلسطين وخارجها.

كما انتخب «حسني الأشهب» من بينها عضوا في مجلس إدارتي النادي الإسلامي والنادي العربي. وللتاريخ، فان الكلية العربية والمدرسة الرشيدية كانتا بجانب الطلبة كونهما منارتين للعلم والثقافة مدرستين للسياسة والوطنية. وقد كان لخلايا معلمي المدرسة الرشيدية والمدارس الأخرى والكلية العربية وخريجيها الدور الأساسي لإضراب عام 1936، حيث بدأ في مدينة يافا وامتد إلى أنحاء فلسطين؛ بناءً على دعوات تجمعات شبابية (معلمين وطلبة) تحولت إلى لجان شعبية أو لجان قومية، كما سميت آنذاك.

نتيجة لمشاركته في المسيرات الدينية والمظاهرات ضد المحتل البريطاني والمغتصب الصهيوني وهو في شبابه المبكر، اكتسب القدرة على تنظيم وقيادة الفعاليات الوطنية من مظاهرات وإضرابات. ويروي المرحوم «حيدر الخالدي» ان الأستاذ «حسني الأشهب» كان معلماً له في المدرسة الرشيدية وانه، وان كان اصغر منه سناً، ومن كثير من الطلبة كانت له -كاريزما -قيادية مسيطرة في داخل صفوف الدراسة وخارجها، وانه كان منظراً وقائداً سياسياً يجمع الناس من حوله كما كان خطيباً مفوهاً.

وكان الأستاذ حسني الأشهب قد انضم إلى تنظيم عسكري أسسه الشهيد والمجاهد الكبير عبد الحفيظ بركات (عام 1933م)، وكان معه هاشم الأشهب وأخوه بركات الأشهب وعبد الغفار الأشهب وعزت ابو غربية ومنير البكري، أسموها منظمة الحرية الجهادية. وكان ان انضم إليهم عدد من الشباب من القدس والخليل، أمثال: الأستاذ حسني الأشهب، وبهجت ابو غربية، ورباح الأشهب وحافظ بركات وصبحي بركات وآخرين كثر...

وقد اعتقل الأستاذ حسني الأشهب عام 1936م مع والده؛ وذلك لاتهامهما بالاشتراك في عملية عسكرية كبيرة ضد موقع للجيش البريطاني وآخر للبوليس البريطاني في عين خير الدين في الخليل، قادها المجاهد عبد الحفيظ بركات. وكان قد انتقل مع عدد من مؤسسي الحركة وعدد من رجاله للعمل الفدائي في الخليل، بعد ان انكشف أمرهم في القدس وضيّق الجيش البريطاني ومخابراته الخناق عليهم.

يروي الحاج بركات الأشهب؛ وهو من مؤسسي الحركة الجهادية، وكان مشاركاً في المعركة ان «حسني» غادر في الليلة التي سبقت المعركة بعد ان احضر هو وابن عمه رباح الأشهب (الذي

استشهد فيما بعد في كفر عصيون عام 1948م) السلاح والذخيرة وخزناه قرب البيت. وكان الأستاذ حسني، كما روى الحاج بركات الأشهب، قد اشترك في هجومين سابقين، قبل ذلك بأشهر، على القوات البريطانية كان احدهما على موقع الجيش في عين خير الدين. كما كان الأستاذ «حسني الأشهب» يذهب إلى الأردن لشراء السلاح والذخيرة من هناك، حيث كان يقيم أخوه الأكبر وبعض أعمامه ويحضرها إلى القدس والخليل. وقد قام الثوار بتصفية العميل (ر)؛ الذي كان يعمل لدى مخابرات الجيش البريطاني، ويراقب بيت والد الأستاذ حسني والمجموعات التي هاجمت الموقع العسكري ومكتب البوليس في عين خير الدين أكثر من مرة، وذلك بعد مراقبة هذا العميل ومتابعته وقد قتل بعد خروجه من مركز لمخابرات الجيش البريطاني في عين خير الدين...

في عام 1937م، انتمى الأستاذ حسني الأشهب وعدد من معلمي المدرسة الرشيدية إلى الحزب العربي الفلسطيني (حزب الحاج أمين الحسيني)، الذي كان يتمتع بشعبية كبيرة وكان الحزب برئاسة جمال الحسيني. عمل وزملاؤه مجموعات مساندة للثوار بعد ان استؤنفت الثورة وبقوة. وفي منتصف شهر تشرين أول عام 1937م، انطلقت مجموعات الثوار على البريطانيين في جميع أنحاء فلسطين. وتوحدت المجموعات الثورية في الخليل تحت قيادة عبد الحليم الجولاني، أما في القدس فتوحدت تحت قيادة عبد القادر الحسيني، وكان يقود الثوار في البلدة القديمة الشيخ شكيب القطب. أما القائد العام فكان الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد، وبلغت الثورة ذروتها عام 1938. وكان على الأستاذ «حسني الأشهب»، إضافةً إلى مساندته هو ورفاقه للثوار في القدس، ان يذهب إلى جنوب الأردن لشراء السلاح والذخيرة كما يروي المناضل رياض الحرباوي الذي كثيراً ما كان يصحبه مع شبابٍ من عائلة شهابي والقطب والشعباني، نسي رياض الحرباوي أسماءهم الأولى.

كما يروي المناضل رياض الحرباوي ان «حسني الأشهب» كان يرافقهم عند عودتهم عدد من الأردنيين؛ حاملين أسلحتهم وذخيرتهم للقتال بجانب الثوار في القدس والمناطق المختلفة... وقد استشهد عام 1939م عدد من قادة الثورة وعلى رأسهم القائد العام عبد الرحيم الحاج محمد، كما استشهد عيد الأشهب احد مساعدي قائد منطقة الخليل عبد الحليم الجولاني مع عددٍ من رفاقه...

في العام 1948، وبعد قدوم جيش الإنقاذ إلى فلسطين، حاول «حسني الأشهب» مع عدد من رفاق دربه شراء السلاح من الأردن، إلا أن نجاحاتهم كانت محدودة؛ حيث لم يعد السلاح متوفراً في الأردن كالسابق، كما كان حصار الجيش البريطاني للحدود شديداً والأموال شحيحة. ومع ذلك فإن عدد المتطوعين من الأردن الذين كانوا يقاتلون مع الثوار كان غير

قليل، وكانوا جلّهم يجلبون أسلحتهم وذخيرتهم معهم.

وكان كثير من المتطوعين القادمين من الكرك والطفيلة والشونة والكرامة يحلّون ضيوفاً في بيت «حسني الأشهب» في باب الساهرة، كما كان الثوار القادمون من الخليل يحلون ضيوفا في بيته كذلك، وكان عليه إيواءهم ثم توزيعهم على مناطق القتال في القدس وما حولها.

في الصورتين أعلاه الأستاذ حسني الاشهب مع عدد من أعضاء قيادة اللجان القومية و رئيسها أنور نسيبة في منطقة النبي, بعد انتهاء حرب 48

حسني الأشهب: يركز عمله في التعليم، ويسهم في إنقاذ النظام التعليمي من الانهيار..

ولما كانت المدارس ما زالت مغلقة بعد النكبة قرر الأستاذ حسني الأشهب، مع عدد من رفاق دربه، التوجه للعمل في العراق كمعلمين والتحق مرة أخرى بجامعة بغداد لدراسة الحقوق. أنهى الأستاذ دراسة السنة الأولى والثانية ولكن نداء الواجب دق بابه مرة أخرى؛ ليرجع إلى أرض الوطن دون استكمال دراسته، حيث كلفت الحكومة الأردنية صديقه ورفيق دربه الأستاذ عبد اللطيف عابدين، بإعادة فتح المدارس في مدينة الخليل. ولما وجد الأستاذ عبد اللطيف عابدين ان الأمر صعب عليه ان يعمل وحده، أرسل إلى صديقه ان يرجع؛ ليعملا معاً على إعادة بناء ما دمره المحتل وحطمته الحرب.

لما كان الوضع الاقتصادي صعباً، لم يشجع أهل الخليل أبناءهم على العودة إلى المدارس حيث عرف عن أهل الخليل الاهتمام بالاقتصاد العائلي؛ أي تعمل كل العائلة صغيرها وكبيرها يداً واحدة في المصلحة التجارية من اجل مصلحة الكل، وكان جلهم لا يؤمن بالتعليم العالي أو الوظيفة. ولما كان التعامل مع أهلها يحتاج إلى الشدة والحزم والحنكة؛ فقد أوكل إلى الأستاذ «حسني الأشهب» إعادة فتح المدارس في لواء الخليل وإدارة المدرسة الثانوية الوحيدة فيها؛ لما عرف عنه من الشدة وقوة الشخصية. وعينت الحكومة الأردنية الأستاذ علي حسن عودة مفتشاً لمعارف الخليل (مديراً للتربية والتعليم). وكان رغم خبرته الطويلة في العمل في الضفة الشرقية معروفاً بحنكته وصرامته؛ لكنه لم يكن بالشدة اللازمة لضبط الأمور في منطقة معروفة بصدامية أهلها ووعورة التعامل معهم؛ فطلب ان يعين الأستاذ حسني الأشهب مساعداً له (مساعد مفتش المعارف) بالإضافة إلى عمله مديراً لمدرسة الحسين الثانوية.

رغم ما عرف عن المرحوم الأستاذ حسني الأشهب من تشدد في العلم والتعليم والتربية؛ فقد فتح المجال لكل التيارات السياسية ان تنتشر في مدرسته، كما ذكر المهندس الشهيد إبراهيم ابوعياش في مذكراته، حيث كان طالباً في مدرسة الحسين بن علي في ذلك الوقت.

لكنه حرص- في نفس الوقت -على أن يقوم الطلاب بواجباتهم المدرسية والدراسية، كما يقول الأستاذ محمد حسن ملحم (الذي أصبح فيما بعد رئيساً لبلدية حلحول وعضو لجنة تنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية). وفتح المدرسة ليلاً للطلاب الفقراء وخصوصاً من القرى والأماكن التي لم تصل إليها الكهرباء للدراسة. ووضع نظام مناوبة ليلية، وكلف معلمي المدرسة بإعطاء دروس تقوية للطلاب الضعفاء، وكان هو بنفسه يدرس الرياضيات لطلاب المترك.

لذلك؛ أبدع كثير من طلاب المدرسة في عهده في امتحان الدراسة الثانوية العامة (المترك). واحتل كثير من طلاب المدرسة في عهده المراكز الأولى مثل المهندس إبراهيم ابو عياش (الذي كان نقيباً للمهندسين لفترات عدة وكان عضو مجلس وطني) حيث حصل على المرتبة الأولى في الضفتين عام 1954، كما ذكر في مذكراته.

وفي العام 1959 حاولت بعض الأحزاب العودة إلى نشاطها، فقامت الحكومة الأردنية إثر ذلك بحملة تنقلات واسعة بين موظفيها الحزبيين السابقين؛ فنقل الأستاذ حسني الأشهب، الذي كان في ذلك الوقت مساعداً لمفتش معارف الخليل، إلى مثل عمله مساعداً لمفتش معارف البلقاء في عمان، وذلك بتاريخ 1/9/1959. وكان قد أرسل قبلها إلى دورة تدريبية تربوية في الجامعة الأمريكية في بيروت امتدت من تاريخ 17 تموز إلى 21 آب 1959. وفي اول يناير كانون الثاني 1960 أرسل إلى دورة تدريبية في مركز تابع للأمم المتحدة في مصر، امتدت إلى 22 آذار عام 1961. نقل بعدها بتاريخ نيسان 1961 إلى مفتش معارف للواء معان جنوب الأردن، حيث مكث فيها عاما ونصف العام،وأسس فيها عدداً من المدارس خصوصاً للإناث ومراكز لمحو الأمية، وكان يحضر الطلاب والطالبات- أحيانًا- بواسطة الشرطة ليتلقوا تعليمهم.

نقل بعد ذلك مفتشاً لمعارف الكرك ومكث فيها مدة ثلاثة أشهر ثم ارسل في دورة دراسية تمتد سبعة شهور بدأت في 15 شباط 1962 وانتهت في 15 ايلول عام 1962، أشرفت اليونسكو على هذه الدورة التي أقيمت في الجامعة الأمريكية في لبنان. وبعد انتهاء الدورة نقل إلى وزارة التربية والتعليم رئيسا لقسم المناهج ثم رئيساً لقسم الامتحانات، ونقل عام 1965 إلى مدينة القدس ليكون مديراً للتربية والتعليم لمحافظة القدس التي كانت تشمل بيت لحم وأريحا.

حسني الأشهب: قومي ينتمي إلى حزب البعث..

بعد انتهاء حرب عام 1948 ميلادية ، انضم الأستاذ حسني الأشهب وكثير من رفاق دربه إلى حزب البعث العربي عام 1949؛ حيث تعرف على عدد من قيادات الحزب ممن تطوعوا للقتال إلى جانب الثوار في فلسطين، وكان من بينهم مؤسس الحزب «ميشيل عفلق». اشترك في المؤتمر القطري للحزب وكان عضواً في اول مؤتمر قومي لحزب البعث العربي الاشتراكي.

برز مد قومي عارم على امتداد الساحة العربية ضد سياسة الاستعمار والهيمنة، وبخاصة بعد ثورة تموز عام 1952 بقيادة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر. وبرزت حركات تحرر على الساحة العربية مثل ثورة الجزائر. أما على الساحة المحلية، فبرزت أحزاب قومية أخرى، مثل: حركة القوميين العرب والحزب العربي الاشتراكي ولكن كان أكبرها حزب البعث العربي الاشتراكي الذي كان أهم شعاراته «أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة».

اشتدت المظاهرات والإضرابات في أنحاء المملكة الأردنية الهاشمية، خصوصاً منذ بداية عام 1955؛ وذلك احتجاجاً على ما أشيع بأن الحكومة تنوي الالتحاق بحلف بغداد وكانت شديدة جداً في الخليل؛ فأرسلت الحكومة الأردنية لجنة من وزارة الداخلية إلى الخليل، وكان ان اجتمعت اللجنة مع كبار الموظفين الحكوميين. حضر الأستاذ حسني الاجتماع بصفته مساعداً لمفتش المعارف حينها، وحضره بالإضافة إلى كبار الموظفين، بعض الشخصيات الاعتبارية المحسوبة على الحكومة.

أثناء الاجتماع، تحدث احد تلك الشخصيات موجهًا حديثه لرئيس اللجنة: هذه المظاهرات ورأس الفتنة «مشيراً بيده إلى الأستاذ حسني الأشهب»، وبعد الاجتماع نصح مفتش المعارف آنذاك الأستاذ علي حسن عودة الأستاذ حسني الأشهب أن يأخذ إجازة ويترك الخليل حتى تهدأ النفوس! وهكذا كان. وقد تكرر أخذ الإجازة عدة مرات كان يقضيها الأستاذ في جنوب الأردن، أو حتى خارج الأردن، حيث استمرت الإضرابات والاحتجاجات طيلة عامي 1955 و1956. وكانت اليد الطولى لهذه الاحتجاجات حزب البعث الذي كان اكبر الأحزاب الأردنية؛ علماً بان النشاط الحزبي كان مسموحاً به، وحزب البعث كغيره من الأحزاب القومية كان مرخصاً.

لم يقتصر نشاط الأستاذ حسني على تعبئة الناس وتوعيتهم، بل نشط في بناء الحزب وتقويته وتنظيم كوادره الذين أصبحوا أعضاء في الهيئات الإدارية للنقابات المهنية والاتحادات

العمالية ونقابة المعلمين، إضافة إلى النوادي الثقافية. كما أسس مع عدد من أصدقائه المثقفين، رابطة الجامعيين في الخليل؛ وذلك ليكون مقراً ومركزاً لتجمع كوادر الأحزاب والشخصيات الوطنية في المدينة، ومكاناً لتداول أمور السياسة والوطن.

كما نشط الأستاذ حسني الأشهب على الصعيد القومي خلال الأعوام 1956–1954؛ فسافر إلى العراق وسوريا ولبنان عدة مرات ممثلاً لحزب البعث الأردني في اجتماعات الكوادر القيادية للحزب في كل بلد. كما سافر إلى مصر مع قيادات من الحزب والحزب الاشتراكي الوطني واستقبلهم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في شهر تشرين اول عام 1955 كما روى المناضل سعيد العزة (الذي كان صديقاً شخصياً للرئيس جمال عبد الناصر منذ قاتلا معاً في الفالوجة عام 1948 كما أصبح نائباً في البرلمان الأردني عن الحزب الاشتراكي الوطني ثم عضواً في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير).

في أواخر عام 1956 نظمت انتخابات برلمانية على الصعيد الوطني، ونشط الأستاذ «حسني الأشهب» كثيراً في هذه الانتخابات، وحاول ان يكون هناك اتفاق حزبي بين الحزب الوطني الاشتراكي وحزب البعث العربي الاشتراكي؛ ولما فشل الحزبان في الاتفاق، أصر على عمل اتفاق بين المرشحين في القدس والخليل، حيث كان صاحب نفوذ كبير في هاتين المدينتين كونه عمل فيهما لمدة طويلة، وقد نجح في إنجاز اتفاق بين المرشحين من الحزبين الأمر الذي أدى إلى نجاح مرشحي الحزبين في المدينتين.

الحقيقة ان الأستاذ حسني الأشهب كان عروبياً وقومياً أكثر منه حزبياً، كما كان دائماً يقول عنه المرحوم سليمان النابلسي؛ رئيس الحزب الوطني الاشتراكي والذي ربطته مع الأستاذ حسني الأشهب صداقة قوية، الأمر الذي جعل سليمان النابلسي يصر على ان يكون حسني الأشهب جاراً له في جبل اللويبدة، حيث كان يسكن حتى وفاته (سليمان النابلسي).

شكل سليمان النابلسي حكومة وطنية أواخر عام 1956 استمرت خمسة أشهر؛ قدم سليمان النابلسي استقالته بعدها وحل البرلمان، وغادر عدد من قيادات الحزب الاشتراكي وحزب البعث إلى سوريا ومصر، وعلى رأسهم عبد الله الريماوي أمين عام حزب البعث وحظر نشاط الأحزاب بعدها.

والواقع ان الحكم في الأردن قد تصالح مع الأحزاب القومية، وعين كثيراً من الكوادر المتقدمة للأحزاب القومية، خصوصاً الذين عادوا من المنفى وزراء ومحافظين وسفراء؛ وكان ممن وافقوا على التعيين، وممن كانوا رفقاء درب للأستاذ حسني: عبد اللطيف عابدين والدكتور خليل السالم وآخرين. وكان ان عرض الشيخ إبراهيم القطان (كان عروبياً

قومياً كما كان عضواً في المنتدى الفكري العربي الذي كان يسيطر عليه البعثيون والقوميون) على الأستاذ حسني ان يكون وزيراً فاعتذر، كما اعتذر معه عددٌ ممن كانوا في الحزب أمثال الدكتور احمد مساعدة، وكان الشيخ إبراهيم القطان صديقاً للأستاذ حسني وكان وزيراً للتربية والتعليم ووزيراً لشؤون رئاسة الوزراء، وقاضياً للقضاة في حكومات عديدة، وكان يتمتع باحترام شديد من كل الأحزاب القومية والشعب في الضفتين.

حسني الأشهب: يصنع للتعليم تاريخًا بعد النكسة ينجب مدارس حسني الأشهب..

احتلت إسرائيل الضفة الغربية في حرب حزيران 1967 كما احتلت قطاع غزة وسيناء والجولان. كان الأستاذ حسني الأشهب، ومنذ الساعة الأولى لاندلاع الحرب، يقيم في مقر اللجنة الوطنية للدفاع عن القدس بعيداً عن بيته وعائلته.

فور استكمال الجيش الصهيوني احتلاله لمدينة القدس واطمئنانه بعدم وجود مقاومة عسكرية، اجتمع البرلمان الإسرائيلي (الكنيست) بتاريخ 1967-6-28م، وأصدر قانونا أعلن فيه ضم الجزء الذي احتل عام 1967م من القدس، وسمي بالقدس الشرقية، إلى الجزء المحتل منذ عام 1948م (وسمي بالقدس الغربية)، وأطلق على ذلك القانون إسرائيلياً بقانون (توحيد القدس!)، وألغى جميع القوانين المعمول بها قبل الاحتلال؛ وذلك باستصدار جملة قوانين تلغي شرعية القوانين الأردنية، وكان أخطر هذه القوانين ما يتعلق بالتربية والتعليم.

فقد أغلق الاحتلال مكتب مدير التربية والتعليم في القدس وألحقه، وجميع المدارس الأردنية، بالمعارف الإسرائيلية؛ حيث ألحق المدارس الابتدائية والإعدادية بجهاز وزارة المعارف الإسرائيلية، بينما الحق المدارس الثانوية بإدارة المعارف التابعة لبلدية الاحتلال.

كما اصدر الاحتلال سلسلة أوامر عسكرية ألحق من خلالها مدارس الضفة الغربية، عدا القدس، تحت إشراف ضابط التربية والتعليم في الحاكمية العسكرية. كما جرى فتح مكتب بديل في مدينة بيت لحم، يتبع الحكم العسكري في الضفة الغربية؛ للإشراف على المدارس الرسمية الأردنية التي لم تدخل في نطاق خريطة السيادة الإسرائيلية لمدينة القدس، وأنيط بالمكتب المذكور إدارة المدارس في كل من لواءي بيت لحم وأريحا، والمدارس الواقعة في الضواحي الجنوبية الشرقية من مدينة القدس كمدارس ابو ديس والعيزرية للذكور والإناث. ومن الجدير بالذكر ان مديرية التربية والتعليم لمحافظة القدس كانت تضم مدارس لواء

أريحا ولواء بيت لحم.

دعا الأستاذ حسني الأشهب اللجنة الوطنية إلى اجتماع طارئ، وابلغهم في هذا الاجتماع بأنه قرر الامتناع عن الدوام في مكتب التربية والتعليم، وانه أوعز إلى جميع مساعديه بعدم الدوام أو الامتثال لأوامر المحتل وقوانينه، وانه قرر الدعوة إلى إضراب مفتوح لجميع مكاتب التربية والمدارس في الضفة الغربية، وليس في القدس وحدها. كما أبلغهم بأنه أرسل مندوبين إلى مديري التربية في الضفة الغربية، وإلى وزارة التربية والتعليم الأردنية يعلمها فيه بقراره، شارحا لها أسباب اتخاذه القرار. كما أعلن انه، وبعد استشارة قانونيين، أرسل كتاباً إلى الحاكم العسكري العام ونسخة إلى تيدي كوليك؛ رئيس بلدية الاحتلال، رداً على كتابهما، شارك في صياغته المحامي عبد المحسن ابو ميزر، يعلمهم فيه رفضه المطلق فتح المدارس ما دام مكتب التربية الشرعي مغلقا، وان المناهج التي ستدرس هي المناهج الإسرائيلية، وأعلمهم أنه أرسل نسخة من الكتاب إلى وزارة التربية والتعليم الأردنية.

وأعلم الأستاذ حسني الحضور علمه بالقرار الاحتلالي القاضي بإغلاق جميع المكاتب الرسمية الأردنية، وضمها إلى الحكومة الإسرائيلية، كما يشمل إغلاق أمانة القدس. ولكنه قال: إن أسرلة مكتب التربية والتعليم والمدارس يعني «أسرلة» القدس كلها، وبالتالي فانه سوف يتفرغ لمقاومة قرار الاحتلال، وانه أبلغ عددا من رجال التربية في القدس والضفة الغربية، وأعلنوا وقوفهم معه في كل خطواته، وطالب دعم الحضور في إعلانه الإضراب.

هنا؛ أعلن كل من إبراهيم بكر وعبد المحسن ابو ميزر بأنه، بعد دراسة واستشارة المحامين، قرر المحامون في الضفة الغربية أيضاً إعلان الإضراب؛ بسبب فرض القوانين الإسرائيلية على الضفة الغربية؛ وأعرب الشيخ عبد الحميد السائح عن مؤازرته لقرارات الإضراب وتبني الهيئة الإسلامية لهذه القرارات، كما أعلن محافظ القدس، وهو أعلى منصب حكومي أردني، عن تأييده للقرارات بالإضراب.

كان المرحوم الأستاذ حسني الأشهب قد اخذ احتياطاته؛ فهّرب عدداً من الوثائق المهمة وسيارة التربية إلى الأردن، بحجة نقل أوراق التوجيهي لوزارة التربية في الأردن. واختار عددا من الذين تطوعوا للعمل معه في مقاومة قرارات الاحتلال، وكان أهمهم المربية الكبيرة : وجدان الشامي؛ التي تطوعت لحمل الرسائل إلى الأردن ومن الأردن للأستاذ حسني الأشهب، ولكن بعد فترة لاحقتها مخابرات الاحتلال فغادرت إلى الأردن حرصا منها ان يكشف الاحتلال المهام الموكلة إليها. كما اختار كلاً من المربية فاطمة أبو السعود والمهندس حسن القيق مدير مدرسة دار اليتيم العربي الصناعية ليكونا مساعدين أساسيين وذراعين له، وسوف يكتب التاريخ بأحرفٍ من نور عن هذين المناضلين؛ فقد كانا بحقٍ ذراعين قويين

بل عظيمين. كما اختار عددا من رجال التربية في مدن الضفة وعلى رأسها القدس لمتابعة إضراب المعلمين، وكان من بينهم المرحوم الأستاذ حسام بدر، الذي لعب دورا في إضراب المعلمين في جنوب الضفة، وكما لعب الأستاذ رشيد مرعي دورا في مدن شمال الضفة الغربية وغيرهما كثيرون.

لعبت المربية فاطمة أبو السعود دورا أساسيا في إضراب المعلمين والطلبة، ليس في القدس وحدها، وإنما في جميع أنحاء الضفة الغربية. وكانت في منتهى الجرأة والشجاعة، وعملت هذه المناضلة ليل نهار من أجل إنجاح الإضراب، وفتح مدارس بديلة. كما عملت، بكل سرية، مع أهالي المعتقلين الذين اعتقلوا في البدايات، ومع الشخصيات والمؤسسات التي تابعت أمورهم. كما كانت خير رسول للأستاذ حسني لكثير من اللجان التي عملت معه، سواء في القدس أو في المدن الأخرى في الضفة الغربية، ويشهد الأستاذ طاهر النمّري الذي كان منسقاً لإحدى هذه اللجان في القدس أنهم كانوا يتلقون تعليمات الأستاذ حسني الأشهب من خلالها؛ فقد كانت هي والمربية الكبيرة علية نسيبة كما يقول الأستاذ طاهر رسل الأستاذ إليهم.

أما المجاهد الكبير المهندس حسن القيق فقد كان؛ وللتاريخ، رجلاً كتوماً وشجاعاً وكان هو الذراع الأيمن للأستاذ حسني الأشهب، ليس فقط في إضراب المعلمين وفتح المدارس البديلة، بل كمراسل بين الأستاذ وكل من: الحكومة الأردنية، ومنظمة التحرير الفلسطينية وبالأخص الشهيد القائد أبو جهاد رحمه الله. كما كان مستشاراً صدوقاً للأستاذ «حسني الأشهب» حتى وفاته. كما ساعده، مع المهندس الكبير إبراهيم الدقاق، في تأسيس كلية الأمة الجامعية المتوسطة وجامعة القدس (كلية العلوم والتكنولوجيا) –في البداية– كما كان المساعد الاكبر في إسكان المعلمين القدامى في القدس، وكان قد سجن مع الأستاذ حسني الأشهب مساعده الأستاذ احمد عبد اللطيف والأستاذ فوزي جابر والأستاذ طاهر النمّري.

كما كان للأستاذ نهاد ابو غربية؛ صديقه ، مدير المدرسة الإبراهيمية ومالكها دور كبير في نجاح إضراب المعلمين، وفرض تعليم المنهاج الأردني في المدارس الرسمية التي استولى عليها الاحتلال.

كذلك المناضل الكبير الأب ألبرت روك مدير كلية تراسنطة؛ الذي كان احد كبار ثوار عكا عام 1948 وأول من ابعد عن أراضي فلسطين المحتلة عام 1948، إذ ابعد إلى قبرص عام 1954،وكان له دور مميز من خلال ترؤسه لجنة سرية جمعت مسؤولي المدارس المسيحية– إذا صح التعبير– إذ لعبت دوراً في إضراب المعلمين والطلبة، ودوراً اكبر في تفريغ الطلبة من المدارس الرسمية المستولى عليها من الاحتلال، والتي كانت تدرس المنهاج الإسرائيلي.

كما كان أمين سر لجنة المدارس الخاصة والأهلية، التي كانت تنسق العمل التربوي مع الأستاذ حسني الأشهب. وبقي الأب ألبرت روك، ومن معه، على العهد في الحفاظ على عروبة المناهج، بل وعروبة القدس. ولا ننسى دور المناضلة الكبيرة هند الحسيني مؤسسة دار الطفل العربي والمناضلة والمربية الكبيرة علية نسيبة مديرة المدرسة النظامية ودورهما المميز إضافة إلى آخرين ولكن هؤلاء كانوا الأكثر قرباً.

اعتقل الأستاذ حسني الأشهب في سجن الرملة بعد إعلانه إضراب المعلمين، كما اعتقل عدد من أعضاء اللجنة الوطنية للدفاع عن القدس آنفة الذكر، مثل: محافظ القدس المرحوم أنور الخطيب، وابعد آخرون كالمرحوم الشيخ عبد الحميد السائح. استجاب المعلمون وأولياء أمور الطلاب ورجال التربية لنداء الأستاذ حسني الأشهب بالإضراب، كما عملت اللجان السرية، من لجان التربية والمعلمين، في جميع أنحاء الضفة على نجاح الإضراب الذي استمر حتى نهاية الفصل الأول من العام الدراسي 67/68، رغم الضغوط التي مورست على رجال التربية والمعلمين واعتقال عدد منهم، وقد مورست هذه الضغوط من قبل الحكام العسكريين ووزير الجيش الإسرائيلي؛ موشي ديان بنفسه، على عدد من الشخصيات التقليدية، واستعمل معها العصا والجزرة، وذلك لمحاولة انهاء الإضراب وفتح المدارس.

فعلاً، أفلحت تلك الضغوط الهائلة، وكان ان اجتمع موشي ديان مع رئيس بلدية نابلس المرحوم حمدي كنعان ووجها نداءً لفتح المدارس في الضفة؛ ففتحت مدارس نابلس أبوابها وكان ان اعتقل مدير تربيتها، كما اعتقل عدد من رجال التربية والتعليم والمعلمين الذين رفضوا إنهاء الإضراب، كما غادر آخرون الضفة إلى عمان؛ إثر الضغوط الهائلة عليهم، وكان من بينهم مدير تربية الخليل. وتبع معلمو الضفة مدارس نابلس التي فتحت أبوابها وبالتدريج مع بداية الفصل الثاني في شهر كانون ثاني عام 1968م.

كان الأستاذ حسني الأشهب قد أرسل وفداً إلى السيد حمدي كنعان ليثنيه عن فتح مدارس نابلس، وتكوّن الوفد، كما يروي الأستاذ طاهر النمّري من: الأستاذ طاهر نفسه والمربية فاطمة أبو السعود والأستاذ يوسف صابر؛ إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل. كما ذهبت المربية فاطمة ابو السعود مع وفود أخرى لمقابلة العاملين في مكاتب التربية في مدن أخرى، لكنهم رفضوا الاستمرار بالإضراب؛ فقد كانت الضغوط عليهم كبيرة جداً.

ويؤرخ الدكتور فاروق الشناق؛ مدير الدراسات في اللجنة الملكية لشؤون القدس في دراسة له عن محاولة فرض المناهج الإسرائيلية، فيقول: «إن هذه السياسة التهويدية قوبلت بمقاومة باسلة متعددة الأشكال من لدن الكادر التعليمي والطلاب، على حدٍ سواء، تزعمها مدير

التربية والتعليم آنذاك المرحوم حسني الأشهب، مما اجبر سلطة الاحتلال على التراجع عن بعض الأوامر العسكرية، وبخاصة الأمر العسكري رقم -107- الذي حظر بموجبه تدريس (55) كتاباً مدرسياً من المنهاج الأردني، واستبداله بالقرار (183) الذي سمح بالعودة إلى المناهج الأردنية المعتمدة في الضفة الغربية (دون القدس)، بعد شطب الكثير من المادة التدريسية، وإخضاعها إلى رقابة مشددة...»، وفي القدس اعتمد المنهاج التربوي التعليمي المطبق في المدارس العربية في فلسطين المحتلة عام 1948م؛ وهو منهاج محوره طمس الوجود العربي الفلسطيني واستئصال كل ما له علاقة بالمفاهيم الوطنية والتراث التاريخي العربي. ويلغي الهوية الوطنية، ويؤسس لعقلية لدى الناشئة تقبل بحقيقة ما يدعون (دولة إسرائيل وعاصمتها الأبدية القدس)؛ عبر التركيز على مفاهيم تحريم مقاومة الاحتلال، ونشر ثقافة الإذعان، والاستكانة بتزييف التاريخ العربي والإسلامي. وهو منهاج، كما يقول الدكتور الشناق في بحثه «مبني على نظام قانوني عنصري مميز بين المواطنين وهو ذو طابع قهري، استبدالي، إحلالي وتجهيلي وتضليلي...».

أما الأستاذ طاهر النمّري فقد نشر بحثا عن القانون الذي يحكم المنهج الإسرائيلي في مجلة البيادر السياسي في 1983-7-22م، مما جاء فيه: «استدعت عملية الضم إغلاق مكتب التربية والتعليم في القدس العربية، واعتقال مدير التربية والتعليم (السيد حسني الأشهب) ومساعده (السيد احمد عبد اللطيف) وآخرين من العاملين في حقل التدريس. كما لوحق آخرون مما دفعهم إلى مغادرة القدس إلى الضفة الشرقية. وكان هذا الإجراء القهري يهدف إلى إزالة أهم مؤسسة عربية في القدس ترعى شؤون القيم والمبادئ والتراث والمناهج العربية، التي تحافظ على الشخصية العربية من الضياع والعدمية القومية والروحية. إن تطبيق المناهج الإسرائيلية في القدس العربية يعني بالضرورة تعميم العدمية القومية في مجالات الانتماء والقيم الاجتماعية والوطنية والتراثية الحضارية والتاريخية وتجريد الإنسان العربي من مقومات الانتماء إلى قوميته وتراثه وتراب وطنه»... وينطوي على غرس مفاهيم وقيم في نفس وعقل الإنسان العربي (عملية غسل الدماغ) ؛ تدفعه إلى ان يؤمن ان هذه البلاد ذات أصالة يهودية وان سواها طارئ ودخيل عليها؛ جاءها إما فاتحاً أو مهاجراً».

ويلخص الأستاذ النمّري فلسفة التربية الإسرائيلية، فيقول: «يتضح لنا أن فلسفة التربية اليهودية تركز على فرادة الشعب اليهودي، وتجرد بالمقابل الإنسان العربي من شخصيته القومية وتراثه الحضاري والثقافي، وتوجه التعليم نحو تعزيز مفهوم الأقليات، وإشعار العربي انه ليس سوى عنصر في أقلية وجعله أداة طيعة منساقة؛ فاقداً الروح التي هي إكسير حياته ووجوده فيتقوقع مغترباً في مجتمع تسيطر عليه العنصرية المقيتة».

أما الأسس التي ارتكزت عليها فلسفة التربية الأردنية، فقد أوردها قانون التربية والتعليم رقم 16 لعام 1964 وهي فلسفة واضحة تدعو إلى الإيمان باللّه والمثل العليا للأمة العربية والدعوة إلى وحدتها، وحريتها واستقلال شخصيتها في الوطن العربي، وان الشعب الأردني (ومعه الشعب الفلسطيني) جزء من الأمة العربية. وأكدت المادة الثالثة (بند 4) على عروبة فلسطين وجميع الأجزاء المغتصبة من الوطن العربي، والعمل على استردادها، وإقامة التفاهم الدولي على أساس العدل والمساواة والحرية واحترام كرامة الفرد وحريته وتقدير المصلحة العامة للمجتمع، بحيث لا يطغى احدهما على الآخر.

شملت تلك الأسس أيضا العدل الاجتماعي، ليكون ركيزةً لإتاحة الفرص المتساوية للتعليم لجميع أبناء الضفتين ومساعدة الطالب على النمو السوي؛ جسمياً وعقليا واجتماعيا وعاطفيا ليصبح مواطنًا مسؤولا عن نفسه وعن مجتمعه، وإبراز أهمية التربية والتعليم لتنمية المجتمع ضمن إطار الوطن العربي المتكامل. ومن مشتملات هذه الأسس صهر المجموعات السكانية في بوتقة مجتمع عربي منسجم ومتماسك، والولاء للوطن والاعتزاز بالقيم العربية والمثل الروحية، واحترام الحرية والنظام الديمقراطي والمشاركة في التطور الحضاري العالمي.

كانت المدارس في القدس قبل عام 1967م تصنف إلى:

1. المدارس الرسمية (65% من الطلبة)، وهي تتبع إدارياً ومنهجيا وتوجيهياً لوزارة التربية والتعليم الأردنية، وتشمل عشرات المدارس في المدينة والضواحي وهي الغالبية العظمة من المدارس.

1. المدارس الأهلية والخاصة (25% من الطلبة)، وهي إما مدارس ذات ملكية فردية أو مؤسسة أو جمعية خيرية أو مؤسسات دينية طائفية، وهي تتبع إدارات مستقلة، ولكنها تخضع منهجياً وتوجيهياً لوزارة التربية والتعليم الأردنية...

1. مدارس وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين (10% من الطلبة)، وهي تتبع لإشراف دائرة التعليم في وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين وكانت تدرس المنهاج العربي الأردني.

بعد 5 حزيران عام 1967، وبعد انتهاء الحرب استولت سلطات الاحتلال- كما اشرنا سابقاً- على مكتب التربية والتعليم، وعلى المدارس الرسمية الأردنية، ووضعتها تحت سلطتها. وبقيت المدارس الأهلية والخاصة محافظة على وجودها وترخيصها مستندة إلى بند ورد في قانون الضم (قانون توحيد القدس كما أطلق عليه الاحتلال) يجيز للمؤسسات

غير الرسمية؛ كالجمعيات والنقابات التي كانت قائمة قبل 5 حزيران 1967 الاستمرار في عملها كما هو قبل 5 حزيران عام 1967. كما استمرت وكالة الغوث بتشغيل مدارسها كونها إحدى مؤسسات الأمم المتحدة.

فور خروج الأستاذ حسني الأشهب من سجن الرملة أصبح أكثر حرصاً في تحركاته، بعد ان هدده الاحتلال بالإبعاد. ومع ذلك فقد شدد على محاولة استمرارية الإضراب بإرسال الوفود السرية إلى العاملين في التربية؛ ليحضهم على الصمود في وجه الضغوط الاحتلالية، وغالباً ما كانت ترأسها المناضلة فاطمة أبو السعود، أو الأستاذ حسام بدر من الخليل. ولكن، للأسف الشديد، تركت القدس تتجرع عذاباتها وحدها، ورغم ذلك بقيت صامدة في الميدان ولم تركع ولم تئن فهي القدس العصية دائماً على كل محتل ومنذ فتحها عمر بن الخطاب. وصمم العاملون في التربية والتعليم المضربون، وعلى رأسهم الأستاذ حسني الأشهب، ان يسجلوا ملحمة الصمود والحفاظ على القدس ان تبقى «تتكلم العربية».

يرى سمير جبريل / الذي يشغل نفس المنصب الذي شغله حسني الأشهب؛ مديراً لتربية القدس: بأن حسني الأشهب تصدى لسياسة الاحتلال وقوانينه المدعومة بآلته العسكرية والأمنية والإدارية؛ لفرض مناهجه التعليمية على مدينة القدس، حيث يجمع حسني الأشهب من حوله نخبة من المعلمين الأوفياء الذين استجابوا لنداء الوطن، وكانوا الدرع الحصين في حماية الوعي والانتماء وتثبيت الهوية لأجيال القدس. كما أننا أمام إنسان وضع نصب عينيه الوطن كما كان يراه من خلال شفافية العلم والتعليم؛ فرسم صورة للقدس، لم تحرف الألوان المزعجة التي كان سكبها الاحتلال على هذه الصورة نظرته، لتغيير ملامحها فبقي متمسكاً بالصورة التي تروي حكاية القدس العربية ومستقبلها بالعودة والازدهار في أحضان الأمة».

بعد دراسة ومشاورات مع الشخصيات الوطنية والاعتبارية، وعلى رأسهم محافظ القدس، ومع مدراء المدارس الأهلية والخاصة، ومع القريبين منه من رجال التربية؛ موجهين ومدراء مدارس ومعلمين، وبعد أن فتحت مدارس الضفة الغربية (عدا القدس) أبوابها، رأى لزاماً عليه بعد أن أشار عليه الجميع بفك الإضراب أن يوعز للمدارس الأهلية والخاصة المضربة بفتح أبوابها.

وزّع الأستاذ حسني الأشهب عددا من المعلمين والمعلمات على المدارس الأهلية والخاصة بعد اجتماعه مع مسؤولي هذه المدارس، واتفق ان يبقى الأب ألبرت روك منسقا للمدارس المسيحية والأستاذ نهاد ابو غربية منسقا للمدارس الخاصة، على ان يكون المهندس حسن القيق حلقة الوصل بين الأستاذ حسني الأشهب وكل من: الأب ألبرت روك والأستاذ نهاد أبو

غربية ولجنة المدارس الخاصة (التي تضم جميع مدراء المدارس الأهلية والخاصة)، كما تم الاتفاق على ان تخفف المدارس من أقساطها بل ان بعض مسؤولي المدارس الخاصة أعلنوا أنهم سوف يتسامحون مع الحالات التي لا تستطيع دفع الأقساط. كما اتفق ان يتقاضى المعلمون الذين يتقاضون رواتب من وزارة التربية والتعليم مكافآت رمزية مقابل عملهم مع هذه المدارس.

بذلك؛ سجلت المدارس الأهلية والخاصة وقفة وطنية تكتب لها في سجل النضال الوطني بأحرف من نور، وذلك لمساهمة مسؤوليها وموظفيها الكبيرة ووقفتهم الشجاعة من أجل الحفاظ على عروبة القدس. ونجد أنفسنا أمام حقيقة نعتز بها وهي ان «عروبة القدس» ما كانت لتتحقق بدون تعاضد جناحيها من المسلمين والمسيحيين الذين يعملون، منذ العهدة العمرية، على تربية أبنائهم على قيم المحبة والتعاون والتعاضد في مواجهة الاحتلال وأعوانه في مختلف الحقب والعصور.

ترك مئات الطلبة والطالبات المدارس الرسمية المستولى عليها من قبل الاحتلال، والتحقوا بالمدارس الأهلية والخاصة. وولدت هجرة الطلبة إلى هذه المدارس ضغطا على قدرتها على الاستيعاب، وتحملت هذه المدارس ضغط الطلاب الكبير بشكل يدعو إلى الفخر والإعجاب. وقامت إدارة هذه المدارس بواجبها خير قيام، فحق لها ان يعلق على صدورها أوسمة الشرف، وأدّى معلموها الجهد العظيم بمسؤولية وطنية وشغف بحب القدس.

دفعت هذه الضغوط الكبيرة المدارس الخاصة والأهلية، نتيجة تدفق أفواج الطلبة إليها، إلى استعجال الأستاذ حسني الأشهب فتح مدارس جديدة بديلة عن المدارس التي سلبها الاحتلال.

لما كان من المستحيل الحصول على ترخيص لفتح مدارس جديدة فقد استغل الأستاذ البند الوارد في قانون ما يسمى (توحيد القدس)؛ الذي يجيز استمرار المؤسسات العاملة قبل 5 حزيران بعملها كما أسلفنا، فقد عكف على استئجار أو شراء رُخَص مدارس قائمة قبل عام 1967م، ولكنها متعثرة او بقيت صغيرة، ليطورها إلى مدارس إعدادية أو ثانوية.

وبالتشاور مع كل من محافظ القدس ووزارة التربية والتعليم اتفق الأستاذ حسني الأشهب ان تكون جمعية المقاصد الخيرية، التي كان يرأس هيئتها الإدارية السيد أنور الخطيب محافظ القدس (والتي كانت تعمل قبل 5 حزيران 1967)، مظلة قانونية لمكتب تربية وتعليم، يقوم المرحوم الأستاذ حسني الأشهب بتأسيسه لإدارة المدارس البديلة عن المدارس الرسمية التي استولى عليها الاحتلال، خصوصا وان «الأستاذ حسني» قد بدأ باستئجار وشراء

رُخَص بعض المدارس المتعثرة، على ان تغطي وزارة التربية والتعليم الأردنية ميزانية المكتب والمدارس البديلة.

كانت أم المدارس البديلة التي عمل على تأسيسها الأستاذ «حسني الأشهب هي دار الأيتام الإسلامية الصناعية/القسم الخارجي، وشغلت جزءاً من مبنى دار الأيتام الإسلامية الصناعية/القسم الداخلي. والتي كانت تتبع مديرية الأوقاف الإسلامية والتي بقيت جزءاً من وزارة الأوقاف الأردنية، ولكن يشرف عليها مباشرة مجلس الأوقاف الإسلامية في القدس.

وقد اتخذ مجلس الأوقاف الإسلامية قراراً بفتح المدرسة -القسم الخارجي - بقرار رقم 129/3 بتاريخ 1968-9-16م، ونص القرار كالتالي: «بناء على كتاب مدير دار الأيتام الإسلامية يقرر المجلس توسيع القبول للقسم العلمي في دار الأيتام الإسلامية وتنظيم قسم خارجي ابتدائي وإعدادي؛ لمواجهة الطلبات المتكررة التي ترد لـ «دار الأيتام الإسلامية». وبتاريخ 1968-10-1م، وبقرار رقم 143/1 أُعلن تعيين المعلمين للمدرسة، ومديرهم الأستاذ محمد صالح صيام «مديرا للقسم الدراسي الخارجي». وكان كل المعلمين هم ممن يتقاضون رواتب من وزارة التربية والتعليم الأردنية قبل 5 حزيران 1967م.

اتخذ الأستاذ حسني الأشهب جزءًا من مبنى المدرسة مكتبا له؛ يدير منه المدارس البديلة التي كان جلها إما مدارس صغيرة ابتدائية أو روضات أطفال. استأجر لها المباني، وكانت معظمها مباني سكنية كمدرسة : النظامية التي استأجر لها مبنىً سكنياً في بيت حنينا، ووسعها لتصبح مدرسة ثانوية للبنات. والفتاة اللاجئة التي استأجر لها مبنىً من وقف العَلَمي في وادي الجوز وأصبحت مدرسة ثانوية. وكذلك الأمر بالنسبة لمدرسة النهضة في البلدة القديمة. كما دعم مدرسة الروضة الحديثة التي كانت مملوكة للمربية بهيجة الصالح، ثم سلمتها بعد ذلك لإدارة الأستاذ حسني الأشهب بدون مقابل. وكان «حسني الأشهب» قد حوّل مدرسة الأيتام الإسلامية/القسم الخارجي إلى مدرسة ثانوية، إضافة إلى كونها ابتدائية وإعدادية، ولكن كان القسم الثانوي يداوم بالفترة المسائية. واشترى مدرستي كلية الأمة (مملوكة جزئياً للسيد شكري الحرامي)، وهي في ضاحية البريد، وفتح قسماً خارجياً في مدرسة المعهد العربي الأردني الكويتي في ابو ديس، وكان وما زال يديره مجلس أمناء، كان «حسني الأشهب» احدهم، ولكن توجيهياً تبع مكتب التربية في القدس وعين الأستاذ راتب

الأنصاري مديرا له، وهو موظف تربية وتعليم يتبع وزارة التربية والتعليم الأردنية، وكان مديراً لإحدى المدارس في رام الله. وعيَّن «حسني الأشهب» عدداً آخر من المعلمين التابعين للوزارة للتدريس في المعهد.

هجر طلاب المدارس الرسمية المستولى عليها من الاحتلال مدارسهم إلى المدارس الأهلية والخاصة ومدارس الأيتام (أطلق عليها في ذلك الوقت مدارس الأوقاف)، فقد وصل عدد طلاب المدرسة الرشيدية في القدس، وهي من اعرق المدارس في فلسطين قبل 5 حزيران 1967م قرابة (780) طالباً، في حين وصل عدد طلاب السنة الدراسية 70/71 إلى 12 طالباً فقط، وذلك بعد استيلاء الاحتلال عليها. أما عدد طلاب المدارس الإعدادية في المدارس الرسمية قبل 5 حزيران 1967م فبلغ (4100) طالبًا وطالبة، وفي عام 69/70 بلغ (1330) طالباً. وبلغ عدد الطلاب والطالبات في صفوف المرحلة الثانوية في المدارس الثانوية الثلاث قبل 5 حزيران 1967م ما يقرب 1850 طالباً وطالبة أما عام 69/70 فبلغ 190 طالباً وطالبة فقط.

أصدرت سلطات الاحتلال قانوناً بتاريخ 1969-7-7 يقضي بالإشراف على المدارس الخاصة، أقره الكنيست الإسرائيلي، وعرف القانون برقم عدد مسجله (564). وجاء إصداره بهدف إحكام السيطرة على المؤسسات التعليمية في القدس بلا استثناء؛ وبالتالي إحكام السيطرة على المؤسسات الوطنية فيها كافة. وكان في حالة تطبيقه آنذاك، إطلاق الرصاصة القاتلة على عروبة القدس.

جمع الأستاذ حسني الأشهب جميع مسؤولي المؤسسات التعليمية، الأهلية والخاصة، الذين أجمعوا على رفض القانون ووضعوا خطة لمقاومته ورفضه. وكثف الجميع اتصالاتهم مع البعثات الدبلوماسية التي لها علاقات مع إسرائيل ، ومع اليونسكو والفاتيكان وقرر «حسني الأشهب» السفر إلى الأردن، لأول مرة منذ عام 1967.

وفي عمان كثف الأستاذ حسني الأشهب اجتماعاته مع الحكومة الأردنية، وبخاصة مع وزير التربية والتعليم الأردني ووكيل الوزارة اللذين كانا صديقين شخصيين له؛ شارحاً الوضع في الأرض المحتلة خصوصاً القدس وأبعاد القانون (564) وكيفية زيادة عدد المدارس البديلة. كما اجتمع مع كل من الأستاذ عبد الخالق يغمور والأستاذ ياسر عمرو وأعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وهم أصدقاء ورفقاء درب قديمين. واجتمع ثانية في مكتب الأستاذ ياسر عمرو، الذي كان أمين سر اللجنة التنفيذية مع عدد آخر من أعضاء اللجنة التنفيذية، واللجنة المركزية لحركة فتح، جمعهم الأستاذ ياسر عمرو ليستمعوا للأستاذ حسني الأشهب عن الأوضاع في الأرض المحتلة، علماً بان الأستاذ حسني كان يرسل نسخة مما يرسله لوزارة التربية والتعليم الأردنية لمسؤول دائرة التربية والتعليم في منظمة التحرير، بعلم وزارة التربية والتعليم الأردنية.

كما اجتمع مع عدد من الشخصيات الوطنية في الأردن، كالمبعدين: الشيخ عبد الحميد

السائح وروحي الخطيب/ أمين القدس، وإبراهيم بكر، والشيخ إبراهيم القطان، والوزير عبد الوهاب المجالي، والدكتور جميل مرقة وآخرين، ووضعهم بصورة الوضع في الأرض المحتلة، خصوصاً مدينة القدس.

كما أرسل مذكرة إلى الجمهورية العربية المتحدة (مصر) وإلى جامعة الدول العربية شارحاً الوضع في القدس، وأرسل مذكرات بواسطة الحكومة الأردنية إلى اليونسكو والفاتيكان والدول العربية والأجنبية؛ شارحاً الوضع في القدس خصوصاً فيما يتعلق بالتربية والتعليم، وأبعاد القانون (564). وأجرى اتصالات مع اتحاد الجامعات العربية من اجل فتح جامعة في القدس.

علقت سلطات الاحتلال تنفيذ قانون (564) مؤقتاً في المدارس العربية الخاصة والأهلية في القدس؛ وذلك لإصرار هذه المدارس على رفضه جملة وتفصيلاً، وتدخلت بعض الدول التي لها تمثيل دبلوماسي مع إسرائيل، وبضغط كل من اليونسكو والفاتيكان. كما كان لفشلها في فرض المنهاج الإسرائيلي وترك الطلبة للمدارس الرسمية المستولى عليها أثر في تجميد تنفيذ القانون (564).

الحقيقة انه لو نفذ هذا القانون لأصبحت فرص الحصول على رخصة لفتح مدرسة تكاد تكون مستحيلة؛ لان أي شخص أو هيئة لن تكون قادرة على تلبية الشروط الواردة في القانون. كما ان المؤسسات التعليمية القائمة ينزع القانون بشروطه إمكانية بقائها. ويتناول الفصل الثالث من القانون أمر استخدام المدارس الخاصة لمعلميها، ولعل مواد هذا الفصل اخطر ما في القانون؛ فلا يجري تعيين أي معلم في المدارس الخاصة إلا بعد حصوله على إجازة التعليم من مدير المعارف، ولا يمكن منح هذه الإجازة إلا بعد موافقة أجهزة الأمن الإسرائيلية (المادة 16/ب). وقد حاولت سلطات الاحتلال فرض هذا القانون على المدارس الخاصة والأهلية أكثر من مرة، إلا أنها جوبهت بمعارضة قوية من مكتب التربية وإدارات المدارس جميعها على حد سواء.

كما أصدر الحكم العسكري في الضفة الغربية أوامر عسكرية مماثلة للقانون (564)، وحاولت فرضها على مدرسة كلية الأمة وتوابعها، إلا أنها جوبهت برفض شديد من مدير التربية ودائرة الأوقاف الإسلامية.

استمر فتح مدارس بديلة من قبل الأستاذ حسني الأشهب ومكتبه، واستمر تدفق الطلاب من المدارس الرسمية التابعة لسلطة الاحتلال إلى المدارس البديلة التي أطلق عليها رسمياً مدارس الأوقاف، وشعبياً بمدارس حسني الأشهب، منذ أواسط السبعينيات من القرن

الماضي، وسبق ان أطلق عليها قبل ذلك بمدارس الأيتام الإسلامية. وعن هذا كتب الأستاذ طاهر النمّري في مجلة البيادر السياسي عدد (150) تاريخ 7 نيسان 1985 بتوقيع مراقب البيادر التربوي: «ثانياً :المدارس التابعة للأوقاف الإسلامية:

«من المعروف ان المدرسة الأم هي مدرسة دار الأيتام الإسلامية الصناعية، وهي أقدمها وباسمها تم فتح العديد من المدارس ذات الفروع الأكاديمية، داخل الأسوار وخارجها، والهدف من إنشائها هو رعاية ما أمكن من أبناء القدس وضواحيها؛ ليدرسوا المنهاج العربي الأردني، ولتخفيف الأعباء عن المواطنين في احتضان أبنائهم في هذه المدارس مجاناً، وبدون أقساط مدرسية. وقد أدت هذه المدارس دوراً تربوياً وأكاديمياً تعليمياً سيسجله التاريخ لها بأحرف من نور. وهذه المدارس لا يقف أمامها من عقبات سوى المباني التي عز وجودها؛ ولتقصير أهل البلد في تقديم مثل هذه المباني، ولامتناع السلطة (المحتلة) عن إعطاء رخص لإنشاء مدارس جديدة. فقد تم استئجار بيوت سكنية ،أجريت عليها تعديلات لتحويلها إلى مدارس أكاديمية، كما أن بعض هذه المدارس كانت أصلاً موجودة قبل عام 1967، إلا ان مستوياتها وبنيتها كانت مدارس حضانة وابتدائية؛ تم توسيع أطر استيعابها لتصبح مدارس ثانوية كاملة.

يشرف على هذه المدارس نخبة مصطفاة من رجال التربية والتعليم، وكثير منهم كان يحتل مناصب ذات مكانة في الإدارة التربوية واغلبهم من ذوي الخبرات الواسعة. هذا فضلاً عن نخبة من المعلمين والمعلمات الذين كان لهم باع طويل في حقل التدريس، قبل وبعد عام 1967. ويترأس هذا الطاقم من الموجهين والموجهات والمديرين والمديرات والمعلمين والمعلمات مدير التربية والتعليم لمحافظة القدس قبل حرب عام 1967، السيد حسني الأشهب الذي يبذل جهداً كبيراً في عطائه وسهره على تسيير دفة التعليم في مدارس الأوقاف الإسلامية. ومن المتعارف عليه لدى أوساط التربية والتعليم في الضفة الغربية ان مدارس الأوقاف الإسلامية كمدرسة الأمة والنظامية والأيتام المسائية والفتاة اللاجئة، أعطت أفضل النتائج في مستويات النجاح ومعدل العلامات، وأنها في كل سنة عبر السنوات الماضية كانت تحتضن نسباً لا يُستهان بها من أوائل الطلبة في امتحان الشهادة الثانوية العامة.»

وكانت نتيجة فتح هذه المدارس، والتنسيق المستمر مع المدارس الأهلية والخاصة والذي لعب دوراً كبيراً فيه كل من: الأب ألبرت روك والأستاذ نهاد ابو غربية، ومن جانب الأستاذ حسني الأشهب وبإشراف المهندس حسن القيق، وكذلك الالتزام الوطني الكبير لمدراء المدارس الأهلية والخاصة, ان استمر ترك الطلاب للمدارس الرسمية (المستولى عليها من قبل الاحتلال).

وأغلق مزيد من الصفوف، أو مدارس بكاملها، أسوة لما حدث للمدرسة العمرية؛ التي انخفض مستواها من مدرسة إعدادية كاملة قبل حرب 67 لتصبح مدرسة ابتدائية في العام الدراسي 68/69، وإعدادية بنات القادسية التي أصبحت سنة 71/72 ابتدائية للبنين. كما تقرر تصفيتها نهائياً في السنة الدراسية 85/86. أما مدرسة احمد خليفة فقد صفيت نهائياً وحل محلها مدرسة لصغار المعوقين. كما تناقص عدد طلاب المدرسة البكرية إلى أن أُغلقت في العام الدراسي 81/82. وفي العام الدراسي 80/81 افتتحت مدرسة دار الأيتام الإسلامية في الثوري، وكانت نتيجة افتتاحها ان استقطب طلاب حي الثوري، ذو الكثافة السكانية العالية، مما أدى إلى نزوح طلاب مدرسة احمد سامح الخالدي (الرسمية التي تدرس المنهاج الإسرائيلي)، والتي كان تعداد طلابها (700 طالباً) فأصبح تعدادهم (170 طالبا) فقط (عن البيادر السياسي).

أدى نزوح طلاب المدارس الرسمية (التابعة للمعارف الإسرائيلية) إلى إرباك جميع المسؤولين من مدراء مدارس ومعلمين ومشرفين. مما ادى إلى قيام مدراء المدارس الرسمية برفع مذكرة بتاريخ 1/9/1971، أبدوا فيها قلقهم من هجرة الطلاب من مدارسهم، وطالبوا مسؤولي المعارف الإسرائيلية إعادة النظر في المناهج المعمول بها، وإقرار مناهج جديدة لهذه المدارس الرسمية تتناسب وميول ورغبات واحتياجات السكان في شرقي القدس. وكان مدير المدرسة الرشيدية قد طلب من مستشار رئيس بلدية الاحتلال «ميرون بينيفستي» السماح لطلاب الرشيدية التقدم لامتحان الشهادة الثانوية العامة، فوافق بينيفستي في كتاب له لمدير الرشيدية بتاريخ 20/8/69 على ذلك، الأمر الذي استدعى إعطاء حصص تكميلية للصفوف الثوالث الثانوي؛ علمي وادبي، إلى جانب الحصص الرسمية المقررة للمنهاج المعمول به في المدارس العربية في إسرائيل.

استجابت سلطة المعارف الإسرائيلية، مكرهة، إلى مذكرة مدراء المدارس بتاريخ 1/9/71، ووافقت على تشكيل لجنة من القطاعين الرسمي والخاص لبحث قضية المناهج. اجتمعت هذه اللجنة خمسة اجتماعات، وخرجت بتوصية حول البرنامج التعليمي الذي سيطبق اعتباراً من السنة الدراسية 72/73، الذي يرتكز على ما سمي «بالحصص التكميلية» أو ما اصطلح عليه «البرنامج الموحد». وهذا يعني ان يدرس الطالب في المدارس الرسمية (الإسرائيلية) المنهاج المقر من وزارة المعارف بشكل كامل، مع إضافة حصص تكميلية من المنهاج الأردني.

أدى تدريس (البرنامج الموحد) إلى ان تكون نتائج النجاح في امتحان الشهادة الإعدادية في هذه المدارس سيئة، كما كانت نتائج امتحان الشهادة الثانوية العامة ليست اقل سوءاً، الأمر

الذي أدى إلى تسارَعَ انتقال الطلاب من المدارس الرسمية الإسرائيلية إلى المدارس الخاصة والأهلية؛ فرفع بعض مديري ومديرات المدارس الرسمية (التي تدرس المنهاج الرسمي الإسرائيلي) مذكرة إلى رئيس بلدية القدس المحتلة بتاريخ 5/5/74 يطلبون فيها استبدال المنهاج الإسرائيلي بالمنهاج المتبع في الضفة الغربية.

عادت اللجنة المشكلة من ممثلين من البلدية ووزارة المعارف وبعض مدراء المدارس الرسمية والقطاع الخاص واقرت بتاريخ 8/12/1974: فصل الصفوف من السابع (الاول اعدادي) إلى الثاني عشر (الثالث ثانوي)، حسب المنهاجين الإسرائيلي والأردني المعمول به في الضفة الغربية في صفوف منفصلة، على ان تدرس اللغة العبرية (ثلاث حصص) ومدنيات إسرائيل (حصة واحدة) للصفوف الإعدادية مع المنهاج الأردني. وتم عمل استفتاء لأولياء أمور الطلاب الذين يدرسون في المدارس الإسرائيلية الرسمية، إلا أن وزير المعارف الإسرائيلي آنذاك رفض نتائج الاستفتاء، ورفض توصيات اللجنة.

جرى فرز استفتاء لأولياء أمور الطلبة في المدارس الرسمية سابقة الذكر بتاريخ 13/7/76، و تبين ان (3033) ولي أمر طالب في المرحلة الإعدادية يؤيدون تطبيق المنهاج الأردني، بينما حبذ (31) ولي أمر- فقط - إبقاء المنهاج الإسرائيلي، وفي المرحلة الثانوية أيد (447) ولي أمر طالب المنهاج الأردني بينما صوت (21) ولي أمر طالب -فقط -إلى جانب المنهاج الإسرائيلي (عن البيادر السياسي).

نتيجة لضغط تناقص أعداد الطلبة في المدارس الرسمية، وهجرتهم إلى المدارس الخاصة والأهلية،ومطالبة أولياء أمور الطلاب بتطبيق المنهاج الأردني؛ استجابت وزارة المعارف الإسرائيلية ودائرة المعارف في بلدية القدس المحتلة لتطبيق المنهاج الأردني في صفوف منفصلة للمرحلتين الثانوية والإعدادية عام 76، ورفضت تطبيقه في المرحلة الابتدائية.

كان لافتتاح عدة مدارس ابتدائية من قبل مدير مكتب التربية والتعليم في الأوقاف الإسلامية (الأستاذ حسني الأشهب) الأثر في ازدياد نزوح طلاب المدارس الابتدائية الرسمية إلى هذه المدارس. فبعد توفر الأموال افتتحت عدة مدارس ابتدائية عام 80/81، منها اثنتان في وادي الجوز والأخرى قرب مدرسة المطران والثالثة في ضاحية البريد. أما الرابعة، وهي الأهم، فكانت في الثوري، الحي ذو الكثافة السكانية العالية في القدس؛ مما أدى إلى هجرة عدد كبير إلى هذه المدرسة من مدرسة احمد سامح الخالدي. وكان لهذا النزوح اكبر الأثر في اتخاذ المعارف الإسرائيلية قرار تدريس المنهاج الأردني في مدارسها اعتباراً من 1/9/1981، ومع ذلك لم يتوقف الأستاذ حسني الأشهب عن افتتاح المزيد من المدارس في مدينة القدس حتى وفاته رحمه الله يوم الجمعة الموافق 25 ايلول 1998.

كما أسلفنا، عقد اتفاق ثلاثي بين وزارة التربية والتعليم الأردنية وجمعية المقاصد الخيرية، التي كان يرأسها محافظ القدس المرحوم الأستاذ أنور الخطيب في ذلك الوقت، وبين الأستاذ حسني الأشهب، وذلك لعمل مظلة قانونية لمكتب التربية والتعليم يعمل من خلالها؛ حيث ان جمعية المقاصد مؤسسة كانت تعمل قبل عام 1967 على ان تقوم وزارة التربية والتعليم الأردنية بتغطية ميزانية المكتب والمدارس البديلة. ولكن عندما تم فتح مدرسة دار الأيتام الإسلامية الصناعية/ القسم الخارجي؛ وهي مدرسة عريقة أسست في بداية خمسينيات القرن الماضي واتخذ الأستاذ حسني الأشهب جزءاً من غرفها مكتباً له؛ وجد مكتب التربية والتعليم نفسه انه عملياً مستظل بهذه المدرسة العريقة التي كانت تتبع وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية الأردنية.

لهذا لم يتأثر مكتب التربية أو المدارس البديلة بقرار الهيئة الإدارية الجديدة للمقاصد الخيرية عام 1977، بالتخلي عن كونها مظلة لمكتب التربية. فالمكتب كان في الحقيقة، كما يقول الأستاذ سمير جبريل، استمرارًا لمكتب التربية والتعليم ما قبل عام 1967، ويتبع مالياً- ونوعاً ما- إدارياً، لوزارة التربية والتعليم الأردنية، والتي استمرت بدفع ميزانيات المكتب والمدارس حتى عام 1979/1980.

أسفرت المباحثات الأردنية الفلسطينية عن تشكيل لجنة مشتركة لتسيير أمور الضفة الغربية، ودعم مؤسساتها الوطنية، والتي كان من ضمنها مدارس الأوقاف الإسلامية، أو كما سميت جماهيريًا (مدارس حسني الأشهب)، وعرفت في بداية السبعينيات بمدارس دار الأيتام الإسلامية ،حتى مدارس البنات كالنظامية والنهضة والفتاة اللاجئة عرفت بذلك.

أحالت وزارة التربية والتعليم الأردنية الأستاذ حسني الأشهب على التقاعد بتاريخ 31/12/79، وكان قد تجاوز الرابعة والستين من عمره، وذلك بالتزامن مع إشراف اللجنة الأردنية الفلسطينية المشتركة مالياً على مدارس الأوقاف. وبقيت المدارس تتخذ من دائرة الأوقاف الإسلامية مظلة لها وازداد عدد المدارس، وقام الأستاذ حسني الأشهب بالعمل على شراء عدة عقارات سكنية وحوّلها إلى مدارس، بعد ان أوْقَفها وازداد عدد الطلبة النازحين إليها من المدارس الرسمية الإسرائيلية حتى عام 1985، حيث بدأ ت تطفو على السطح خلافات أردنية فلسطينية سياسية، أثرت للأسف الشديد على ميزانية اللجنة المشتركة، وبالتالي أثرت على المؤسسات الوطنية في الأرض المحتلة التي كانت تتقاضى ميزانيتها من اللجنة المشتركة، والتي كان أولها وأهمها مدارس الأوقاف؛ فأصبحت رواتب المعلمين تنقطع، ولمدة تصل لأكثر من شهر، وأصبح الأستاذ حسني الأشهب يذهب شهرياً إلى الأردن؛ يستجدي رواتب معلمي المدارس وميزانيتها ويتنقل، للأسف الشديد، ما بين

مؤسسات الحكومة الأردنية، وعلى رأسها وزارة الأوقاف الإسلامية ووزارة التربية ووزارة شؤون الوطن المحتل، ومؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية وبخاصة دائرة شؤون الوطن المحتل ودائرة التربية والتعليم، مرة ينجح ومرة يفشل، وأصبحت المدارس «كالأيتام على موائد اللئام»، أو «كالدف بين يدي اللطامات»، كما يقول المثل الشعبي. واخذ المعلمون يعلنون الإضراب تلو الإضراب كلما تأخر صرف رواتبهم؛ واستغل الإعلام الإسرائيلي هذه الإضرابات وشن حملة على المدارس؛ وصارت هناك هجرة عكسية للطلبة من مدارس الأوقاف إلى مدارس المعارف الإسرائيلية، وان كانت هذه الهجرة ليست بأعداد كبيرة.

بقي هكذا الحال حتى عام 94 حيث استلمت السلطة الوطنية هذه المدارس، وأصبحت تصرف عليها من موازنتها، وبقي الأستاذ حسني الأشهب يدير هذه المدارس حتى وفاته رحمه الله، وبقيت هذه المدارس وما زالت تستظل بدائرة الأوقاف الإسلامية ووزارة الأوقاف الإسلامية الأردنية حتى يومنا هذا. و ستبقى صفحات من تاريخ معركة المدارس مع الاحتلال مغلقة إلى حين.

حسني الأشهب: في ذاكرة الأجيال..

قبل أن نغادر لا بد من الإشارة إلى كتب المناهج التي ألفها أو شارك في تأليفها للصفوف المدرسية المختلفة، وهي: الرياضيات، والحساب، والكيمياء، والجغرافيا العملية والأطالس لجميع القارات. كما لا بد من التذكير بالمؤسسات التي أسسها، وهي: مدارس القدس التي عُرفت باسمه، ورابطة الجامعيين/ الخليل، وجامعة القدس/ كلية العلوم، وكليّة الأمة/ كلية مجتمع متوسطة والتكنولوجيا، ومجلس التعليم العالي، والمركز (الصحّي) الطبّي العربي، وكليّة الحقوق التي تم ضمّها إلى جامعة القدس. أما المؤسسات التي ساهم في تأسيسها، فهي: معهد البولتكنيك التابع لرابطة الجامعيين/ الخليل، وكليّة التمريض التابعة لجامعة القدس/ رام الله، وكليّة الدعوة وأصول الدين/ جامعة القدس والمعهد العربي الأردني الكويتي.

أضف إلى ذلك المؤسسات التي دعم وجودها فور حرب عام 1967م، وهي: جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية/ القدس، والمعهد العربي (الأردني الكويتي)/ أبو ديس، وجمعية المكفوفين العرب/ القدس، ودار اليتيم العربي/ القدس. أما المؤسسات التي كان عضواً في مجالسها، فهي: المعهد العربي/ القدس-أبو ديس، جامعة القدس/ القدس، ومجلس التعليم العالي، والمركز الطبي (الصحي) العربي، ومجلس الأوقاف، ورابطة الجامعيين، كلية الدعوة وأصول

الدين، و لجنة إعمار المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة/ عمان(اللجنة الرئيسية واللجنة الفرعية)، والهيئة الإسلامية، و دار الأولاد/ مؤسسة القدس.

ولأن هناك من يرعى الإبداع والمبدعين، فقد حصد «حسني الأشهب» العديد من الأوسمة، منها ما استلمه هو شخصيًا، ومنها ما تم تكريمه بها بعد وفاته، وهي:

1. صدرت الإرادة الملكية السامية في الأردن بالموافقة على قرار لجنة التربية والتعليم بمنح الأستاذ حسني الأشهب وسام التربية والتعليم من الدرجة الأولى وذلك تقديراً لخدماته القيمة التي قدمها للتربية ومؤسساتها المختلفة وذلك بتاريخ 1971-1-7
2. منح الرئيس محمود عباس (رئيس دولة فلسطين) الأستاذ حسني الأشهب وسام التميز والاستحقاق بتاريخ 2012-9-18، وذاك تقديراً لدوره الوطني في الدفاع عن عروبة التعليم في القدس وتثميناً لمساهمته في تأسيس العديد من المؤسسات التعليمية والخيرية في فلسطين.
3. منح وزير التربية والتعليم المرحوم الأستاذ حسني الأشهب وسام التربية من الدرجة الأولى كأول وسام تمنحه الوزارة لشخصية تربوية مرموقة.

الخاتمة

هذا هو «حسني الأشهب» الرجل المثابر المجاهد، الذي عشق الأقصى وشوارع القدس العتيقة وأزقتها منذ نعومة أظفاره, يتنسم رائحة حجارتها الزكية المقدسة كل سحر. عمل فأتقن العمل وأنجز, وناضل فأحسن النضال وانتصر.

هذا ما برهنت عليه سيرة الأستاذ حسني الأشهب كشخصية وطنية، ظلت وستبقى، بصمته برهاناً قاطعاً على مدى وفائه وإخلاصه للقدس وأهلها وللوطن والأمة. فبقدراته وإمكانياته وعمله بنى وقاد وصنع تاريخًا، وليس بقرار التكليف بالمسؤولية أو بالمنصب وآلياته. هذا ما برهن عليه تميزه بالعمل والانجاز والصلابة في المواقف الوطنية وقول الحق. أسس فأحسن الأساس, وبنى فأعلى البناء.

فهذا هو «حسني الأشهب»؛ شخصية جماهيرية، متعددة المحاور والأبعاد، ومتشعبة العلاقات التي أفضت إلى شخصية عامة، وكان آخر مسمياته الوظيفية «مدير تربية القدس»، والذي أطلق إسمه شعبيا على مدارس مديرية تربية القدس التابعة لوزارة التربية الفلسطينية. وعلى الشارع الممتد من الرام الى كلية الأمة في ضاحية البريد.

لقد تبين أننا أمام «حسني الأشهب»؛ التربوي المنتمي لكل أبجديات التربية، والسياسي-الوطني الكارِه للاحتلال وأعوانه ومريديه، والإداري الحازم؛ الذي لا يخشى في العمل غضب مقصّر. تلك السمات والخصائص البارزة، التي نرصدها وفق الأبعاد التربوية، والسياسية-الوطنية، والاجتماعية. وقد التحمت تلك الأبعاد، فيما بينها، تحت إطار من الحزم والشدة في مواجهة الأزمات، وفق نمطية لا تخلو من اللين والتعاطف مع المتضررين من الاحتلال؛ فكان الحضن الدافئ لكل من لاحقه الاحتلال وحرمه من لقمة العيش.

من جانب آخر؛ تشير أرشيفات العديد من المؤسسات التربوية والصحية والاجتماعية إلى أنه كان لـ «حسني الأشهب» دور ما فيها، مباشر أو غير مباشر، سواء على مستوى التأسيس أو التطوير أو الحماية من الانهيار والتلاشي، مثل: جامعة القدس، كلية الأمة، معهد بوليتكنيك فلسطين (الذي أصبح جامعة)، مستشفى المقاصد وغير ذلك مما يصعب حصره في هذه العجالة. كما أن المكتبات (تعتمر) بآثاره من الكتب العلمية، والكراسات، والأطالس... الخ، التي استخدمت للتعليم في شتّى التخصصات.

لم يتوقف عند هذا الحد؛ وإنما أودع في المكتبة الوطنية الفلسطينية والمكتبة العربية-عمومًا- مجموعة من المؤلفات في المجالات التربوية والعلمية المختلفة. وبالتالي فإن الأوسمة التي منحت للمرحوم حسني الأشهب، حتى اللحظة، وتلك التي سيحصدها ما هي إلا استحقاقات طبيعية لتربوي مقدسي عمل بإخلاص وتفان في خدمة شعبه، عبر مؤسسات ذات أهداف مختلفة تشكل في مجموعها سياجًا أمينًا، وحصنًا منيعًا في مواجهة عمليات التهويد التي لن نتغلب عليها إلا بالمزيد من الأشخاص والشخصيات ذوي الصفات التي تحلى بها حسني الأشهب، عبر مراحل عمره المختلفة.

إن في ذلك كله إشارة إلى دور المرحوم «حسني الأشهب» في المحافظة على شخصية الإنسان المقدسي وهويته. ولم يتوقف عند تلك الحدود، وإنما سعى إلى أن يبني لمعلمي القدس العاملين معه إسكانًا في القدس، ينعم به عشرات منهم، هم وأسرهم وذرياتهم.

هذا هو «حسني الأشهب»؛ شخصية جماهيرية، متعددة المحاور والأبعاد، ومتشعبة العلاقات التي أفضت إلى شخصية عامة، وكان آخر مسمياته الوظيفية «مدير تربية القدس»، والذي أطلق اسمه على مدارس مديرية تربية القدس التابعة لوزارة التربية الفلسطينية.

رحم الله «حسني الأشهب» وصحبه، الذين ذادوا عن القدس وأهلها، عندما بَنَوْا فأحسنوا البناء، وشيّدوا فأبدعوا، وبثّوا الأمل في النفوس فجعلوا في القدس من يذود عنها من جيل إلى جيل. إنهم، بذلك، سنّوا سنة حسنة، لهم أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم الدين. وهذا

يحتّم علينا أن نفي لهم؛ بالكتابة عنهم والتوثيق لسيرهم ومسيراتهم في «كتب» متخصصة لهذه الأغراض، وهذا ما نحن مقبلون عليه في قادم الأيام بمشيئة من اللّه وتوفيقه.

صورة فوتوغرافية للمرحوم «الشيخ
حلمي المحتسب»

الشيخ حلمي حسن طاهر عبد الغني المحتسب

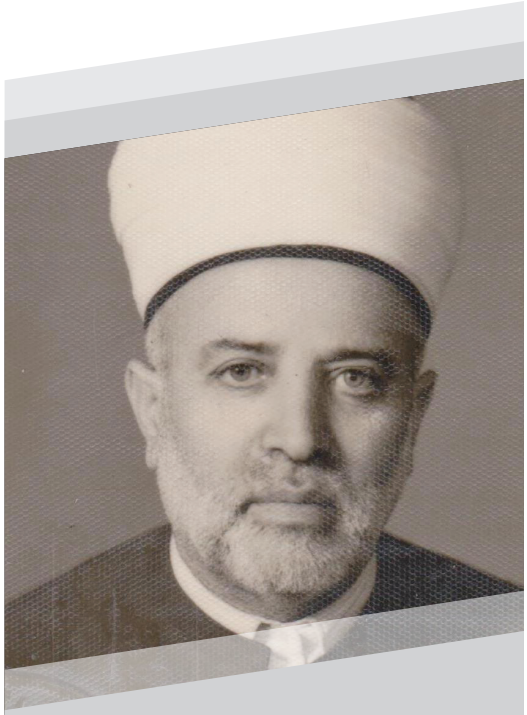

مقدمة

لا يمكن الحديث عن القدس أو المقدسيين دون الحديث عن الأماكن المقدسة، كما لا يمكن التحدث عن القدس ما بعد النكسة دون أن نعرج على حريق المسجد الأقصى في العام 1969. إنه الحدث الذي هزّ أركان كل عربي ومسلم حر. إذ لم يكن مجرد حلقة من حلقات الحرب في القدس، بل إنه كان إجرام فرد وإجرام دولة داعمة لأفرادها المجرمين؛ بأن تحرضهم على أفعالهم الإجرامية، ثم تتبعهم بتبريرات وتأويلات ما أنزل الله بها من سلطان.

لأهمية هذا الحدث، أردنا أن يضم كتابنا هذا «مقدسيون صنعوا تاريخًا» واحدًا من أركان القدس، وبالتحديد من أركان الأوقاف والمقدسات الإسلامية فيها، في تلك الحقبة من الزمن. فوقع الاختيار على «الشيخ حلمي حسن طاهر عبد الغني المحتسب»؛ ذلك المقدسي القادم من خليل الرحمن المرابط في المسجد الأقصى، ليس كعابد في رحابه وحسب، وإنما كشخصية سياسية وإدارية مسلحة بالإيمان بحرمة مسرى محمد صلى الله عليه وسلم ومعراجه، وبالأمانة التي يحمل وزرها كل عاقل وبالغ من أبناء الأمة اتجاه حمايته والدفاع عنه.

عندما أخذنا ننقب عن شخصية الشيخ «حلمي المحتسب»، قيل لنا بأن الرجل كان صاحب شخصية هادئة، مقلاً في الحديث، يميل إلى الابتعاد عن الإعلام وصخبه وعن الأضواء التي يتزاحم عليها المسؤولون في كل الحقب والعصور. فلم نعثر على الكثير مما يمكن الكتابة عنه، سوى ما زودنا به نجله المحامي «محمد بشير»، الذي لم يبخل بما لديه من بيانات وبينات عن والده.

ونظرًا لحجم المأساة التي تركها حريق المسجد الأقصى في نفوس أبناء الأمة، وبخاصة الفلسطينيين المرابطين فيه، فقد خرج الشيخ «حلمي المحتسب»؛ رئيس الهيئة الإسلامية في القدس عن نطاق هدوئه المعهود، وانطلق ليقود حملة فضح الأعمال الإجرامية التي يتم اقترافها بحق المسجد الأقصى والأوقاف الإسلامية والتي انتهت بذلك الحريق المشئوم في (21 آب، 1969). وقد وجدنا ذلك فيما وثقته بعض المجلات ووسائل الإعلام المختلفة على لسانه، سواء فيما يتعلق بحريق المسجد الأقصى أو بشأن الحفريات والاعتداءات المختلفة في تلك الجغرافيا المستهدفة بالتهويد قبل غيرها من أي جزء من الجغرافيا المقدسية..

الشيخ حلمي حسن طاهر عبد الغني المحتسب (١٩٨٢-١٩٠٦)

شيخ أزهري.. ولد في خليل الرحمن.. تعلم في القاهرة؛ فنهل من علوم الأزهر الشريف ما يسعفه لممارسة القضاء الشرعي على أكمل وجه.. قاوم البريطانيين فأمضى في معتقلاتهم بضع سنين.. وكلما تولى منصبًا كرسه لخدمة شعبه وقضاياه المصيرية.. تبوّأ أعلى المناصب الدينية، فوجد نفسه في مواجهة مباشرة مع الاحتلال، الذي داهم القدس بعمليات تهويد مبرمجة ومعدة مسبقًا.. فكان حريق الأقصى في العام 1969 الحدث الذي وضعه في صدارة الأحداث، فلم يألُ جهدًا في الدفاع عن مسرى محمد صلى الله عليه وسلم، لا قبل الحريق ولا بعده..

سيرة حياته[56]: المولد-النشأة-التعليم:

- ولد «الشيخ حلمي حسن طاهر عبد الغني المحتسب» في مدينة الخليل سنة 1906.
- له سبعة من الأشقاء وعشرة من الأولاد والبنات، ثلاثة ذكور وسبع إناث.
- تلقى تعليمه الابتدائي في مدارس مدينة الخليل.
- كان والده من محبي العلم والتعليم؛ فحثه على دراسة الشريعة الإسلامية، حيث قام بإرساله إلى جامعة الأزهر الشريف في مصر.
- سافر، في أواسط العشرينيات، إلى القاهرة ودرس في الأزهر الشريف، فحصل على شهادتين؛ الأهلية والعلمية للغرباء؛ وهي دراسة متخصصة في الشريعة الإسلامية.

الوظائف والمناصب التي تقلدها:

- قام «الشيخ حلمي المحتسب»، في أواخر العشرينيات من القرن العشرين، بالتدريس في مدرسة «مدرسة الإصلاح الأهلية»؛ وهي مدرسة أهلية في الخليل.

56 وردت هذه المعلومات في الرسالة التي أرسلها نجله «أ. محمد بشير» عبر البريد الالكتروني، بتاريخ: 28 نيسان، 2015م.

- في أوائل الثلاثينيات، عينه المجلس الإسلامي الأعلى الذي كان برئاسة المرحوم سماحة الشيخ الحاج أمين الحسيني، واعظا في مدينة بئر السبع ولعشائر بئر السبع. ثم في أواسط الثلاثينيات، تم تعيينه رئيسا لكتاب المحكمة الشرعية في الناصرة.
- تشير الوثائق إلى أنه كان في العام 1946 «الشيخ حلمي المحتسب» بمسمى مشاور قاضي القدس الشرعي[57].
- في سنة 1947، عين «الشيخ حلمي المحتسب» قاضيا شرعيا لمدينة عكا، وعندما حلت النكبة غادرها إلى لبنان، ثم إلى دمشق.
- خلال وجوده في دمشق، تم تعيينه من قبل المجلس الإسلامي الأعلى قاضيا شرعيا في مدينة القدس إلى جانب سماحة الشيخ عبد الحميد السائح، ثم تنقل بعدها قاضيا شرعيا بين مدن: اربد ونابلس وعمان.
- في بداية الستينيات، وأثناء وجوده في مدينة عمان، تم ترفيعه من قاض إلى عضو في محكمة الاستئناف الشرعية في مدينتي عمان والقدس، عاد خلالها إلى السكن في بيته الذي أنشأه في مدينة القدس في بداية الخمسينيات. حيث كان سماحة «الشيخ عبد الحميد السائح» رئيسا لمحكمة الاستئناف الشرعية، والتي كانت تعقد جلساتها ثلاثة أيام في الأسبوع في عمان، وثلاثة أيام في القدس.
- بعد حرب 1967 استقر «الشيخ حلمي المحتسب»، مع كثير من الرجالات والعلماء، في مدينة القدس. وللضرورة التي أوجدتها ظروف الاحتلال، قام رجالات وعلماء فلسطين بمشاركة المرحوم بتأسيس الهيئة الإسلامية، ومقرها القدس؛ لمواجهة الاحتلال ومنعه

---

57 ورد ذلك في: محمد، بلال (2014). خبرُ الإخوانِ المسلمينَ الفلسطينيينَ 3/1 تأسيس شُعَب فلسطين وتنظيمها، من خلال صحيفتَي الدفاع وفلسطين: تشرين الأول 1945 م – أيار 1948 م. حوليات القدس. العدد (18). ص: 35–57. حيث ورد في الخبر بأنه في أوائل كانون الثاني 1946زار وفد من جماعة الإخوان المسلمين المجلس الإسلامي الأعلى؛ لاستئجار قطعة أرض تابعة للأوقاف الإسلامية، ثم في 28 أيار، إلى أن أصدر المجلس قراراً بالموافقة على منح الأرض لها، وأحاله إلى مدير الأوقاف العام لاتخاذ الإجراءات القانونية لتنفيذه، فتوجه أمين سر الجماعة الشيخ محمد أسعد الإمام الحسيني إلى مأمور أوقاف القدس، الذي رفع المعاملة بحسب الأصول للقاضي الشرعي للنظر فيها، وبعد استكمال إجراءات معاينة الأرض لتخمينها وتقديرها بحضور معتمد الإخوان، تم التوقيع على صكّ الإجارة وحددت مدة إجارة الأرض بـ (29) عاماً، تتجدد عقب انتهائها ما دامت الجماعة قائمة. وقد ضم وفد المعاينة الشيخ حلمي المحتسب مشاور قاضي القدس الشرعي والشيخ محمد أسعد الإمام الحسيني أمين سر الجماعة، والسيدين داود الفتياني وحسن قليبو من أرباب الخبرة، وحددت مساحة الأرض بنحو ثمانية دونمات ونصف. وهي موقوفة لضريح ولي الله الشيخ جراح.

من إدارة شؤون المسلمين في القدس والضفة الغربية ولحماية المقدسات الإسلامية من الاعتداء، والمحافظة على استمرارية عمل المؤسسات المقدسية وخدمة المواطنين.

- بعد عدة أشهر من الاحتلال الإسرائيلي، عام 1967، قام الاحتلال بإبعاد سماحة «الشيخ عبد الحميد السائح» إلى الأردن، وتولى بعده المرحوم الشيخ حلمي المحتسب منصب رئيس محكمة الاستئناف الشرعية في القدس، وتولى كذلك رئاسة الهيئة الإسلامية بالإضافة إلى مناصب أخرى حتى تاريخ وفاته في 1982/1/26.

- بعد حرب 1967، وحتى تاريخ وفاته، تقلد «الشيخ حلمي المحتسب» عدة مناصب، هي:
  - رئيس محكمة الاستئناف الشرعية بالقدس.
  - قائم بأعمال قاضي القضاة في الضفة الغربية.
  - رئيس مجلس الأوقاف الإسلامي الأعلى.
  - رئيس الهيئة الإسلامية.

- رئيس مجلس إعمار المسجد الأقصى والصخرة الشريفين.
- رئيس مجلس أمناء كلية الدعوة وأصول الدين في القدس.
- عضو في رابطة العالم الإسلامي.
- عضو في عدة مجالس أمناء كليات وجامعات القدس ومؤسساتها.

سماته.. وشخصيته التي تفرض حضورها:

كان «الشيخ حلمي المحتسب» معروفا بحلمه وتواضعه وتفانيه في العمل، وحسن الاستماع إلى كل من يتقدم إليه بطلب أو شكوى بحكم مناصبه.

عمل مع مجموعة من المقدسيين الغيارى على قدسهم؛ بأبعادها: الدينية، والوطنية والسياسية. فشاركهم وشاركوه، في الفترة الأخيرة من حياته، في اتخاذ القرارات الهامة والجريئة للمحافظة على المقدسات الإسلامية وإدارة المؤسسات المقدسية، منهم: الشيخ سعيد صبري والشيخ سعد الدين العلمي، وأنور الخطيب، وأنور نسيبة، والأستاذ حسني الأشهب، والشيخ رجب بيوض التميمي، والشيخ سفيان الخالدي، والشيخ واصف عبده، والشيخ حسن طهبوب، وهند الحسيني وغيرهم ممن تيقظوا لمواجهة عملية التهويد التي كانت تتم بحق القدس.

ومن بين القضايا الكبرى التي تمكن «الشيخ حلمي المحتسب»، ومن معه، من إنجازها: 1) استمرار عمل مستشفى المقاصد الإسلامية في القدس؛ الذي كانت سلطات الاحتلال تنوي تحويله إلى مقر للشرطة الإسرائيلية، بعد اقتطاع جزء منه كإسطبل. 2) تأسيس وتثبيت المدارس والمعاهد والكليات التعليمية العربية المقدسية.

بالإضافة إلى كل ذلك فقد تعددت نشاطات «الشيخ حلمي المحتسب» وزملائه من أبناء القدس وفلسطين، بمشاركة الإخوة في غزة هاشم وسيناء، فامتدت إلى داخل الخط الأخضر، من حيث: تدعيم الهوية الفلسطينية والإسلامية، وتقديم الدعم في مجال إصلاح المساجد ودور العلم والجامعات.

بعد الاحتلال الإسرائيلي عام 1967، مر «الشيخ حلمي المحتسب» بحادثين مأساويين؛ أثرا في حياته الشخصية، هما:

1. حريق المسجد الأقصى في 21/08/1969م.

2. استشهاد ابنه «محمد نبيل» عن عمر يناهز 25 عاما يوم 1/1/1970؛ عندما ألقى احد الفدائيين قنبلة في مدينة الخليل على دورية عسكرية احتلالية، فاخطأت الدورية وأصابت ابنه نبيل، وقريباً آخر له، استشهدا على أثرها في نفس اليوم.

أضف إلى ذلك الظروف العامة، والهموم الناجمة عن الاحتلال، التي سببت معاناة الشعب الفلسطيني والتي كان يتابعها «الشيخ حلمي المحتسب»، وهو على تماس مباشر بها؛ بحكم المناصب التي كان يتولاها.

إنجازاته.. شجاعته.. وطنياته.. وأفكاره الخلّاقة:

لم يكن الشيخ الأزهري «حلمي المحتسب» ليقبل بالظلم الواقع على وطنه وعلى أبناء شعبه، فكان جزءًا من الحركة الوطنية المناوئة للانتداب البريطاني الذي جاء إلى فلسطين لكي يسلمها للحركة الصهيونية؛ فتعرض، وهو في ريعان شبابه في أوائل ثلاثينيات القرن العشرين، إلى الاعتقال على يد الانجليز مرتين؛ الأولى لمدة ثلاث سنوات، والثانية لمدة تسعة أشهر قضاها في معتقل صرفند.

لم يفت ذلك في عضده ولم يثنه عن استراتيجيته في مواجهة الانتداب-الاحتلال ومشاريعه الهادفة إلى الانقضاض على أرض فلسطين، وحقوق الفلسطينيين بالعيش الكريم على أرض الآباء والأجداد؛ فعندما عُيِّن، واعظا في مدينة بئر السبع ولعشائر بئر السبع، في أوائل الثلاثينيات، كان من أهم أعماله في مجال الوعظ الديني الحث على منع بيع الأراضي لليهود.

وبهدف نشر أفكاره تلك قام «الشيخ حلمي المحتسب»، بمساعدة الشيخ إبراهيم الصانع والشيخ حماد الصانع (من شيوخ عشائر بئر السبع)، بعقد مؤتمر كبير عام لبدو بئر السبع، بحضور رجالات فلسطينية، وعلى رأسهم المرحوم الحاج أمين الحسيني، كانت أهم أهدافه الحث على عدم بيع الأراضي لليهود، وفي هذا المؤتمر أقسم الجميع؛ من رجالات العشائر البدوية على تنفيذ ذلك.

وعندما عين «الشيخ حلمي المحتسب» قاضيا شرعيا لمدينة عكا، في سنة 1947، واشتد الحصار على سكان عكا، من قبل اليهود، كان وجود «الشيخ حلمي المحتسب» عاملا مساعدا في تثبيت سكان عكا في مدينتهم، ولكن بسبب اشتداد الحصار كان آخر من هاجر من مدينة

عكا إلى قرية الغازية في لبنان؛ بعد أن اضطر لترك كامل أثاثه ومكتبته العلمية القيمة وشهاداته، وكان بعد خروجه من عكا قد رفض استلام بطاقة اللاجئين ورفض أن يسمى لاجئا.

... ويبقى دفاعه عن القدس وثائق للأجيال

ونحن نبحث في سيرة «الشيخ حلمي المحتسب» ومسيرته، وجدنا أن هناك ارتباطًا كبيرًا بينه وبين الدفاع عن المسجد الأقصى مما يجري حوله وتحته من حفريات، منها:

أولًا: الحريق الذي تعرض له المسجد الأقصى المبارك في 21/08/1969م، خرج في اليوم التالي لذلك العدوان الهمجي، وعقد «الشيخ حلمي المحتسب»، رئيس الهيئة الاسلامية في القدس، مؤتمرًا صحفيًا أوضح فيه ما جرى، بعد أن حمّل سلطات الاحتلال مسؤولية ذلك الفعل الإجرامي كاملًا، بقوله[58]:

> **«لقد عانينا منذ بدء الاحتلال الشيء الكثير من أمورنا ومقدساتنا. كنا كثيراً ما نشتكي ونقدم الاحتجاج تلو الاحتجاج مطالبين بدرء الأعمال التي لا يمكن السكوت عنها، ولكن كان ذلك كله بلا جدوى، وكان من جملة هذه إجراء الحفريات بجوار المسجد الأقصى. لقد بدأت إحدى البعثات بالحفر منذ سنتين ولا زالت تعمل في المنطقة، رغم أن الأرض ملك للمسلمين ولم يستأذنوا في ذلك، وأن عمل هذه البعثة مخالف للقوانين والأعراف الدولية جميعاً. كما أجريت حفريات تحت المدرسة التنكزية والمحكمة الشرعية، وقد اعترضنا على ذلك، وكنا كثيراً ما نطالب بأن نطلع على هذه الحفريات وأن نرى ماذا يفعلون هناك، ولكن السلطات كانت تمنعنا من ذلك، رغم أننا أصحاب الحق وأصحاب الملك»**

ثم تطرق إلى تفاصيل ما جرى في ذلك اليوم، وفق التسلسل التالي:

- منذ ثلاثة أو أربعة أيام، جاء شبان من اليهود وأقاموا استعراضاً وهتفوا للهيكل الثالث على أرض المسجد الأقصى.
- وأخيراً، وفي هذا اليوم، تلقيت في بيتي هاتفاً في الساعة السابعة صباحاً يخبرني بأن

58 جورج خوري نصر الله، جمع وتصنيف، الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1969 ((بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1971)، 328-329.

المسجد الأقصى يحترق. وما كنت لأصدق هذا النبأ، لأنه لا يمكن أن يخطر على بال أي إنسان أن المسجد الأقصى يعتدى عليه ويحترق بالطريقة والشكل الذي رأيتموه عليه اليوم ورآه أهل القدس وكل الناس.

- عندما حضرت ورأيت أن عملية الإطفاء كانت بطيئة، استنجدت بالمسؤولين فأجابوا بأن سيارات الإطفاء ستحضر بعد ربع ساعة، ومرت ربع ساعة وأكثر منها ولم تحضر سيارات الإطفاء. وفي هذا الوقت أخبرت بأن المياه قد قطعت فأخذنا نخرج الماء من الآبار، وساعدنا الجمهور والحاضرون وجاءت عربات الإطفاء من رام الله والخليل. وقد أقفل الحرم الشريف أثناء ذلك، ومنع الناس من المرور.
- وقد شكلت لجنة خاصة للقيام بالتحقيقات اللازمة. وتوصلنا إلى نتائج أولية تدل على أن الحريق مفتعل وليس بالعادي، كما أكد تقرير هيئة المهندسين العرب أن الحادث مفتعل، ولم يكن للكهرباء أي تأثير في الأمر أبدًا.

ثانيًا: الرسائل التي كان يرسلها رئيس الهيئة الإسلامية في القدس، «الشيخ حلمي المحتسب»، إلى الحكومة الإسرائيلية، ويطلعها على ما يجري، ويطلب منها وضع حد لهذه المخالفات. وعندما نفذ العمل الإجرامي بحرق المسجد الأقصى كان قد أرسل ما زاد عن 70 رسالة، ولكني لم أتلق جواباً عن أي منها[59].

ومن بين تلك الرسائل ما أرسله في 11/07/1968؛ أي بعد نحو عام من احتلال القدس، إلى «ليفي أشكول»؛ رئيس الحكومة الإسرائيلية في حينه، ومما جاء فيها[60]:

- شدد على أن الحفريات التي تجريها السلطات الإسرائيلية خلف جدار الحرم الشريف تعتبر تحدياً مثيراً لشعور المسلمين، دون الالتفات للاحتجاجات والاعتراضات التي أبداها المسؤولون من المسلمين.
- اعتبر ان تلك الحفريات تجري على مشهد من جماهير المسلمين، وبشكل استفزازي مؤلم، وفي كل ذلك اعتداء صارخ على حقوق المسلمين وقدسية أماكنهم الدينية؛ لأن ملكية الجدار الغربي وما يحيط به من أبنية هي وقف إسلامي يعود للمسلمين وحدهم، وليس لليهود أي حق فيها إلا الزيارة فقط.

59 جورج خوري نصر الله، جمع وتصنيف، الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1969 ((بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1971)، 328-329.

60 جورج خوري نصر الله، جمع وتصنيف، الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1968 ((بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1970)، 514-515.

- أكد على أن استمرار تلك الحفريات في أرض تملكها الأوقاف الإسلامية، واستمرار الهدم للأملاك الإسلامية، ومواصلة العمل تحت سور الحرم الشريف بالاستناد إلى القوة وسلطة الحكم، يعتبر استمرارا للاعتداء على قدسية هذا المكان، وتحدياً مثيراً لشعور المسلمين، وعدم المبالاة بحقوقهم منذ أقدم العصور.
- في الختام؛ ذكر المرسل إليه بتصريحاتكم بالمحافظة على الأماكن المقدسة وعدم المساس بها.

ثم توالت رسائل الاحتجاجات والتحذيرات للحكومات الاحتلالية المتعاقبة، من غضبة الشعب الفلسطيني وشعوب الأمتين العربية والإسلامية، إلى أن توفاه الله في العام 1982؛ قبل أن يشاهد انتفاضة أطفال الحجارة في العام 1987، وانتفاضة النفق في العام 1996، وانتفاضة الأقصى في العام 2000 التي فجرتها زيارة شارون إلى المسجد الأقصى في 28/09/2000.

الخاتمة

هذا هو الشيخ الجليل «حلمي المحتسب» الذي تبوّأ مناصب كثيرة، وظفها جميعها في خدمة شعبه؛ بالتوعية والتثقيف والتوجيه للمحافظة على أرضه أمام تلك الهجمة الشرسة التي تنبه إليها مبكرًا، عندما أخذ يحرض الناس على عدم التفريط بأراضيهم للصهاينة القادمين من خلف البحار.

ولعل ما ميز «الشيخ حلمي المحتسب» جرأته في تلك الطروحات بالرغم من وجود الانتداب البريطاني، صاحب الجبروت والسطوة، والذي كان شيخنا الجليل قد أمضى بضع سنوات في معتقلاته.

كما أنه كان، في مختلف المناصب التي شغلها، محل ثقة مسئوليه؛ إذ يسند إليه ترؤس اللجان المختلفة ذات الصلة بالأوقاف والمقدسات الإسلامية، إلى أن جاءت النكبة التي قلبت الأوضاع في الوطن الفلسطيني، رأسًا على عقب. فطال شيخنا ما طال شعبه من التشرد والتشتت، فتنقل بين عمان والقدس، إلى أن وقع الوطن بأكمله تحت وطأة الاحتلال الغاشم الذي جاء مكشرًا عن أنيابه من أجل تهويد المكان والزمان والجغرافيا والتاريخ.

وهنا؛ تمركز «الشيخ حلمي المحتسب» خلف إيمانه بحق المسلمين في قدسهم، بخاصة المسجد الأقصى، حيث الإسراء والمعراج، وأخذ يذود عن القدس وما فيها من مقدسات في

مواجهة الأكاذيب والتضليلات التي مارسها الاحتلال منذ اليوم الأول الذي وطئت فيه قدمه أرض فلسطين بعامة والقدس بخاصة. فتصدى للاحتلال، بكل ما أوتي من قوة، وسعى إلى كشف أكاذيبه وألاعيبه التي تتنافى والقوانين الدولية، التي ادعى مسئولوه أنهم سوف يراعونها.

وإن المتتبع لمراسلات «الشيخ حلمي المحتسب» للحكومات الاحتلالية المتعاقبة، والقارئ لما بين سطورها يستنتج مدى الغيظ والغضب الذي كان يحياه الرجل كمسئول أمام الله وأمام الناس، على ذلك الاحتلال البغيض الذي يستخدم سطوته وقوته في الاعتداء على الحقوق التاريخية للشعب الواقع تحت الاحتلال. كما يقرأ بين ثناياها تلك الأمانة التي يضعها شيخنا في أعناق الأجيال التالية، التي يتوجب عليها حماية المقدسات والذود عنها بالغالي والنفيس.

صورة فوتوغرافية للمرحوم «الشيخ سعيد صبري»

الشيخ سعيد عبد الله صبري

مقدمة

ونحن نعد لكتابنا هذا «مقدسيون صنعوا تاريخًا» أخذنا نستطلع آراء كبار السن من المقدسيين، الذين عاشوا في القدس وعايشوا همومها، عبر الحقب الزمنية المختلفة. فكان من بين المعايير التي وضعناها أن يكون من بين الشخصيات المقدسية التي يجب أن يتضمنها الكتاب، ما يتعلق بمجال الأوقاف والمقدسات الإسلامية، من حيث: رعايتها، وتوسعتها، وضبط إيقاعها بما يخدم عروبة القدس؛ بإسلاميتها ومسيحيتها. وكنا نتلمس البحث عن مقدسيٍّ واجه مخططات الانتداب البريطاني، ومؤامراته لصالح اليهود، ثم واجه عمليات التهويد التي جرت، على قدم وساق، منذ أن ظهرت الحركة الصهيونية في أرض فلسطين، مرورًا بالنكبة والنكسة وما بعدهما وما بينهما.

لكل تلك السمات والخصائص، وجدنا المرحوم «الشيخ سعيد عبد الله صبري»؛ ذلك المقدسي، القادم من قلقيلية، الذي بنى في مجال الأوقاف الإسلامية، فأعلى البناء، وأعطى من وقته ومن علمه فأجزل العطاء، وانتمى إلى القدس والمقدسيين، قلبًا وقالبًا ووجدانا وعاطفة؛ فأبدع في تطوير الأوقاف ووظفها لخدمة المجتمع المقدسي. ولأن القدس كانت هي العاصمة، وهي صمام الأمان، وهي منبع الخير والخيرات، فكان لكل ما فعله «الشيخ سعيد صبري» انعكاس إيجابي على فلسطين. فكان الخير العميم على يد «الشيخ سعيد صبري» الذي امتدت آثاره لتصل إلى أقصى نقطة من الوطن تقع ضمن السيادة الوطنية.

لأن كتابنا هذا يقرأ كل شخصية من شخصياته بأبعادها العلمية والاجتماعية والسياسية والعائلية... الخ، فإننا، وإلى جانب الاطلاع على الوثائق الرسمية، قمنا بالتواصل مع أبناء المرحوم «الشيخ سعيد صبري»، وهم: د. عبد الله، د. عكرمة والشيخ إبراهيم.

إلا أن غالبية العبء، في المتابعة والتدقيق والتمحيص وسرد المعلومات كان على عاتق «الشيخ د. عكرمة سعيد صبري»[61]، الذي لم يبخل علينا بأية معلومة أو بيان مهما صغر أو كبر، من أجل الخروج باللوحة الجميلة التي حفرناها في متن هذا الكتاب، للمرحوم «الشيخ سعيد صبري»؛ كمقدسي بنى للأجيال ما لا يُنسى، على المستويين: المادي؛ المتمثل بالمباني والعمارات الرابضةً على أرض القدس كشاهدٍ على عروبتها في

61 تم الاعتماد على كتيب: «عكرمة صبري: فقيد الأمة الشيخ سعيد صبري، مطبعة دار الأيتام الإسلامية، القدس، 1974».

مواجهة محاولات التهويد التي أصبحت تطال كل شيء في قدسنا الحبيب. والمعرفي والقِيَمِي والديني والعقائدي والتثقيفي؛ المتمثل بتلك اللوائح والأنظمة والمتابعات التي جعل منها «الشيخ سعيد صبري» سنّة حسنة، اعتنقتها الأجيال اللاحقة واعتمدتها منهجًا في تعاملاتها فيما بينها ومع الآخرين.

الشيخ سعيد عبد الله صبري (١٩٧٣-١٩١٠)

شيخ أزهري.. قاوم البريطانيين.. وقارع الصهاينة.. عاش شامخًا؛ لم ينحنِ لأحد، وعندما طُلب منه الانحناء فضّل الموت.. عَمَرَ البلاد وشاد المباني، أينما ذهب في فلسطين والأردن.. انتمى للقدس، وأهلها؛ فأحال المقبرة إلى استثمار في عمارات تتشابك من الجهتين؛ لتحتضن شارع صلاح الدين.. لأن القدس هي بؤرة عمله، فقد وصل إشعاع إنجازاته ليضيء المظلم من ربوع أوقاف فلسطين والأردن.. نزل للشارع فصرخ في وجه الظلم، واعتلى منبر صلاح الدين في المسجد الأقصى المبارك، فدعا إلى محاربة الظلم والظالمين؛ لأن المسلم يأبى الذل والهوان..

سيرة حياته[٦٢]: المولد-النشأة-التعليم:

- ولد الشيخ سعيد عبد الله صبري في قلقيلية في العام 1910.
- نشأ وترعرع في جو ديني وعائلة متوسطة المعيشة.
- وجد والده الشيخ عبد الله فيه خير خلفٍ له في طلب العلم الشرعي؛ فأرسله إلى الأزهر الشريف، بعد أن أتم المرحلة الابتدائية.
- كان في مصر مثالا للطالب المجد في دروسه، النزيه في مسلكه، والإنساني في معاملته مع زملائه.
- تخرج الأزهر عام 1928، وقد تخصص في علم الميراث، فعاد إلى بلدته «قلقيلية» (وهي في ظل الانتداب البريطاني)، فأمضى مدة تزيد عن السنتين بدون عمل.
- تزوج من ابنة عمه الشيخ مصطفى سنة 1929 وأنجب منها خمسة ذكور وأربعة إناث.

62 عكرمة صبري: فقيد الأمة الشيخ سعيد صبري، مطبعة دار الأيتام الإسلامية، القدس، 1974.

- لبى نداء ربه الساعة 6:45 من صبيحة يوم الإثنين 1973/3/19، في بيته الكائن بحي وادي الجوز بالقدس. علمًا بأنه كان في اليوم السابق على رأس عمله، ونظر في عدة قضايا ووقع على عدة معاملات، وفي مساء ذلك اليوم تدارس هو ونجله الشيخ إبراهيم بحثا في الحضانة من كتاب -الأحكام الشرعية- رحمه الله.

الشيخ سعيد صبري في ياسوف/ نابلس في العام 1956م

حفل تخريج الفوج الثاني عشر لثانويّة الأقصى الشرعية في حزيران 1972م

الوظائف والمناصب التي تقلدها:

- عُيِّن مأذونا شرعيا لمنطقة طولكرم بتاريخ 1931/3/2.
- عُيِّن واعظا عاما لطولكرم وقضائها في 1934/9/1، واستمر في تجواله بين قرى القضاء واعظا المسلمين، وشارحا لهم الأحكام الدينية، ومرشدهم للفضيلة والأخلاق الحميدة، لغاية 1938/6/1؛ حيث عُزل مع واعظين آخرين لأسباب سياسية.
- عُيِّن مدرسا في المدرسة التابعة لجمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في طولكرم في 1938/10/1، وبقي فيها لغاية 1940/5/14.
- عُيِّن مديرا لصندوق الأيتام في المحكمة الشرعية في يافا، بتاريخ 1940/5/15، بعد أن تفوق على عشرين متنافسا على هذه الوظيفة.
- نُقل رئيسا لكتاب المحكمة الشرعية في الناصرة في 1944/4/15. ثم نقل إلى نابلس لمثل وظيفته بتاريخ 1945/4/1.

هنا؛ يحدث تحول نوعي في حكم البلاد؛ بحلول النكبة، ووقوع الضفة الغربية تحت الحكم الأردني، فتنقل في الوظائف التالية:

- عين قاضيًا شرعيًا في جنين في 1951/7/1، ثم نقل إلى عجلون لمثل وظيفته بتاريخ 1952/4/1.
- في 1954/7/16 نقل قاضيا شرعيا إلى نابلس.
- ثم نقل قاضيا شرعيا لبيت المقدس بتاريخ 1957/9/20[63].
- في 1960/6/16 نقل قاضيا شرعيا للسلط.
- ثم أعيد إلى القدس قاضيًا شرعيًا للقدس بتاريخ 1962/6/1. عُيِّن عضوا في محكمة الاستئناف الشرعية وعضوا في مجلس الأوقاف والشؤون الإسلامية، فخطيبا للمسجد الأقصى المبارك بتاريخ 1962/11/16، وكان من مؤسسي الهيئة الإسلامية العليا منذ 1967/7/24 ثم عُيِّن بتاريخ 1969/11/25 عضوا للجنة التنفيذية لإعمار المسجد الأقصى المبارك- على اثر حرقه على أيدي العصابات الصهيونية في 1969/8/21- وبقي في هذه المناصب حتى وفاته وبذل جهدا مضنيا للقيام بالمسؤولية الملقاة على عاتقه.

63 حينئذ عين عضوا في الهيئة العلمية الإسلامية، التي كانت تضم نخبة من العلماء وكان اجتماعها في القدس بتاريخ 1957/10/1.

يتضح من هذه التنقلات والتعيينات مدى الأهمية التي كان يتمتع بها المرحوم «الشيخ سعيد صبري» والدور الذي كان يقوم به عند إشغاله لمنصبه في أي مكان يعمل فيه. إذ يفيد معاصروه أنه لم يوجد في موقع إلا وسعى إلى تخليص الأوقاف الإسلامية فيه من الفساد والمفسدين، وتطويرها وجعلها مصدرًا للتنمية المستدامة؛ بأن توفر للفقراء والمعوزين سبل العيش الكريم، بعيدًا عن حياة التسول وبسط اليد. كما أنه كان يسعى، على قدم وساق، إلى استحداث الابنية والعقارات المختلفة الاستخدام، بما يوفر لباقي شرائح المجتمع فرص استثمارها، بما يعود بالفائدة على المستثمر وعلى المجتمع المسلم في آنٍ معًا. وسنتطرق لاحقًا إلى تفاصيل هذا الجانب؛ للتعرف على إنجازاته عن كثب.

إنجازاته وأفكاره الخلّاقة:

يلاحظ المتتبع لسيرة «الشيخ سعيد صبري» ومسيرته أنه، في كل لحظة أمضاها في الوظيفة كان كالماء الجاري؛ يتجدد باستمرار ويجدد المكان الذي يمكث فيه، ويوظّف أموال المسلمين، أفضل توظيف في مجال الاستثمار للصالح العام. فيشير «الشيخ د. عكرمة سعيد صبري» إلى أنه اشرف على إنشاء عدة مساجد وعقارات للأوقاف في المدن التي كان قاضيا فيها، كما أنجز سلسلة من الأعمال العمرانية التي كان يقوم بها حيثما حلّ وارتحل.

ففي عجلون قام ببناء عمارتين للأوقاف، باعتباره رئيسا للجنة الأوقاف المحلية، ثم أعد مشروعا لبناء مجمع الدوائر على نفقة الأوقاف، وهي أول خطوة شهدتها الأوقاف في عجلون منذ زمن بعيد. وفي السلط، أنشئت في عهده الجمعية الخيرية الإسلامية، وتم بناء عمارة لها، كما اشرف على إنشاء عدة مساجد في السلط وقضائها وفي الأغوار التابعة لها. وفي نابلس، كان من أعماله المأثورة مشاركته في تأسيس جمعية التضامن الخيرية، والتي عين رئيس شرف لها بتاريخ 27/6/1956 وبقي مؤازرا لها حتى وفاته.

أما في القدس فقد ساهم في تشكيل الهيئة الإسلامية الذي كان أحد أعضائها البارزين، وذلك في 24/7/1967؛ للإشراف على الأوقاف والمحاكم الشرعية وشؤون المسلمين. وعلى مستوى مدن الضفة الغربية جميعها، فقد أشرف، خلال السنوات الست التي سبقت وفاته، على إنشاء العديد من المساجد والعقارات.

ويشهد المسجد الأقصى المبارك للمرحوم «الشيخ سعيد صبري» مواقفه من الاحتلال ومن بيع الأراضي. ومن المحافظة على المقدسات وقول الحق وإسداء النصح والإرشاد.

والجدير بالذكر انه آخر من وقف خطيبا على منبر صلاح الدين في الأقصى قبل الحريق المشئوم الذي وقع في 21/8/1969. ثم استمر في إلقاء خطبه ودروسه على المنبر المؤقت إلى أن لقي وجه ربه.

وفد مدينة نابلس يزور الشيخ سعيد صبري في مكتبه لمساندة الهيئة الإسلامية العليا إثر الحريق الذي وقع في المسجد الأقصى بتاريخ 21 آب

كما تشهد المحاكم الشرعية على نزاهة وصواب قراراته القضائية التي كان يصدرها، بخاصة في محكمة الاستئناف الشرعية. ومن أعظم ما يسجّل له، إلى جانب أعماله المذكورة، أنه أثناء عمله في المحكمة الشرعية في القدس قام بتوثيق السجلات والوثائق، وحفظها بما فيها من وقفيات؛ لحفظ حقوق المسلمين في حدود القدس وركز على الميراث وحفظ حقوق العباد، لا سيما وأن القاضي هو رئيس اللجنة المحلية للأوقاف. كما كان حريصاً على حصر الأراضي الوقفية والمحافظة عليها من الضياع وفق قوانين ولوائح من اجل تعميقها وكان يتابع بنفسه كل أرض وقفية[64].

لم تتوقف آثاره وإنجازاته عند هذا الحد، بل إن إبداعاته وتفانيه، وصلت إلى حرصه الشديد على انتقاء الأئمة[65]، بما يحفظ للناس دينهم من خلال إمام يتقي الله في الناس، بأن يرفع هممهم ويحثهم على الإيمان وعبادة الله حق عبادته، وممارسة الفضيلة في حياتهم اليومية.

64 ورد ذلك في مقابلة د. عبد الله سعيد صبري في مكتبه بمستشفى الهلال بالقدس، بتاريخ: 2014/9/29م.

65 كان القاضي الشرعي هو المسؤول المباشر عن الأئمة والوعاظ في القرى التابعة للمحافظة.

من جانبٍ آخر؛ كان «الشيخ سعيد صبري» شديد الحرص على طلب العلم الشرعي فقد ساهم في تأسيس معهدين لطلاب الشريعة عام 1957: الأول: في نابلس باسم «المدرسة الإسلامية/ التابعة لجمعية التضامن الخيرية. والثاني: في القدس باسم ثانوية الأقصى الشرعية/ التابعة للأوقاف. وفي العام 1970 ساهم في إقامة قسم الشريعة للبنات في دار الطفل العربي في القدس.

شجاعته.. وطنياته.. حبه للعلم.. وعلاقته بأسرته

أما على المستوى الاجتماعي والوطني والسياسي المتصل بشخص المرحوم «الشيخ سعيد صبري»، فيشير من عمل معه إلى أنه كان صاحب إرادة حرة؛ يأبى الذل والخنوع والركوع. وقد أكد نجله (د. عبد الله)[66] على حادثتين تدلان على ذلك، هما:

الأولى: كانت هناك مستعمرة يهودية في ملبس/ كفر سابا القريبة من قلقيلية، وكان المستوطنون يمنعون السكان العرب من زراعة أراضيهم. وعندما كان العرب يقاومون ذلك، يقوم الجيش البريطاني بمداهمة البلد فيجمعون الرجال في ساحة المدرسة، ليسوموهم سوء العذاب. وفي إحدى المرّات طلبوا من «الشيخ سعيد صبري» الركوع فرفض؛ قائلاً: «أنا شيخ؛ لا أركع»، فضربوه بـِ (السنجة) المثبتة في راس البندقية، فشجوا رأسه.

الثانية: في سنة 1967، عندما دخل الاحتلال إلى القدس وكان «الشيخ سعيد صبري» عضو اللجنة العليا للدفاع عن القدس، فطلبوا منه الركوع فرفض وبقي واقفاً.

أما بالنسبة إلى تعلقه بالعلم، فإنه لم يقصره على الخطب والدروس والوعظ والإرشاد، وإنما كان يحث أبناءه على طلب العلم، ويرغّبهم فيه. ومما يذكره نجله د. عبد الله أن المرحوم والدهم كان يحيل أيام الشتاء الباردة ولياليه الطويلة، حيث لا مذياع ولا تلفاز، إلى لحظات متعة وأنس لأطفاله؛ حين يدعوهم إلى التحلّق حول النار ليتبارزوا، فيما بينهم (صغارًا وكبارًا)، للفوز في مسابقة في حفظ السور القرآنية وفي الشعر، بآليات مختلفة، فيكافئ المتفوق؛ مما أدى إلى تنمية قدراتهم على الحفظ بشكل لافت. ومن الطريف أيضًا أنه كان يرد على إلحاح أقاربه بصيانة وتطوير المزارع: أنا أريد أن أصون أبنائي وأطورهم.

ومن أجمل ما ترك لأبنائه وللأمة من إرث، هو تلك المكتبة، في بير نبالا، التي تزخر بكتب

66 ورد ذلك في مقابلة د. عبد الله سعيد صبري في مكتبه بمستشفى الهلال بالقدس، بتاريخ: 2014/9/29م.

الحنابلة في الفقه والشريعة، وتحمل شارة «سعيد عبد الله صبري القلقيلي»، وأن زوجته كانت تتابع كل كتاب فيها. بالإضافة إلى تلك الخطب (خطب الأقصى وغيره) التي طلبها نجله «الشيخ د. عكرمة»؛ فقامت والدته بتسليمها له بحضور أبناء المرحوم جميعًا.

ولكي يبقى الوفاء سمة الأوفياء؛ فقد قام أبناء المرحوم «الشيخ سعيد صبري»، ولعدة سنوات بعد وفاته، بتغطية مصاريف الكلية لخريجي مدرسة الأقصى الثانوية للدراسة في الأزهر؛ كصدقة جارية تصرف من ريع مزرعة المرحوم والدهم في قلقيلية.

وأما بشأن الاحتلال وغطرسته ومحاولاته الدؤوبة لتهويد القدس، فقد كان للقدس مكانة في قلب الفقيد وعقله ومشاعره – كما لها مكانة لدى كل مسلم حريص على دينه – بالإضافة إلى كونه قاضيا شرعيا لها. ومنذ الساعات الأولى من وقوع القدس في قبضة الاحتلال الإسرائيلي حتى وفاته، وهو يصر على إسلامية هذه المدينة المقدسة، وخلال هذه المدة التي تقارب ست سنوات وقف عدة وقفات مع اليهود مباشرة.. وفي جلسات الهيئة الإسلامية...

وعند تأبينه، قال فيه المرحوم «الشيخ محمد حلمي المحتسب»:

> **(حلت النكبة الأخيرة وهو قاض للقدس وعانى من آلام الاحتلال ما عانى؛ فاستأسد وشمر عن ساعد الجد، واخذ بشخصيته الفذة وبمنصبه القضائي وبتجاربه العديدة يعمل مع إخوانه أعضاء الهيئة الإسلامية، وكان يتابع أمورها وجلساتها مع ما كان فيه من مرض، ويعمل كذلك في الشريعة والأوقاف والشؤون العامة الأخرى. ويعيش مع الناس في أحوالهم بروح سامية ووطنية صامتة بناءة هادفة مستقيما في طريقته، طيبا في سريرته حسنا في سيرته، بغيرة المؤمن على حرمات الله ومصالح الأمة، مع إحساس مرهف تظهر آثاره واضحة عند إدراك أي اعوجاج أو انحراف. وكنت كثيرا ما أشفق عليه بصحته وهو معي كذلك، ثم نتعاهد على السير قدما إلى أن يحقق الله النصر المؤزر).**

... وتبقى خُطَبُهُ وثائق للأجيال

لا شك في أن قيمة الإنسان تتجلى، وتتعمق وتتكرّس، بأبديتها المطلقة، بعد مماته ومغادرته الحياة الدنيا، وانقطاعه عنها. حينئذ؛ ينتهي أثره المباشر في حياة الناس اليومية، ولم يعد لمهابته وحضوره بينهم الدور في امتداحهم له من أجل مغنم قد

يجزيه لهم. وإنما يبقى ما تركه فيهم من قيم ومثل عليا، يُذكّر الناس بها وتُذكّر الناس به. وهذا هو معنى الصدقة الجارية؛ التي لا ينقطع تأثيرها في المجتمع، وتُبقي على ذكر المتصدِّق حيًا، وتتناقل الأجيال أفعاله؛ جيلًا بعد جيل. فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سبعٌ يجري للعبد أجرُهن وهو في قبره بعد موته: مَن علَّم علماً، أو أجرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجداً، أو ورَّث مصحفاً، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته)[67].

القاضي الشرعي سعيد صبري يشارك في عيد الشجرة في السلط في العام 1961م

بالنظر إلى هذا الحديث، وتطبيقه على حالة المرحوم «الشيخ سعيد صبري» نجد أنه، وبحمد الله ومنّته، أنموذج يُحتذى به من خلال ما قام به من إنجازات على الأرض الفلسطينية، وهو على رأس عمله، وفق ما هو موصوف أعلاه.

إلا أنه ترك لنا وفينا ما يمكن إضافته إلى ما هو مذكور في هذا الحديث الشريف، وهو تلك الخطب التي ألقاها في المسجد الأقصى المبارك، والتي كان، رحمه الله، يتحرى الشرع والشريعة في كل كلمة يكتبها أو ينطق بها، وهو يحث على البناء وإعمار البلاد وتحسين حياة الشعب من جانب، والصمود في وجه الاحتلال ومواجهة مخططاته من جانب آخر. وفي ذلك قال فيه المرحوم «الشيخ حسن طهبوب» عند تأبينه:

> **(المسلمون في أقصاهم الحبيب، إذ يتنادون للصلاة في يوم الجمعة يلتفون حول حجارته وأشجاره بقلوبهم وجوارحهم فقدوك. فقدوا الصوت الذي الفته نسائم الأقصى وأطياره. والصوت النافذ المعبر الرادع الزاجر..**

67 «الإسلام سؤال وجواب». المشرف العام: الشيخ «محمد صالح المنجد». انظر الرابط: https://islamqa.info/ar/131662 (أمكن الوصول إليه، بتاريخ: 2015/02/10م.

الصوت البشير النذير، الواعد المتوعد المرغب المرهب.. الصوت المؤمن لقد فقدناه، ونحن ما أحوجنا إليه، في زمن ابتلانا الله به ليعرف من فينا الصادق ومن فينا المرائي. وكنت صادقا جريئا – وكنت عادلا رحيما – وكنت عالما ومعلما. كنت من الصفوة التي أودع الله فيها سره).

وقد قام نجله «الشيخ د. عكرمة سعيد صبري» بجمع تلك الخطب وتصنيفها والاقتباس منها، مثل:

أولًا: العدل:

حيث كان هذا هو موضوع خطبة للمرحوم «الشيخ سعيد صبري» في أول خطبة على منبر صلاح الدين بالمسجد الأقصى، بعد الاحتلال، وبالتحديد في 23/06/1967، ومما جاء فيها:

«وفي ظلال العدل يتمتع الناس بالأمن والطمأنينة. فلا نزاع ولا انتقام ولا عبث بالقوانين ولا مخالفة لأمر الله. لذلك أمر الله بالعدل ونهى أن تؤثر في إقامته شهوة الهوى او نزوة الانتقام او محبة القرابة والصداقة ويقول سيدنا علي بن أبي طالب-كرم الله وجهه-: أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك، فانك إن لم تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه».

ثانيًا: تربية النفس الدينية:

وكان هذا هو موضوع الخطبة التي ألقاها المرحوم «الشيخ سعيد صبري» في 15/8/1969؛ أي في آخر جمعة قبل أن تمتد الأيدي الأثيمة في 21/8/1969، وتحرق قسما من المسجد بما فيه المنبر الأثري التاريخي، ومما جاء فيها:

«وما أحوج الناس قبل كل شيء إلى أن يصححوا في إفهامهم القيم حتى تصح لهم الوجهة وتستقيم الغاية، وما لم يفعلوا ذلك فسيظلون في تيه لا يفيقون من غواشيه: الصلاة دعاء وضراعة وخشوع وخضوع لله وأمر بمعروف ونهي عن الفحشاء والمنكر. والصوم إمساك عن الشهوات يتبعه إمساك عن اللغو والآثام. والزكاة طهارة ونماء وصفاء وإخاء ورحمة ومحبة. فهل نمارس العبادات على هذا الاعتبار ونقتبس منها ما تحمل

من هدى وما يشع فيها من نور؟ هل نصحو من غفلتنا، ونتفهم واقعنا؟

ثالثًا: مكانة الأقصى:

ففي 29/08/1969؛ بعيد الحريق، ألقى المرحوم «الشيخ سعيد صبري» أول خطبة له بدون منبر وكانت الصلاة في ساحات المسجد وقد استهل خطبته بقوله:

(أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة، لقد توالت النذر يوما بعد يوم، وأرسلت الصيحات من على منبر صلاح الدين إلى العالم الإسلامي منذرة ومحذرة ليصحو من غفوته وليفيق على الأخطار المحيطة بالمقدسات، ووقع ما كنا نحذر.. وأخيرا احرق المسجد الأقصى).

ومما جاء فيها أيضًا:

(إن هذا المسجد أسس على التقوى من أول يوم، انه مسرى سيدنا محمد ومعراجه إلى السموات العلا ، انه أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، انه مكان خالد صلى فيه رسول الله بالأنبياء، كما صلى فيه سيدنا عمر بن الخطاب، وجاء صلاح الدين فركز منبره إلى جوار محرابه ليكون شاهده إلى الناس في كل جيل. هذا المنبر الذي بقي إلى ما قبل أسبوع ترتفع أصوات الأئمة من فوقه بتكبير. الله اكبر، وأنه لا علو لمخلوق إلا بكلمة حق وقولة صدق، وان العزة لله. هذا هو الأقصى الذي جثت أمام عظمته الأجيال وعنت لهيبته مواكب الرجال، وسيظل الأقصى قائما مباركا شامخا كالطود راسخا رسوخ الجبال. وسيستمر نداء الله يتردد صداه في أعماق المصلين في المسجد العظيم. الله اكبر – الله اكبر – الله اكبر).

رابعًا: المحافظة على المقدسات والتمسك بالأرض والوطن:

فقد كان المرحوم «الشيخ سعيد صبري» من أحرص الناس على المقدسات، ومن أشدهم تمسكا بالأرض والوطن والمحاربة للسماسرة وبائعي الأراضي، وهو أول من تعرض لبيع الأراضي في القدس في خطبته التي سبقت زيارة البابا بولس السادس لمدينة القدس وكان

موضوع الخطبة (الأخوة وبيع الأراضي) بتاريخ 3/10/1964 ومما قال فيها:

(.. واليوم تشاهدون مؤامرة أخرى، تتمثل في تسابق المؤسسات والهيئات الأجنبية في هذا البلد بشراء الأراضي والعقارات، بمختلف الأساليب وشتى المغريات، جاهدين هادفين لتغيير صبغة هذا البلد الإسلامي وتقليص ظل الإسلام عنه.أن تمليك الأرض المقدسة للأجانب الذين ظهرت نواياهم الرهيبة ووضحت مقاصدهم الخطرة واحتيالهم على القانون يؤدي، حتمًا، إلى محو اثر الإسلام وإطفاء نور الإسلام من هذا البلد القدس).

وبشأن الحرم الإبراهيمي، وضرورة المحافظة عليه:

1. ألقى خطبة، جاء فيها:

(أيها المسلمون!! انه ومنذ نكبة عام سبع وستين والبلايا والمصائب تصب علينا صبا في مختلف شؤوننا ومقدساتنا. وأخيرا ليس آخرا فقد اعتدي على الحرم الإبراهيمي في الخليل، وأقام اليهود فيه كنيسًا لهم، يقيمون فيه طقوسهم الدينية وينفخون فيه بالبوق، ويضعون أدوات صلواتهم فيه من المقاعد والخزن والكتب، معتدين بذلك على حقوق المسلمين في مسجدهم. إن الحرم الإبراهيمي هو مسجد إسلامي منذ أقدم العصور، ولم يكن كنيسًا لليهود في يوم من الأيام. وان اتخاذهم منه كنيسًا لهم هو ظلم واعتداء صارخ على المسلمين وانتهاك لحقوقهم... لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في الناس إيمان وإسلام إننا نرفض هذه الإجراءات بإصرار، ونطالب السلطات المختصة أن تعيد الوضع في الحرم الإبراهيمي إلى سابق عهده؛ مسجدا إسلاميا ليس لأحد من غير المسلمين فيه أي حق.

2. كما ألقى بتاريخ 1/12/1972 خطبة حول الحرم الإبراهيمي أيضا، جاء فيها:

(يجب أن تكون عيوننا وعقولنا مشدودة إلى الوطن والديار والمقدسات، والى الحرم الإبراهيمي في الخليل الذي نعاني اليوم من الاعتداء عليه معتقدين أن الحق يجب أن ينتصر وان الله مزيل المحن التي نزلت بنا «أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » وقد مرت على المسلمين أيام مرة فصبروا وعملوا فأزال عنهم تلك المحن).

خامسًا: مشاهد الحج:

ففي آخر خطبة ألقاها المرحوم «الشيخ سعيد صبري»، في حياته، كانت في 5/1/1973، بعنوان: (مشاهد الحج)، ومما جاء فيها:

وينعقد في موسم الحج أعظم مؤتمر إنساني يقام في هذه الأرض وتحت قبة هذه السماء . ذلك لان السعي إلى هذا المؤتمر إنما هو استجابة لدعوة الله وتلبية لأمره. ثم هو إلى ذلك رياضة نفسية ، تصفو بها القلوب وتطهر بها الضمائر وتسمو بها المشاعر وترتفع بها النفوس إلى آفاق لا تتطلع إليها العيون والأ حداق وإنما تدركها البصائر النيرة ، وتنتشي بها الأرواح الطاهرة، ويشعر بالإنسان بما لا يتسع له طاقة اللغة والبيان».

سادسًا: خطبة لم يلقها:

بعد أن شعر بان وطأة المرض قد خفت عنه، وزاول عمله في المحكمة الشرعية، اخذ في إعداد خطبة بعنوان (الغلاء الفاحش)، آخر ما كتبه فيها: (أهكذا يكون وضع أمة يتلى فيها القران الكريم؟!). على أمل أن يلقيها يوم الجمعة الواقع في 23/3/1973. ولكن إرادة الله أبت إلا أن يقف هذا القلب المؤمن بالله عن عمله، ويلتحق بالسلف الصالح، قبل ذلك بأربعة أيام.

... وحافظ معاصروه على جذوة الذكرى؟

يقول «الشيخ د. عكرمة سعيد صبري»، في توثيقه لذكرى المرحوم والده:

«ما أن فاضت روح الفقيد إلى بارئها صباح يوم الاثنين الواقع في 37/3/91 حتى انتشر الخبر بين الناس بحذر..ولكن الحذر انقلب ضجة على مآذن المسجد الأقصى والمساجد الأخرى في مدن الضفة في ذلك اليوم. واهتزت المنابر في خطب الجمعة التي تلت الوفاة وتلقت الخبر الإذاعات وأجهزة الإعلام في البلاد العربية.. وشرعت الصحف المحلية بنشر الكلمات التأبينية عن الفقيد بالإضافة إلى عشرات النعي من الأقارب والأصدقاء والمحبين..وتوافد عشرات الآلاف من المعزين إلى ديوان آل صبري بقلقيلية والى بيت العزاء بالقدس وعمان والرياض والكويت».

وأما الصحافة، فقد كانت الشريك الأوضح، والأكبر أثرًا، في نشر خبر وفاة المرحوم، وتوثيق برقيات النعي والتأبينات. ففي صبيحة اليوم التالي للوفاة خرجت الصحف المحلية بثوبها الحزين مليئة بأخبار النعي من قبل الهيئات والمؤسسات والأقارب والأصدقاء والمحبين.. واستمر نشر أخبار النعي لمدة ثلاثة أيام متواليات. كما أن هناك العديد من التأبينات التي قام بها أشخاص ومؤسسات ومساجد، عبر الخطب، منها:

1. مساجد الضفة الغربية: فقد شهد يوم الجمعة الواقع في 23/03/1973، نعى الفقيد خطباء المساجد في القدس وبقية مدن وقرى الضفة، كما صلي صلاة الغائب عن روح الفقيد في بعض هذه المساجد... ففي المسجد الأقصى ألقى الشيخ سليمان الجعبري درسه الديني قبل الظهر وعدد في درسه مناقب الفقيد، وفي خطبة الجمعة التي ألقاها فضيلة الشيخ جميل الخطيب نعى الفقيد بقوله:

> **(.. في هذا الأسبوع المنصرم أفل نجم من نجوم هذا البلد المقدس، وانطوى علم من أعلامها؛ قاضي المحكمة الشرعية وخطيب المسجد الأقصى الشيخ سعيد صبري تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جناته .وكان المرحوم يجتمع وإياكم في هذا المسجد الأقصى المبارك لذكر الله وتلاوة كتابه ودراسة آياته. ونسأل الله رب العالمين أن يغفر لنا وله ولجميع المسلمين).**

2. قال فيه المرحوم «محمد الكفراوي»[68]:

> **(قبل الوفاة بيوم واحد أي يوم الأحد داوم الشيخ في عمله كالمعتاد ونظر في ست قضايا بروح كلها نشاط وعمل.. وفي صبيحة اليوم التالي نهض الشيخ سعيد كعادته مبكرا لأداء صلاة الصبح وتناول الإفطار وتقليب مفكرته اليومية ليرى ما أنجز من أعمال وما سينجز، وبعدأن اطمأن ذهب للراحة قليلا ولكنها كانت راحة أبدية، سلمت روحه إلى خالقها في السابعة إلا ربعا من صباح يوم الاثنين. وتأبى روح الفقيد إلا أن تستمر بالعمل حتى مماته، فامتازت جنازته بالهدوء والمهابة فسمعت احد أصدقائه يردد «علينا أن نمشي الهوينى؛ فالرجل كان يحب الهدوء حتى في مشيته» وسارت الجنازة إلى المسجد الأقصى).**

3. أبّنه المرحوم «الشيخ حلمي المحتسب»؛ رئيس الهيئة الإسلامية، ومما قاله:

---

68 نشرت هذه الكلمة في صحيفة الشعب بتاريخ 1973/04/20م.

بالأمس القريب رزئت امتنا المؤمنة الصابرة بفقد عالم عامل من علمائها الأجلاء وقاض نزيه من قضاتها الفضلاء، ذلكم هو المرحوم الخالد الذكر الأخ الشيخ سعيد صبري. ونحن إذ نجتمع اليوم إحياء لذكره وتعدادا لمناقبه، وتأسيا بخلاله فإنما نذكر رجلا فقدناه ونحن اشد ما نكون حاجة إليه والى أمثاله وأقرانه من البناة المصلحين والهداة الناجحين. (...) لقد قاوم وناضل ووعظ وارشد، وكان الموظف النشيط النابه الساهر الطاهر العف. كما أفاد وبرز في حكمه القضائي وبنى وعَمَر وانشأ للأوقاف الإسلامية، وعمل على إنشاء كثير من المساجد في المدن والقرى وكان يتابع أمورها بنفسه حتى يتحقق لها ما يلزمها فتطمئن نفسه ويستريح لها قلبه.

4. أما المرحوم «الشيخ حسن طهبوب»؛ مدير الأوقاف الإسلامية بالقدس، فأبّنه مطوّلًا، ومما قاله فيه:

(كنت في حياتك عظيما، جليلا، زاخرا بالقيم، حافلا بكل ما يزيد النفس ويجمل الروح.. كنت علما وعدلا وفضلا في جسد، وكان الجسد يتسربل ويرفل بالمهابة، نعم كنت كلمة حق تتواثب وكنت فكرة سديدة تجري في المجالس إحقاقا وإنصافًا ووضعا للأمور في مناصبها. وها هي الأوقاف أراض وعقارات، وها هي المعاهد، وها هي المقدسات: محاريب ومآذن، وكل ما فيها لا ينكر ولا يجحد.. اعزي نفسي.. وأعزي الأمة، إنها في فقد الرجال يشع بريقها، ويبين جوهرها وتتأكد أصالتها .واغبط نفسي وأهنئ أمتي أن فيها الرجال من سطعوا وبان جوهرهم وتأكدت أصالتهم أمواتا وأحياء، وقد كنت أبا عبد الله واحدا منهم...)

الخاتمة

هذا هو شيخنا الجليل «سعيد عبد الله صبري» الذي رفع صوته عاليًا في وجه الظلم والطغيان، ووجّه العباد لعبادة الله سبحانه، فقد كان خطيبًا مفوّهًا يعد خطبه بعناية، ويختار محتواها بما يجعلها تترك أثرًا عميقًا في نفوس مستمعيها، فتغرس فيهم الإيمان، وتبث فيهم الأمل، وتمحو منهم الإحباط والملل. ولم يدع فرصة إلا وذكّر مستمعيه بأن هذا الاحتلال طارئ؛ سرعان ما يزول عندما تتوحد الصفوف وتستعيد الأمة عافيتها، فنحن

أصحاب حقٍّ في العيش على أرضنا، حياة حرّة كريمة.

إنه «الشيخ سعيد عبد الله صبري» الذي نشر العدل، قدر ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فقد كان قاضيًا عادلاً؛ لا يخشى في قول الحق، والصدح به، أحدًا غير مرضاة الخالق سبحانه. كان يقول كلمته الفصل في القضايا الشرعية، مستندًا إلى كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلّم.

هو نفسه الذي لم يدع لحظة من عمره تمر دون أن يكرّسها في خدمة شعبه وأمته، فقد أبدع في تفكيره باتجاه تطوير استثمار الأوقاف الإسلامية، عندما حصر الموجودات والممتلكات والعقارات الخاصة بها، ثم أخذ يعيد صياغتها بما يحقق العديد من الاحتياجات، في آنٍ معًا، فقد عَمَر الأرض لتدر من خيراتها، وأنشأ العقارات التي تم استثمارها لصالح المؤسسات العامة والخاصة والمكاتب والعيادات الطبية... الخ. ولعل في شارع صلاح الدين بالقدس والعمارات الرابضة على جانبيه خير مثال على قولنا هذا. وقد حقق ذلك في أكثر من مكان من المواقع التي عمل فيها.

وهو نفسه «الشيخ سعيد عبد الله صبري» الذي قاد عملية تدقيق السجلات الخاصة بالمواريث والوقفيات التي كانت، زمن العثمانيين، في حالة من الفوضى العارمة؛ فاستغل ذلك الإنجليز ليعبثوا فيها ويسرقوا ما يستطيعون تحت جنح ظلمات عدم التوثيق، والجهل والتخلف الذي كان السمة العامة للمؤسسات الوقفية. لا سيما وأن من كان يتحمل مسؤولية الأوقاف الإسلامية زمن الانتداب هو المرحوم «الحاج أمين الحسيني» الذي كان شخصية سياسية بالدرجة الأولى، ثم أمضى جلّ وقته خارج الوطن؛ فلم تحظَ الأوقاف منه على الرعاية والعناية الكافيتين.

5. إنه «الشيخ سعيد عبد الله صبري» الذي أسهم في إنشاء وتطوير العديد من الجمعيات والمعاهد الإسلامية، في أرجاء الوطن. كما أنه لم يبخل على المسلمين في جعلهم «أمة واحدة»، وجمعهم حول دستورهم الإلهي (القرآن الكريم)، فكان له الدور الرئيس، إلى جانب عدد من شخصيات القدس وقادة الفكر فيها، في إنشاء الهيئة الإسلامية بالقدس؛ تقوم بالإشراف على شئون المسلمين وأماكن عبادتهم ومحاكمهم وأوقافهم[69].

هكذا؛ نكون قد وضعنا بين يدي القارئ أبرز السمات والخصائص التي تمتع بها «الشيخ سعيد عبد الله صبري»، الذي كان يردد: «القدس.. بلدي المقدس.. قلقيلية..مسقط راسي».

---

69 انظر: http://www.alquds.com/news/article/view/id/440052 (أمكن الوصول إليه بتاريخ: 2015/02/11م).

فيصل عبد القادر الحسيني

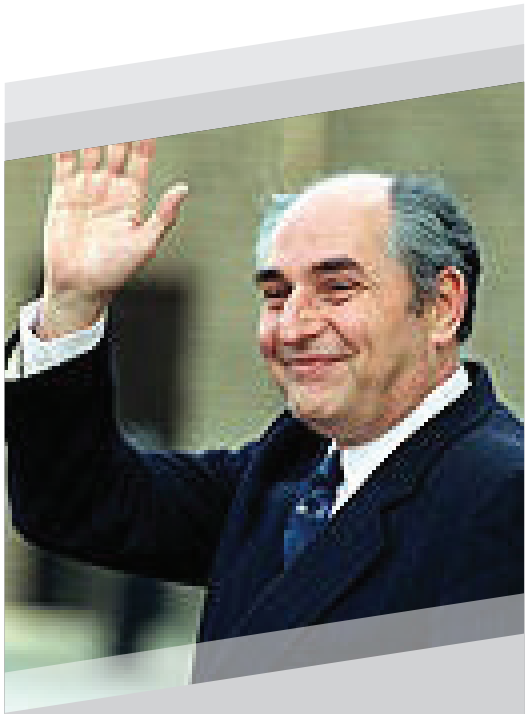

المرحوم «فيصل عبد القادر الحسيني»

مقدمة

لا يمكن الحديث عن القدس دون الحديث عن الصراع القائم على أرضها، وبشكل متواصل، من قرنين من الزمن. ونظرًا لغياب الحكم الوطني الفلسطيني عنها، فإن أهلها، من جميع العائلات، هم المدافعون الرئيسيون عنها، ومن يقدم إليها من محيطها من الغيارى على قدسهم؛ بما فيها من أماكن مقدسة تحتاج الغالي والنفيس لحمايتها والدفاع عنها. وإن قراءة سريعة للتاريخ المعاصر للقدس، تكشف عمن وقف أمام مسؤولياته التاريخية والوطنية، رغم قسوة الظروف وشراستها.

وعندما شرعنا في تأليف كتابنا هذا «مقدسيون صنعوا تاريخًا»، ووضعنا المحور الخاص بالسياسة والفكر، لم نجد من المقدسيين المعاصرين من ينافس المرحوم «فيصل عبد القادر الحسيني»؛ فهو سليل عائلة مقدسية، أنجبت عبر تاريخها- وفي كل المراحل- رجالا قاوموا الظلم وأناروا الظلمات أمام شعبهم وأمتهم.

كي لا نبتعد كثيرًا، لا بد من ذكر الجد «موسى كاظم الحسيني»؛ الذي كان رئيسًا لبلدية القدس أيام العثمانيين، ثم الأب «عبد القادر الحسيني»؛ الذي سطر في تاريخ القضية الفلسطينية من البطولة والفداء ما لن تمحوه الأيام.

أي أننا لن نبذل الجهد في تفسير ذلك الصخب العالي الذي تميزت به حياة المرحوم «فيصل الحسيني»، فعندما ولد لم يكن والده إلى جانب سريره؛ بل كان سجين حرية في سجون الاحتلال البريطاني في العراق، كما أنه ولد في بغداد؛ حيث هناك تواجدت والدته ضمن مرحلة نضالية لها ولزوجها في مواجهة الظلم الواقع على بلدهما من الانتداب البريطاني. ثم يغيب والده عنه شهيدًا أثناء النكبة في العام 1948، وهو في القاهرة بعمر ثماني سنوات.

عندما فتح عينيه على الدنيا، انتسب «فيصل الحسيني» إلى حركة القوميين العرب وهو في سن السابعة عشرة، وقبل أن يبلغ العشرين من عمره أسس المنظمة الطلابية الفلسطينية؛ التي أصبحت نواة منظمة التحرير الفلسطينية، فيما بعد. ولم يتوقف عند السياسة، بل درس الهندسة في الأكاديمية العسكرية، وتخرج عام 1966 ليعمل في مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في القدس، ثم ينضم إلى قوات جيش التحرير الفلسطيني المرابط في سوريا أوائل عام 1967 م.

ونحن نبحث في ثنايا تاريخ «فيصل الحسيني» ببعديه؛ الشخصي والعام، لم نجد صعوبة في الوصول إلى المعلومات، فهناك الكثير ممن تعامل مع الرجل ويرغب في الحديث عنه، كما

أن هناك مؤلفات ومقالات متعددة كتبت عنه، بالإضافة إلى العديد من المؤتمرات والندوات والورش التي أقيمت لذكراه، والتي ركزت على الحديث عن مزاياه وخصائصه. وقد يبدو هذا الوضع مريحًا لباحث يسعى إلى المعلومة، ولكنه يبدو صعبًا أمام باحث يسعى إلى تسليط الضوء على ما لم يذكر في سيرة الرجل ومسيرته.

لذلك؛ فقد تم التركيز على الزوايا التي لم تلق القدر الكافي من الضوء في سيرة الرجل ومسيرته، في مراحلها المختلفة. ولعل ما يميز البيانات والبينات المذكورة عن المرحوم فيصل الحسيني في هذا الكتاب، أنها لا تخلو من السبق، وأنها قد استقيت من مصادرها الحية والأصلية. لذلك؛ جاء الفصل الخاص بفيصل الحسيني، بعنوان: صفحات من حياة «فيصل الحسيني»، باعتبار كل ما قام به وما حققه من إنجازات هي صناعة تاريخ في القدس، ليس على مستوى المؤسسات التي بناها كجمعية الدراسات العربية وبيت الشرق وحسب، وإنما تعدى ذلك إلى أنه حفر في الذاكرة أنموذجًا وطنيًا من النماذج التي تحتذي بها الأجيال القادمة في مواجهة الاحتلال وجبروته.

صحيح أن لكل صفحة من الصفحات التي غطت حياة هذا المقدسي الذي صنع في القدس تاريخًا، نكهة خاصة تميزها عن غيرها، إلا أن أجمل ما فيها تلك الصفحة التي نراها الأكثر ندرة؛ لم تكتب من قبل، وهي حول المرحومة الوالدة «وجيهة» التي تربت على يدي عظيم وربت عظيما آخر، ولا يجوز لنا أن نتحدث عن أي من العظيمين «عبد القادر» و«فيصل» دون أن نذكر السر الواصل بينهما، وهي «وجيهة-الزوجة المخلصة» و«وجيهة-المربية المتفانية». فكان لها حصة استقينا معلوماتها ممن التصق بها حتى آخر لحظة من حياتها؛ نجلاها: موسى وغازي؛ إذ تم مقابلتهما لبضع ساعات، في عمان، نهلنا خلالها ما يتعلق بـ «وجيهة» المناضلة التي عاشت عيشة الأبطال وانتهت كما ينتهي الأبطال.

ونحن نفتح ما فتحناه من صفحات في حياة «فيصل الحسيني»، فإننا نأمل في أن نكون بذلك قد أسهمنا في توفير ما أمكننا من معلومات عن واحد من المقدسيين الذي صنعوا تاريخًا، وهم يذودون عن القدس في مواجهة محاولات التهويد و الأسرلة التي تجري لها على قدم وساق منذ ما يقارب قرنًا من الزمن، وإن جاءت في كتابنا هذا لتغطية الحقبة الممتدة بعد النكسة في العام 1967.

أمير القدس فيصل عبد القادر الحسيني (١٩٤٠-٢٠٠١)

«أمير القدس»... ذلك اللقب الذي اكتسبه «فيصل الحسيني» بلا منازع؛ لما بذل من أجل حماية القدس والدفاع عنها. إنه «فيصل الحسيني» الذي وصفه أحد المفكرين الصهاينة: «الإرهابي ابن الإرهابي». في هذا الوصف الصادر عن صهيوني يسعى إلى تهويد القدس، إشارة إلى حجم المرار الذي تركه في نفوس أعداء فلسطين التاريخيين.. اختفى الاحتلال من مسار جنازته؛ خوفًا من الأثر الذي تركه في نفوس أبناء شعبه الذين اندفعوا نحو القدس، لينالوا شرف الوداع لأميرها الذي توجته تضحياته وسهره الدائم والمتواصل في حمايتها والدفاع عنها.

محطات في سيرة حياة «فيصل الحسيني»:

المولد-النشأة-التعليم[70]:

- هو فيصل عبد القادر موسى كاظم الحسيني، ولد في بغداد بتاريخ: 1940/07/17، حيث كان والده «المناضل «عبد القادر الحسيني» يربض في معتقلات الانتداب البريطاني هناك.
- في العام 1946 توجهت العائلة إلى القاهرة، حيث التحق بمدارسها. وبعد سنتين من ذلك التاريخ استشهد والده القائد الوطني الفلسطيني في القدس.
- انضم إلى حركة القوميين العرب في العام 1958، ثم عمل في دائرة التنظيم الشعبي في مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في القدس في العام 1965.
- حصل على شهادة البكالوريوس في العلوم العسكرية من الكلية العسكرية في سوريا في العام 1967.

---

70 تم استقاء هذه المعلومات من الموقع الالكتروني لـ «مؤسسة فيصل الحسيني»، من خلال الرابط التالي الذي أمكن الوصول إليه في 1

http://www.fhfpal.org/Faisal/fcul3.htm :2015/07/7

- عقب هزيمة حرب عام 1967 أشرف على معسكر تدريبي لمئات المتطوعين في كيفون في لبنان.
- عاد إلى أرض الوطن في عام 1967؛ مخترقاً الحدود عبر نهر الأردن واستقر في القدس، وبدأ يعمل مع مختلف التنظيمات والقوى الفلسطينية التي تجمعت لمقاومة الاحتلال.
- كان من بين الوطنيين الفلسطينيين الأوائل الذين اعتقلتهم قوات الاحتلال الإسرائيلية بعد الحرب مباشرة بتهمة تشكي
- ل مجموعات عسكرية وحيازة أسلحة، وقد حكم عليه بالسجن لمدة عام في 15 تشرين الأول 1967.
- خلال الفترة 1969–1979 تنقل فيصل الحسيني بين أعمال مختلفة؛ فعمل حارثا للأرض في أريحا، وتاجراً للزيت، وموظفا للاستقبال في أحد الفنادق، وفني أشعة، وتاجراً متنقلاً، مكملاً بذلك شبكة التعرف التفصيلي على الوطن.
- في العام 1979–2001 قاد عملية تأسيس جمعية الدراسات العربية، ثم بيت الشرق، وكان من أبرز قادة العمل السياسي في القدس؛ ممثلا لمنظمة التحرير الفلسطينية تحت إمرة ياسر عرفات، تخللها عضوية اللجنة المركزية لحركة فتح، وعضوية اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية.

في القاهرة.. فيصل الحسيني الخامس من اليمين

استشهد في الكويت، في 31/05/2001م، ثم ووري الثرى في باحة الحرم القدسي الشريف، وكانت تلك المرة الأولى التي يدفن فيها فلسطيني في هذا المكان منذ احتلال إسرائيل للقدس عام 1967 [71].

صفحات من حياة فيصل الحسيني[72]

لا يمكننا أن نوثق للقاءيْن مع «عبد القادر فيصل عبد القادر الحسيني»، قبل أن نذكر «للتاريخ» أننا وجدنا أنفسنا أمام رجل كان يرصد الأحداث بعين ثاقبةٍ-متمعنة، كما كان يستمع لأحاديث والده وتعليقاته بالقدر الذي يستحقه ذلك القائد الفلسطيني-المقدسي - فيصل الحسيني؛ الذي كان شمعة ذابت من أجل إضاءة الظلمات الحالكة التي أوجدها الاحتلال في القدس؛ عاصمة الأمة: الدينية، والثقافية، والسياحية-الروحية.

لم يتوقف «عبد القادر» عند دور الراوي للأحداث كمراقبٍ لها؛ بل تعداها إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير. فقد قام بتفسير العديد من المواقف والمشاهد الصماء؛ التي لم تنل القدر الكافي من التحليل وتسليط الضوء عليها في حينه، فبث الحياة فيها، مرّة أخرى، وأخضعها للقراءة والتحليل، والربط بينها وبين ما جرى بعدها من أحداث، حتى لحظته. لينتهي الأمر بوضع القارئ في صورة تطور الأحداث وتسلسلها وتتابعها، خلال الحقبة التي تولى فيها «المرحوم فيصل الحسيني» إدارة دفة القارب المقدسي.

لذلك؛ سنجد، فيما يلي صورة مركبة، متكاملة الجمالية، ببعدين: البعد الأول؛ الأحداث التي سردها «عبد القادر» كما سمعها من والده، و/أو كما شاهدها، وعاشها وعايشها. والبعد الثاني؛ الطابع التحليلي الذي أضفاه على الفراغات التي بقيت شاغرة لتشكل أسئلة استراتيجية لا يمكن تفكيك طلاسمها إلا من قبل من عاش خلف الكواليس، وجاس دهاليز السياسة وخبر خفاياها. لذلك؛ مازحت «عبد القادر» قائلًا: إني «أغبطك» على ما تختزن في ذاكرتك من أحداث، رغم قصر الفترة الزمنية التي عايشت فيها فيصل الحسيني، ولما تتمتع به من قدرة على إعادة صياغتها وتحليلها.

---

71 انظر موسوعة الويكيبديا، وفق الرابط التالي الذي أمكن الوصول إليه بتاريخ: 2015/07/17م:

https://ar.wikipedia.org/wiki/فيصل_الحسيني

72 أينما وردت المعلومات بدون مرجع، فهي كما سردها نجله عبد القادر؛ رئيس مؤسسة فيصل الحسيني، على مدى ساعتين من الزمن، عبر لقاءين: الأول؛ في 2014/11/10م، والثاني؛ بتاريخ 2014/12/17م. وقد تم تدقيق المحتوى والموافقة عليه، بصيغته النهائية بتاريخ: 2015/04/02م.

أولًا: فيصل الحسيني العسكري:

قبل النكسة، في العام 1967، كان «المرحوم فيصل الحسيني» في الكلية العسكرية بحلب في الشام. وكان، بحكم موقعه في المعركة بالقرب من إحدى المطارات العسكرية، شاهدا على الهزيمة العسكرية، فأدرك ان التحرير لن يأتي عبر جيوش مهزومة؛ فقرر ترك الجيش ونزع البزة العسكرية والعودة إلى القدس. عاد إلى القدس سريعا وتفاجأ بسهولة قطع الحدود إذ كانت منهارة. كما تفاجأ من سهولة الوصول إلى كل المدن الفلسطينية من القدس إلى يافا إلى عكا إلى نابلس. حينها قرر الرجوع إلى الخارج؛ للعمل على تجنيد متطوعين من الشباب وإرسالهم إلى الداخل لبناء خلايا عسكرية، فتوجه إلى منطقة «كيفون» بلبنان؛ حيث منزل المرحوم أحمد الشقيري، وكانت فكرة فيصل بإقامة معسكر تدريبي في ذلك المنزل، كُلِّف هو نفسه بمهمة قيادته.

شارك في هذا المعسكر، تحت قيادة «المرحوم فيصل الحسيني» اثنا عشر ألف متدرب/ متطوع، فلسطينيون وعرب. وقد كانت التعليمات واضحة، بأن يتم الاصطفاف في الطابور، بحسب الطول، وليس بحسب العمر أو الجنس. ويذكر «المرحوم فيصل الحسيني» أن الجميع كان ينتظم في الصف؛ شيبًا وشبّانًا، رجالًا ونساءً. وممن شارك في ذلك المعسكر: بسام أبو شريف. وقد أسهم ذلك المعسكر في صقل شخصية المرحوم «فيصل» وتمكن، هو ومن تحت إمرته، من التدرُّب على الأسلحة الخفيفة. وكان يقوم بالتدريب كونه خريج كلية عسكرية. وكانت مدة المعسكر قصيرة.

بعد بضعة أشهر، أبلغ «فيصل» مسئوليه نيته التوجه إلى فلسطين؛ فنزع بدلته العسكرية واتجه إلى نهر الأردن، محاولًا التسلل إلى الوطن السليب. فقطع النهر وعبر إلى الضفة الغربية، مكتشفًا سهولة الطريق، مما فتح أمامه آفاق تنظيم مجموعات عسكرية مقاتلة؛ لكي تنفذ عمليات عسكرية خلف خطوط العدو؛ فدخل وأحصى نفسه في القدس، ثم شرع في إدارة المجموعات بالتنسيق مع ياسر عرفات، الذي لم يلتقِ به أبدًا في تلك الحقبة.

في العام 1968، داهم جنود الاحتلال بيته في القدس، فوجدوا عنده قطعة سلاح مفكك، اعتقل على إثرها وحُكم لمدة عام، ثم أمضى الفترة، حتى العام 1975، وهو يدور في البلد بلا بطاقة تعريفية تمكنه من ممارسة حياته الطبيعية، من حيث العمل والتنقل الآمن.

ثانيًا: الاحتلال يستولي على بيت والدته:

كان للمرحومة «وجيهة الحسيني»؛ والدة المرحوم «فيصل» بيت تسكنه امرأة مستأجرة. وعندما تناهى إلى مسامعه أن تلك المرأة تنوي تسليم البيت لمؤسسة إسرائيلية، توجه إلى

البيت، ليمنع المرأة من تنفيذ خطتها، وبعد الحوار مع المرأة وتحذيرها، خرج من البيت ليُفاجأ بجنود الاحتلال الذين قاموا باعتقاله على الفور ومصادرة البيت «لصالح!» البلدية. فأصبح مركزًا جماهيريًا؛ يقدم للجمهور العربي خدمات رياضية، وكشفية، وتأهيلية وتدريبية في مختلف المجالات المدنية. ومن المثير أن مشغّلي البيت (العرب) قد أبقوا على صورة القائد «عبد القادر الحسيني» كما هي دون المساس بها. مما يؤشر على صدق انتماء هؤلاء الموظفين للقدس وأهلها وتاريخها ورجالاتها.

ثالثًا: جمعية الدراسات العربية: المؤسسة المقدسية التي أرّقت الاحتلال

في العام 1977، وبعد أن أصبح لديه بطاقة تمكنه من الحركة والسفر، قرر المرحوم «فيصل الحسيني» الالتحاق بجامعة بيروت العربية في لبنان. وهناك أنشأ خط اتصال وتواصل مع المرحوم «خليل الوزير/ أبو جهاد»، فكان من بين ما اتفقا عليه: تأسيس مركز دراسات وأبحاث، لتحقيق الأهداف الاستراتيجية التالية:

1. تجميع العقول والخبرات البحثية الفلسطينية.
2. توفير مركز توثيق، يضم مكتبة وطنية، للحفاظ على الرواية الوطنية الفلسطينية.
3. توثيق ورسم الخرائط التي توضح جغرافية فلسطين ومدنها وقراها، لمواجهة حالة «المحو» الذي تعرضت لها الجغرافيا الفلسطينية من قبل ذلك الاحتلال-الإحلالي.

أما بالنسبة لكيفية ولادة هذه المؤسسة، التي حققت أهدافها بالفعل، فيروي «اسحق البديري» قصتها، وفق التسلسل التالي[73]: بأنه كان قد سمع عن فيصل في أوائل السبعينيات قبل أن يلقاه في أواخرها. وعندما توجه فيصل إلى مقر جريدة الفجر؛ للتداول حول إمكانية إصدار نشرة مترجمة عن الصحف العبرية، التقاه البديري؛ الذي كان يعمل في الجريدة، فاتفقا على لقاء آخر، تم فيما بعد، فكان التفكير في دار نشر تركز على ما يدور في المجتمع الإسرائيلي. ولمّا كان «زهير الرّيّس» الصديق المشترك لكليهما، قررا عقد اجتماع «ثلاثي»، فالتقوا ثلاثتهم في بيت البديري، في شهر أيار من العام 1978، فاقترح زهير إنشاء مركز للأبحاث والدراسات في القدس، واتفقوا على ذلك، واتجهوا نحو بلورته، وإخراجه إلى حيز الوجود.

---

73 ورد ذلك أثناء مقابلة السيد اسحق البديري في مقر جمعية الدراسات العربية ببيت جالا، يوم السبت، بتاريخ 2015/5/16، بين الساعة 11:50 صباحًا و12:45 ظهرًا. وقد تركزت المقابلة على «جمعية الدراسات العربية»؛ النشأة والتطور. وقد تُرك المجال للسيد البديري ليتحدث بعيدًا عن صيغة س-ج. ثم أرسلت له المقابلة؛ فدققها وراجعها، ووافق على ما جاء فيها، هاتفيًا، بتاريخ 2015/06/17م.

اقترح «زهير الرّيّس» أن يكون التمويل من شخصيات فلسطينية، كما يمكن الحصول على تمويل من أصدقائهم في م. ت. ف، وكُلِّف البديري بالعمل على وضع نظام للمركز، أما زهير وفيصل فسعيا للحصول على التمويل. توجه فيصل إلى جميع المدن الفلسطينية، وقابل الشخصيات الفاعلة فيها، فنالت الفكرة رضاهم، ووافقوا على تمويلها.

بعد ذلك؛ تمكن فيصل، بتاريخه النضالي وبجهده وعلاقاته السابقة بصفته عضوًا في م.ت.ف منذ تأسيسها ومسؤول التعبئة الشبابية فيها، من الحصول على التزام قيادتها بتمويل المركز. وهنا تتطابق الرواية مع ما هو مذكور أعلاه حول لقاء الوزير-الحسيني.

التقى الثلاثة المذكورين أعلاه مرة أخرى، في أوائل العام 1979، فقدم البديري ورقة هيكلية المركز، وقدم الريّس رؤيته لهذا المركز، وقدم فيصل لمحة عن التمويل. وبعد التداول، اتفقوا على تسمية «جمعية الدراسات العربية».

واجهتهم مشكلة في التسجيل- إسرائيلياً- فتم اختيار ثمانية أشخاص لتقديم الترخيص بأسمائهم، تحت اسم «جمعية الدراسات العربية»، بأسماء كل من: 1) فيصل الحسيني، 2) اسحق البديري، 3) زهير الريّس، 4) فؤاد العارف، 5) باسل الحسيني، 6) إحسان عطية، 7) آسيا حبش و8) لميس العلمي.

في حين أن الريّس آثر أن يبقى في الظل، فإن فيصل لم ينتظر صدور الرخصة؛ بل قام باستئجار محلات في عمارة العارف؛ على الحد الفاصل بين شرقي القدس المحتل في العام 1967 وغربيّها المحتل في العام 1948. ثم أشرف، شخصيًا، على ترميم المحلات وإعدادها للشروع في أعمال الجمعية. حصلوا على الرخصة في أوائل عام 1980، وكان أول مقر للجمعية في ذلك المكان. ومع بداية 1980 بدأت العجلة تدور، ابتداء بنشرة يومية للترجمة من الصحف العبرية ثم أنشئت نواة المكتبة، وقسم لأرشفة الصحف والوثائق الفلسطينية، ثم أُنشئت بقية الأقسام.

أخذت الجمعية تكبر بجهود فيصل بالدرجة الأولى، وأخذ دور فيصل يكبر معها؛ فأصبح صاحب حضور واضح في الميدان، ويتحمل مسؤوليات وطنية كبرى.

في العام 1983 تم نقل الجمعية إلى شقة صغيرة في مبنى بيت الشرق. وهنا؛ تطور الموضوع وأصبحت الدراسات والأبحاث تصدر عن الجمعية، وتم استحداث قسم الخرائط الذي استلمه خليل تفكجي؛ فصدرت أول خارطة. ثم أنشئت، في مقر الجمعية، مطبعة صغيرة لطباعة الكتب والنشرات. فأخذ يشتد عودها كمؤسسة معنية بالشأن الفلسطيني والعربي والدولي، وبدأ فيها الاهتمام بأواخر العصر العثماني، ثم الانتداب البريطاني والحقبة

الأردنية حتى الاحتلال. وللحاجة للرقم الإحصائي وتوظيفه في المعالجات البحثية، تم إنشاء «مركز الإحصاء» التابع للجمعية.

بهذا؛ أصبح للجمعية دور مهم جداً على مستوى الضفة الغربية، وأصبح فيصل شخصاً مؤثراً سياسياً؛ فتحسبت إسرائيل من ذلك؛ ووضعته تحت الإقامة الجبرية في العام 1982، ثم قامت باعتقاله (إداريا) في شهر نيسان من العام 1987، لمدة 3 أشهر.

لم يفت ذلك من عضد فيصل، فالاعتقال عزز مكانته في نفوس الشعب الفلسطيني ودوره السياسي؛ كقائد وطني بارز على أرض الوطن، كما أن الجمعية أخذت تتسارع في نموها ودورها المتعدد الأبعاد؛ بحثيًا وتوثيقيًا وسياسيًا... الخ، فاتسع دورها المؤسساتي في المجتمع الفلسطيني؛ مما أثار حفيظة سلطات الاحتلال، فأمر رابين؛ رئيس الوزراء في العام 1988 بإغلاق الجمعية لمدة عام، في حين تم اعتقال فيصل والحكم بسَجنه لمدة ستة أشهر. فقام «اسحق البديري»، وبصفته أمين السر في الجمعية، باستئجار مقرات أخرى للجمعية، وبدأ بالعمل من الصفر، فقام الاحتلال بإغلاقها كذلك.

استمر وضعهم بهذه الحال؛ حيث يتجدد الإغلاق وتغلق المقرات الجديدة، حتى العام 1992. مما اضطر فيصل إلى العمل من منزله، وكان ضيوفه يزورونه في الفنادق، حيث كان مدافعاً شرساً عن دور م. ت. ف في الأراضي المحتلة.

رابعًا: فيصل الحسيني-أمير القدس، ويذود عنها بالنفس:

عندما سألتُ سماحة الشيخ «محمد حسين»؛ مفتي الديار الفلسطينية عن المرحوم «فيصل الحسيني»، بانَ عليه الحزن والبؤس والضيق. إلا أنه تمالك نفسه وتحدث، بعمق، واصفًا إياه «أمير القدس». مشيرًا إلى أن المرحوم «فيصل» كان ابن القدس البارّ بمدينته؛ فكان يهتم بكل جوانبها، ولم يكن هناك من حدثٍ في القدس، مهما صغر، إلا وتجد «فيصل» وقد بكّرَ بالحضور، وكان على رأس الحدث، بل والمحرك له؛ فاستحق لقب -أمير القدس -بجدارة، وهناك أحداث كثيرة كان «أمير القدس» على رأسها، منها[74]:

- صبيحة مجزرة المسجد الأقصى في (1990/10/08م)، حضر المرحوم «فيصل» مبكّرًا، كعادته، فبادرني بالسؤال التالي: هل تتوقع حدثًا كبيرًا؟ فقلت: نعم؛ لأن الاحتلال لم يحشد أعدادًا كبيرة من جنوده، يراها الناس، وإنما كانت أعداداً قليلة؛ لإغرائهم

74 اجريت المقابلة معه في مكتبه، يوم الإثنين، بتاريخ: 2014/11/10م.

للتجمهر، كما سمعنا رجال الأمن الاحتلالي يقولون: لن نسمح بحجر صغير يُقذف علينا، وأي حجر، مهما صغر، سنلقى مقابله مائة قنبلة؛ فكانت المجزرة التي سقط فيها عشرون شهيدًا، كانوا موزعين على أرض الوطن، فتجمع الدم الفلسطيني يومها، ليشكل لوحة لفلسطين التي ترفض الظلم والضيم.

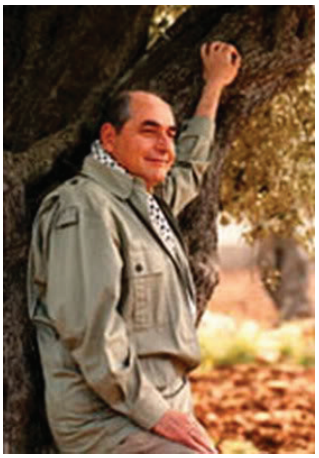

- قام الجنود بتصويب أسلحتهم، وهي كاتمة للصوت، باتجاه المرحوم «فيصل»، فصرخت على الجندي (الذي لم يرد): لماذا تطلق النار على «فيصل»؟ أما المرحوم «فيصل» فأكّد، في لحظتها، أن أكثر من رصاصة صوّبت نحوه، إلا أن خبرته العسكرية مكّنته من أن يحذر منها ويزيغ عن مسارها، فأخطأته. وكان هناك مجموعة من جهاز المخابرات التي اعتقلوه، مع حوالي 100 شاب آخرين.

- في العام 1997، وعندما حاول المستوطنون البناء في باب الساهرة كان فيصل هو الذي قاد صمودًا بطوليًا؛ أدى إلى إزالة «البركسات» الموضوعة هناك.

- وعند اقتحام شارون للمسجد الأقصى في 2000/9/28م، كان المرحوم «فيصل» موجودًا بيننا، وحوصر بقوة إسرائيلية كبيرة على المسطبة الواقعة باب المصلى السفلي من الجهة الشرقية واعتدوا عليه. ومع ذلك صمد وبقي في الميدان حتى خرج شارون الذي استمرت جولته حوالي (4) دقائق.

- عند هدم البيوت والاعتداء على المقدسيين، كان المرحوم «فيصل» يحضر ويساعد ويؤازر، ويشحذ الهمم، ويعزز الصمود، ويدعو إلى الصبر والبقاء على أرض القدس، مهما كانت المكارِه ومهما كان شظف العيش وقسوته.

من جانبه، يضيف السيد عبد القادر الحسيني، حول ما حصل مع والده أثناء مجزرة المسجد الأقصى في العام1990[75]:

كنت اعرف أن الوالد موجود في الحرم، وفجأة بدأنا نسمع صوت «صليات» متتالية، فتوقعنا استشهاده؛ إلا أنه اتصل معي وأبلغني أنه في مكتب «الشيخ محمد حسين»، وطلب أن أبلغ

75 وردت هذا المعلومات في المقابلة التي أجريت مع السيد عبد القادر الحسيني في مكتبه في الرام، يوم الأربعاء، بتاريخ: 2014/12/17م.

الموظفين بضرورة التوجه إلى القناصل الأجانب في القدس؛ لإبلاغهم بأن هناك مجزرة في المسجد الأقصى تدور رحاها في تلك اللحظة.

أما قصة محاولة الاغتيال التي تحدث عنها سماحة المفتي، فقد أكدها والدي، وفق رواية أنه كان أمام الصخرة وبجانبهم مقر الشرطة الاحتلالي، فقام جندي برمي شيء على جندي آخر، فسمعنا صوتًا، ليبدو الأمر وكأنهم هوجموا؛ حينها نزل المرحوم «فيصل» وكان معه الشيخ محمد حسين، والحاج مصطفى أبو زهرة، وحازم الحسيني.

تعرض حازم الحسيني إلى «صَلْيَة» مطاطية من جنود الاحتلال، أما «فيصل» فشعر بشيء قادم؛ وإذا بها رصاصة اخترقت قدم الحاج مصطفى أبو زهرة، الذي كان لا يزال على الدرج (بمستوى أعلى من المرحوم «فيصل»).

ثم بوغت الجميع باعتقال «فيصل» والشيخ محمد الجمل وعشرات الشبان الآخرين. وعند وصولهم إلى مكان الاعتقال، قال المحقق لـ «فيصل»: أنت نجوت اليوم بأعجوبة، فاستحضر (فيصل) مشهد الرصاصة التي أخطأته، ليربط ذلك بقول المحقق، فتأكد له أنها كانت «محاولة اغتيال فاشلة».

ولا بد من التذكير بأنه أثناء إجراءات الاعتقال طلب الجندي الاحتلالي من المرحوم «فيصل» أن يخفض رأسه، فقال له: بإمكانك أن تحطم رأسي، ولكنّك لن تحنيه. وهنا، يذكرنا «عبد القادر» بأنه في العام 1969، وعندما هب الحريق في المسجد الأقصى، حاول المرحوم «فيصل» الدخول إلى هناك، فاجتمع حوله الجنود وضربوه، وكان «د. سري نسيبة» يراقب المشهد، فوصفه بالقول: عندما نظرت إلى ذلك المشهد استغربت صمود ذلك الشاب؛ فقد ضربوه ضربًا مبرحًا حتى شجوا رأسه، إلا أنه لم يحنه قط.

خامسًا: فيصل الحسيني-القائد، يعيد لبيت الشرق هيبته وحضوره:

كان بيت الشرق فندقًا بإسم «بيت الشرق»، وأطلق عليه بالإنجليزية (Orient House)، تعود ملكيته للمرحوم «إسماعيل موسى الحسيني». وكان هذا البيت قد شهد (ثلاثة) أحداث تاريخية مهمة، هي[76]:

76 وردت هذا المعلومات في المقابلة التي أجريت مع السيد عبد القادر الحسيني في مكتبه في الرام، يوم الأربعاء، بتاريخ: 2014/12/17م.

أولًا: كان مقر إقامة الإمبراطور الألماني (فيلهلم الثاني)، الذي حضر إلى فلسطين أواخر القرن التاسع عشر في العام 1889، حيث توجه إلى القدس ففتح له العثمانيون بابًا خاصًا، هو ما نطلق عليه اليوم «الباب الجديد»؛ لكي تدخل منه عربة الإمبراطور الذي كان يلقب بـ «الإمبراطور غليون».

ثانياً: عندما توفي الشريف حسين في منفاه بقبرص، في العام 1930، عمل الحاج أمين الحسيني على دفنه في القدس، وفي منطقة المسجد الأقصى بالتحديد، وتحقق له ذلك. كما أنه فتح بيت العزاء للشريف حسين في بيت الشرق؛ حيث استقبل فيه ابناه (فيصل وعبد الله) العزاء بوالدهم.

ثالثاً: كان بيت الشرق مقر الإقامة الدائم للإمبراطور الأثيوبي هيلا سيلاسي المنفي إلى القدس، خلال الفترة 1936–1937.

أما بشأن علاقة «فيصل الحسيني» ببيت الشرق، فقد بدأت في العام (1983)؛ باستئجار جزء منه وتخصيصه لجمعية الدراسات العربية. ويشير «اسحق البديري»[77] إلى أنه في العام 1990، قام فيصل باستئجار أولي لفندق الأورينت هاوس، وأطلق عليه «بيت الشرق» إلى جانب مكاتب جمعية الدراسات العربية. ثم حسم استئجاره في تشرين أول من العام 1992.

فيصل الحسيني مع الرئيس ياسر عرفات

77 ورد في مقابلة اسحق البديري بتاريخ: 2015/05/16م.

سادسًا: فيصل الحسيني واستراتيجية الأمر الواقع.. يجعل من بيت الشرق مقرًا رسميًا-سياديًا للشعب الفلسطيني:

يشير البديري إلى أن فيصل بدأ، منذ أوائل العام 1991، بالاجتماع ببعض الشخصيات الإسرائيلية المهتمة بعملية السلام. وعندما بدأت عملية السلام اختير فيصل أحد الأشخاص الرئيسيين لترشيح شخصيات فلسطينية لعضوية الوفد الفلسطيني إلى مدريد. علمًا بأن إسرائيل اشترطت عدم وجود مقدسيين في الوفد؛ فاضطرت م. ت. ف إلى إعادة تشكيل الوفد؛ باستحداث لجنة توجيهية برئاسة فيصل، وتكليف د. حيدر عبد الشافي رئيسًا لوفد المفاوضات. واستمرت المفاوضات في مدريد وواشنطن ثم اتفاقيات أوسلو[78].

منذ العام 1992، وبعد أن تم توسعة المساحة المستأجرة من بيت الشرق، قام المرحوم «فيصل» بتجهيزه وإعداده ليكون مقرًا رسميًا لاستقبال ضيوف الشعب الفلسطيني في عاصمتهم القدس.

ويقول «كامل الحسيني»؛ مسئول ملف العلاقات الدولية والعلاقات مع المستثمرين في بيت الشرق، بأن «فيصل الحسيني» عمل على خلق أمر واقع في القدس، وليس للتمويل بالدرجة الأولى، فكان يقوم بالممارسة والأداء، دون أن يتوقف مطولًا عند النتائج المحتملة من قبل الاحتلال؛ أي أنه يحقق الممارسة على الأرض قبل النتائج. ومن المظاهر التي حققها في هذا الاتجاه[79]:

- عندما بدأت عملية السلام، أواسط العام 1992 كانت جمعية الدراسات مغلقة بالشمع الأحمر، ورأس «فيصل الحسيني» الفريق الفلسطيني إلى المفاوضات، والجمعية مغلقة؛ فكان منزله في حي الصوانة في القدس، هو المكان الوحيد الذي تتم فيه اللقاءات التشاورية والتنسيقية والاتصالات والتواصل، مع الداخل والخارج، ومع الجهات الدولية، بخاصة قناصل الدول الأجنبية في القدس.
- من هنا؛ أدرك «فيصل الحسيني» حاجته لفريق عمل واسع ومتكامل، يمكنه من متابعة

78 ورد في مقابلة اسحق البديري بتاريخ: 2015/05/16م.

79 ورد ذلك أثناء المقابلة التي أجريت مع السيد «كامل الحسيني» في مكتبه في مؤسسة «إعلام تام»، برام الله، بتاريخ: 2015/3/1م، بين الساعة 2:00-3:00 مساءً. أجاب خلالها عن السؤال الرئيسي التالي: كيف نفذ «فيصل الحسيني» استراتيجيته في المحافظة على عروبة القدس؟

كل ما يجري على الساحتين المحلية والدولية، وكان متمسكًا بوجهة نظره القائلة بضرورة مواكبة روح العصر، في جميع المجالات بلا استثناء؛ بخاصة في مجال التكنولوجيا والأساليب الإدارية الحديثة.

- كان هناك اهتمام دولي بنجاح عملية السلام؛ مما دفع الدول إلى الضغط على إسرائيل للسماح بمقر للمفاوضين الفلسطينيين. وكانت كندا من أكثر الدول التي ضغطت في هذا الاتجاه؛ فجاء القرار الإسرائيلي بإعادة فتح جمعية الدراسات العربية الكائنة في بيت الشرق في القدس، بينما كان «فيصل الحسيني» مسافرًا إلى الصين.

- تمكن «فيصل الحسيني» من خلال بيت الشرق من فرض أمر واقع يتعلق بشرقي القدس، عاصمة للكينونة السياسية الفلسطينية؛ وهي «الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس، التي أعلن عنها في مؤتمر الجزائر في العام 1988». فطلب مني أن يكون المكان أفضل من الاميريكان كولوني واقل من الاليزيه؛ لكي يرى العالم كيف أننا اصحاب حضارة وضيافة، مع مراعاة مشاعر شعبنا الذي يعاني الفقر والفاقة والعوَز. لا بد من ذكر أن الأشقاء في دولة الكويت هم من دربنا على البروتوكول الخاص باستقبال الضيوف الرسميين.

- كان أول من حضر إلى بيت الشرق، بصفته بيت الضيافة الفلسطيني هو «رئيس الوزراء البرتغالي». ولهذا الأمر قصة طريفة، تتلخص فيما يلي: عندما حضر الوفد البرتغالي الاستباقي، قبل الموعد الرسمي للزيارة باثني عشر يومًا، طلب منا «فيصل الحسيني» أن نطلع الوفد على المقر وأن نعتني بهذه الزيارة؛ لكي يتبعه الآخرون من الأوروبيين؛ فبذلنا جهوداً جبارة لإنجاز الترميم، خلال حوالى عشرة أيام فقط.

فيصل الحسيني: رجل الجماهير وقائدها

ويذكر السيد عبد القادر الحسيني[80]، أن هذه الزيارة قد جاءت باعتبار بيت الشرق المقر الرسمي للفريق الفلسطيني المفاوض، وكان قد سبقه وزير الخارجية البرتغالي الذي قام بزيارة لمنزل المرحوم «فيصل» الواقع في الصوانة في القدس. وبذلك يكون رئيس وزراء البرتغال قد خالف الوفود الرسمية الأخرى التي كانت تحضر إلى الفنادق. ثم تتالت تلك الزيارات، ذات الطابع الرسمي، من قِبَل وزراء تركيا، إيطاليا، أمريكا (وزير التجارة) ومندوب أمين عام الأمم المتحدة الذي حقق في مجزرة الحرم الإبراهيمي في العام 1994.

- منذ ذلك الحين أصبح بيت الشرق هو «بيت الضيافة الفلسطيني»، وبعدها تمت مأسسة العلاقات الدولية، واستقبلنا أكثر من (30) شخصية رسمية، من مختلف الدول، حتى الامريكان، الذين حضروا على مستوى وزير التجارة. وكان يتم فيه استقبال بروتوكولي كامل، مثل: دخول السيارات والمستقبلين في ظل رفع العلم الفلسطيني، الذي رُفِعَ علنًا أول مرة عند توقيع اتفاق واشنطن، حتى أنه تم نقل مراسم التوقيع بحيث كان يتجاور، على نفس الشاشة، منظر بيت الشرق والعلم الفلسطيني مرفوع عليه، والبيت الأبيض حيث تتم مراسم التوقيع. وأثناء الاجتماعات بين الوفد الفلسطيني والضيوف كان العلم الفلسطيني يتخذ المكان المناسب على طاولة الاجتماعات، حسب الأصول. كما كان يتم منع أي مرافقة إسرائيلية للوفود داخل بيت الشرق.

- كان «فيصل الحسيني» يؤمن بالتخصص. فعلى مستوى العلاقات الدولية، وزع المهام على الموظفين، تحت العناوين التالية: آسيا والعلاقات مع المستثمرين، الوطن العربي، أوروبا، أمريكا، المنظمات الدولية والاسلامية. لذلك؛ فإن أغلب الملفات التي تم العمل فيها في بيت الشرق، تم تحويلها إلى الوزارات المختصة، لتستكمل العمل فيها وفق الأصول[81].

- وكان «فيصل» يردد مقولة هامة، وهي: إن استراتيجية المفاوضات تقوم على بعدين هامّيْن مترابطيْن؛ لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض، وهما: الشكل والمضمون. والمقصود بالشكل، تلك الإجراءات والبروتوكولات التي يجب تنفيذها بدقة ملحوظة لضيوف المقر الفلسطيني، بما يؤكد على قابليتنا لاستلام زمام مجتمعنا ودولتنا، وتوظيف ذلك الشكل لخدمة ومساندة «المضمون»، الذي يعني القضايا الجوهرية التي يتم التفاوض حولها.

---

80 وردت هذا المعلومات في المقابلة التي أجريت مع السيد عبد القادر الحسيني في مكتبه في الرام، يوم الأربعاء، بتاريخ: 2014/12/17م.

81 ورد ذلك في مقابلة «كامل الحسيني».

- من جانبٍ آخر؛ كانت هناك منصة للصحفيين وتنظيم لحركة الصحفيين وفق الأصول، كما كانَ الحرس بملابس رسمية موحدة. ويروى أن الصحفيين الإسرائيليين أبلغوا «رابين» بأنه على حكومة إسرائيل أن تتعلم من بيت الشرق، قائلين له: اذهبوا إلى فيصل الحسيني وتعلموا منه.

سابعًا: فيصل الحسيني-المفاوض: منهجية تفكير في التعامل مع الطرف الآخر؛ عنيد في مواقفه.. متمسك بحقوق شعبه

كان «فيصل الحسيني» يؤمن بضرورة اختراق الجانب الاسرائيلي؛ تحت نظرية «اسمع ولا تتكلم». ولم يصبح وزيرًا في السلطة الوطنية الفلسطينية؛ لكي يبقى يعمل في القدس ومن القدس بصفته مسؤول ملف القدس؛ لفرض الامر الواقع باسم م. ت. ف، وكان يصر على أن يقوم كل من يزور غربي القدس بزيارة شرقيّها، حتى لو زار ياسر عرفات. ويذكر كامل الحسيني القصة التالية[82]:

- في إحدى المرات جاءت تانسو تشيلر/ رئيسة وزراء تركيا، وأثناء وجودها في مكتب ياسر عرفات بغزة، قال «فيصل الحسيني»، موجهًا حديثه إلى ياسر عرفات: ما رأيك أن تزور السيدة تشيلر مكتبك في القدس؟ فوافق ياسر عرفات على الفور. فقام «فيصل الحسيني» بدوره، بمفاجأتنا، بطلب تجهيز بروتوكول الزيارة خلال ساعة؛ فقمنا بتجهيز الأمر، بسرعة قياسية، عندما أخذنا الورود من المطعم والسجاد الأحمر من مكان ما، لاستقبال الضيفة.

- إلا أن حدثًا قد جرى في تلك الزيارة، كان هو القشة التي كسرت ظهر العلاقة بيننا وبين الاسرائيليين، قلبت الوضع رأسًا على عقب؛ عندما منع شبابنا الأمن الاسرائيلي (الشين بيت) من دخول بيت الضيافة الفلسطيني؛ فأعلنت إسرائيل حملة على «فيصل الحسيني»، وارتفعت أصوات بإغلاق بيت الشرق؛ وبعدها بدأت الوفود تضمحل وتتراجع.

ولا بد من الإشارة إلى أن «فيصل الحسيني» كان حريصاً دوماً على الحضور الدائم لفصائل العمل الوطني كافة، في جميع لقاءاته. كما كان يبذل جهوداً جبارة لجلب المستثمرين العرب للاستثمار في القدس؛ من أجل شرعنة الوجود العربي والفلسطيني في القدس والاستثمار

82 ورد ذلك في مقابلة «كامل الحسيني».

فيها، وقد تمكن من خلق نافذة مع الإسرائيليين للتسهيل لرأس المال القادم من الخارج، فكانت شركة الصخرة التي أسسها الملك الحسن الثاني/ ملك المغرب، والتي تمكنت بالفعل من شراء عقار في القدس لصالح المغرب.

من جانب آخر؛ يشير «عبد القادر» إلى أن «فيصل» كان يدرك أننا متجهون نحو عالم وحيد القطب، وتأكد له ذلك من خلال ما جرى مع وزير خارجية الاتحاد السوفيتي، الذي أقام في «بيت الشرق» لمدة يوم وليلة كضيفٍ رسمي، كما يلي:

- فوجئ المرحوم «فيصل» بصحفي إسرائيلي، يقول: أنتم انتهيتم؛ فهناك قائمة من المفاوضين الفلسطينيين صممها الإسرائيليون والأمريكان أثناء اجتماعهما في تلك البرهة من الزمن، فدعا الوزير إلى اجتماع (حضره السيد عبد القادر)، وأبلغه بقراره «عدم حضور مؤتمر السلام المزعوم»، طالبًا من الوزير السوفييتي إبلاغ الأمريكان بذلك.

- كانت الصدمة من رد الوزير، الذي لم يقوَ على نقل الاحتجاج الفلسطيني إلى راعي السلام الأمريكي، وإنما اقترح تعليق الاجتماع لمدة عشر دقائق؛ من أجل أن يقوم خلالها المرحوم «فيصل» بإبلاغ «وزير الخارجية الأمريكية/ بيكر» بهذا القرار، في إشارة منه إلى أن قدرة المرحوم «فيصل» على الاتصال مع الأمريكان، في تلك اللحظة، هي اكبر من قدرة وزير الخارجية السوفييتي.

- بالفعل؛ تم تعليق الجلسة، فألقى المرحوم «فيصل» تصريحًا صحفيًا، قال فيه: لن نذهب لمؤتمر السلام؛ لأن قائمة المفاوضين الفلسطينيين موجودة لدى الأمريكان. فقام جيمس بيكر/ وزير الخارجية الأمريكية بالرد، فورًا، على هذا التصريح، مؤكدًا أنه لم يتم خلال ذلك الاجتماع (الأمريكي-الإسرائيلي) تداول أية أسماء.

- بذلك؛ تأكد للمرحوم «فيصل» مدى حاجة الأمريكان للفلسطينيين في معادلات الصراع في تلك الحقبة. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن المرحوم «فيصل» انتهج استراتيجية تحقيق «النّدّيّة» التي بناها هو وحنان عشراوي، والتي أتت أكلها، من خلال الشواهد التالية:

- بعد حرب الخليج مباشرة، توجه أحد الصحفيين إلى وزير الخارجية الأمريكي/ بيكر بالسؤال التالي: هل ستتعامل مع كل الأطراف، بما في ذلك الفلسطينيين، فقال: نعم. عندها؛ اتصل القنصل الأمريكي مع المرحوم «فيصل» ليبلغه بفحوى هذا التصريح، ثم طلب الاجتماع معه، فسأله المرحوم «فيصل»: أين تريد الالتقاء؟ فقال القنصل:

في «الأميريكان كولوني»، فاعتذر له المرحوم «فيصل». فما كان من القنصل إلا وبادر بالاستئذان للحضور إلى بيت المرحوم «فيصل»، فأذن له، وتم اللقاء في لحظته (حوالي الساعة 11 ليلًا). حينئذٍ؛ أبلغ المرحوم «فيصل» ضيفه (القنصل) رغبته في تحقيق (النّدّيّة).

- حتى عندما تم اللقاء، في الجولة السابعة من المفاوضات، في القنصلية الأمريكية بالقدس، تعامل المرحوم «فيصل» مع المكان باعتباره سيادة أمريكية.
- في مفاوضات المرحوم «فيصل» مع جيمس بيكر، قال (بيكر): سيكون لكم كفلسطينيين بدلة جديدة؛ وذلك لأن فيصل كان قد قال له: أنت تذكرني بقصة طريفة عن شخص حصل على قطعة قماش فذهب إلى الخياط فطلب منه أن يصمم له بدله، وعندما قاسها وجد أن الكم طويل، فطلب منه الخياط أن يمد يده ليتخذ الكمّ مكانه، ثم يمد رجله لتتخذ رِجل البدلة مكانها... وهكذا أصبح الرجل يسير في الشارع وسط سخرية الناس، حتى أخذوا يقولون: «إن الخياط ماهر ولكن الرجل مسكين. وبعد مفاوضات مضنية صرح بيكر للمرحوم «فيصل» بالقول: أنا مقتنع بوضعكم ولكني الوحيد من يحمل هذه القناعات على مستوى وزارة الخارجية.

حصل لقاءان في واشنطن مع الرئيس الأمريكي «جورج بوش-الأب»، وخلال الاجتماع الثاني الذي ترأسه المرحوم فيصل، أصر أن يضع رجلاً فوق أخرى كما كان يجلس جورج بوش، وذلك على قاعدة «الندّيّة» في العلاقات مع الدول.

وفي هذا المجال، يختم السيد «عبد القادر» بالإشارة إلى أن استراتيجية «النّدّيّة» هذه قد تم إضعافها، بل تحطيمها.

ثامنًا: فيصل الحسيني-المفاوض الفلسطيني.. يعيش مرارة «أوسلو» وما بعدها:

يروي اسحق البديري: بعد ظهور اتفاق أوسلو للعلن، كان فيصل حزيناً للغاية، ولكنه لم يكن ليعبر عن حزنه، وعندما سألته عن سبب حزنه قال: القدس ليست في اتفاقيات أوسلو وإنما ستكون في المرحلة النهائية. إلا أنه عندما عينه الراحل ياسر عرفات مسئولًا عن ملف القدس، أقام علاقات دولية وعربية ممتازة. وانفرد بموضوع القدس، واخذ يبحث عن تمويل لمشاريعها ومؤسساتها من منظمات عربية ودولية، على المستويات: التعليمية والصحية والشبابية... الخ.

كانت هناك لجنة مسؤولة عن ملف القدس، تشكلت نتيجة اجتماع بين المرحوم ياسر عرفات ورابين في القاهرة في العام 1994، بحضور المرحوم «فيصل الحسيني». مثّل فلسطين فيها «فيصل الحسيني»، ومثّل إسرائيل «موشيه شاحال» وقد تولت تلك اللجنة الملف الخاص بمتابعة عدم إحداث تغييرات جوهرية في شرقي القدس، خلال المرحلة الانتقالية (1994–1996).

وبعد تشكيل تلك اللجنة، بادر المرحوم «فيصل» إلى عقد اجتماع موسّع؛ ضم كل شخصيات القدس، على شكل مؤتمر أُعلن فيه عن التمسك بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلًا شرعيًا وحيدًا للشعب الفلسطيني، وأن «بيت الشرق» هو المقر الرسمي للقيادة الوطنية الفلسطينية في القدس.

وقد كان لتلك اللجنة دور كبير في خفض عدد البيوت المهدمة. وأنها بقيت، ذات أثر، حتى وفاة المرحوم «فيصل» في العام 2001، التي تلاها هدم (18) بيتًا دفعة واحدة. ثم بدأت تتوالى عمليات هدم بيوت المقدسيين، على قدم وساق، دون إبداء ردود الفعل المطلوبة، كما كان يفعل المرحوم «فيصل». مما يعني أن تلك اللجنة بقيت فعّالة حتى وفاة المرحوم «فيصل»، وأن الفلسطينيين لم يكملوا المتابعة في هذا الملف، رغم أهميته في حماية المقدسيين بالحد الأدنى.

وقبل أن يغادر اللقاء، أراد السيد «عبد القادر» الإشارة إلى أنه قبل أوسلو كانت المفاوضات

بشقين، هما: الأول؛ مفاوضات متعددة الأطراف (تضم الدول الخمس العظمى)، بقيادة «فيصل الحسيني» عن الفلسطينيين، وتم أول اجتماع لها في روسيا. والثاني؛ مفاوضات ثنائية، يقودها المرحوم «د. حيدر عبد الشافي». وفي هذا الجانب؛ حصل المرحوم فيصل، من خلال التفاوض مع بيكر، على ضمانة موثقة بشان القدس، بان التفاوض في المرحلة النهائية سيكون على مستقبل القدس كاملة، وليس شرقيها فحسب.

تاسعًا: ياسر عرفات.. دعم «فيصل الحسيني» ورأى في القدس بوابة التحدي[83]:

عندما وقعت طائرة ياسر عرفات في الصحراء الليبية، كان «فيصل الحسيني» قلقاً للغاية؛ باعتبار أن الوضع جد خطير، نتيجة للفراغ الذي سيتركه غيابه. ومن الضرورة القول بأن «فيصل الحسيني»، كان في كل مرّة، يعيد الكرة إلى م. ت. ف بقيادة ياسر عرفات؛ لإيمانه بأنه لدى قيادتها رؤية أكثر شمولية. وعندما كانت قائمة أعضاء الوفد الفلسطيني، الذي يمكن لإسرائيل أن توافق على سفرهم، تمر من عند «فيصل الحسيني»، كان يستغلها حتى الحد الأقصى؛ لكي يضمن توجه أكبر عدد من المناضلين الفلسطينيين إلى تونس للقاء قائدهم ياسر عرفات، بعد أن يغادروا الجسر بحجة الذهاب إلى المفاوضات.

وبالرغم من عدم قناعته باتفاقية أوسلو التي كان مغيباً عن الجزء السري منها، إلا أنه دعا إلى تبنيها، باعتبارها «ولد معاق» أنجبته المفاوضات الفلسطينية مع الجانب الإسرائيلي، مما يتطلب رعايته والمحافظة عليه قدر استطاعتنا.

رغم كل ما يذكر عن العلاقة الانضباطية والتكاملية لفيصل الحسيني بقائده ياسر عرفات، إلا أن اسحق البديري، يقول: مما لمسته من خلال قربي من «فيصل الحسيني»، أن هناك من كان يهمس في أذن عرفات عن خطورة فيصل الحسيني؛ كمنافس له على قيادة الشعب الفلسطيني.

---

83 ورد ذلك في مقابلة «كامل الحسيني».

عاشرًا: فيصل الحسيني: يكشف عيوب عملية السلام.. ويتنبأ بما يجري الآن

بعد أن اتضحت ملامح شخصية فيصل الحسيني، واتضح دوره في الحراك السياسي الفلسطيني، أصبح مكتبه محجًا لوسائل الإعلام الباحثة عن حقيقة ما يجري في فلسطين، وفي القدس بالذات. وكان يجيب بعمق العارف في الأمور والقادر على قراءة المستقبل، في ظل التطورات في المجتمع الإسرائيلي؛ الذي أخذ يميل نحو اليمينية المتطرفة المعادية للوجود الفلسطيني. ففي شباط/1998 توجهت إليه الصحفية «جيهان فاروق الحسيني»؛ المحررة السياسية في صحيفة الحياة اللندنية، بستة أسئلة تشكل، في مجموعها قراءة تشخيصية لواقع ذلك الزمن، وقراءة استشرافية لمستقبل القضية الفلسطينية، والتي نحرص على إدراجها فيما يأتي، كما وردت في مسودة تلك المقابلة[84]:

السؤال الأول: ماذا بقي من عملية السلام بعد لقاءات واشنطن؟

جـ1: منذ أن تولى بنيامين نتنياهو منصب رئيس وزراء إسرائيل، وهو لا يدخر جهداً من أجل تدمير عملية السلام التي انطلقت من مدريد في تشرين أول 1991م، واستندت على قراري مجلس الأمن 242 و 338 ومبدأ الأرض مقابل السلام. هذه السياسة للحكومة الإسرائيلية الحالية التي تتعارض كلياً مع مبادئ عملية السلام، تتماشى تماماً مع الخطوط الأساسية للبرنامج الذي طرحه نتنياهو لحكومته، والذي يتمثل في استمرار احتلال الأرض الفلسطينية، ومواصلة بناء المستوطنات، وتوسيع القائم منها، والسيطرة على مصادر المياه، ورفض إقامة دولة فلسطينية مستقلة مع الاحتفاظ باحتلال القدس العربية باعتبارها، كما يدعون، «مدينة واحدة وموحدة ستبقى إلى الأبد تحت السيادة الإسرائيلية»؟!

ومن هنا، وفي ضوء هذه السياسة الإسرائيلية المتشددة والرافضة لمبادئ عملية السلام، كان متوقعاً أن لا تحقق لقاءات واشنطن أية نجاحات؛ رغم أن القيادة الفلسطينية قدمت في تلك اللقاءات كل ما تستطيع من أجل إنهاء حالة الجمود التي وصلت إليها العملية السياسية على المسار الفلسطيني–الإسرائيلي. ويشار في هذا الصدد، إلى أن ما حمله نتنياهو معه إلى واشنطن من خرائط (رفضتها القيادة الفلسطينية) تبين مدى تمسك إسرائيل باستمرار احتلالها للأراضي الفلسطينية، إضافة إلى رفضها تحديد نسب مئوية محدودة لإعادة الانتشار وتنفيذ استحقاقات الاتفاق الانتقالي، مثل: المطار والميناءوالممرالآمن وإطلاق

84 تم الحصول على هذه المقابلة بين الملفات الخاصة بالإعلام ببيت الشرق، بخط اليد، الذي يحتفظ به نبيه عويضة؛ مدير المكتب الصحفي لبيت الشرق، والمكلف بمتابعة قضايا الإعلام مع المرحوم فيصل الحسيني.

سراح الأسرى والمعتقلين، ومطالبتها بإلغاء المرحلة الثالثة من إعادة الانتشار، ودمجها في مفاوضات الحل النهائي التي قال إنها يمكن أن تتم في غضون سنة إلى تسعة أشهر!

هذه السياسة التي تبعتها الحكومة الإسرائيلية الحالية بزعامة نتنياهو أدت إلى إفشال لقاءات واشنطن، إضافة إلى عدم قيام الإدارة الأميركية بممارسة أية ضغوط عليه لتغيير سياسته, والالتزام بقرارات الشرعية الدولية والاتفاقات الموقعة واستمرار واشنطن باتباع سياسة الكيل بمكيالين. ولو ألقينا نظرة على ما قاله نتنياهو بتاريخ 15/2/1998 أمام وفد من الجالية اليهودية الأمريكية من أن «إسرائيل ترفض الاتكال على معاهدات السلام مع جاراتها العربيات؛ لأنها –حسب ادعاءاته– «دكتاتوريات»، وان إسرائيل تعول أساسا على قوتها الرادعة وليس على اتفاقات السلام»، تبين لنا نية الحكومة الإسرائيلية في تدمير العملية السياسية. كما أن هذه الأقوال قد أوضحت بصورة جلية، لا تقبل التأويل، كيف يفكر نتنياهو، وما هو المصير الذي يتهدد المنطقة والعالم.

من هنا وبناء على ما تقدم؛ يتضح جليا أن نتنياهو توجه إلى لقاءات واشنطن وفي نيته إفشالها، وعدم تحقيق أي تقدم في العملية السياسية. ولكن، ورغم فشل لقاءات واشنطن، فإنه يمكننا القول أن القيادة الفلسطينية تمكنت، أثناء هذه اللقاءات، من طرح كافة القضايا الوطنية والأهداف والأماني التي نسعى إلى تحقيقها على الإدارة الأمريكية، التي لا شك بأنها أصبحت الآن أكثر تفهما للموقف الفلسطيني. وحالة الجمود التي تمر بها العملية السياسية نتيجة تهرب الجانب الإسرائيلي من تنفيذ الالتزامات التي رتبتها الاتفاقات الموقعة، ولكن –للأسف – الإدارة الأمريكية ليست لديها النية لاتخاذ موقف قوي بهذا الشأن.

السؤال الثاني: ما مستقبل اتفاق أوسلو في ضوء تعثر محادثات واشنطن؟

جـ2: تسعى حكومة نتنياهو إلى تغيير اتفاق أوسلو بشكل جذري، من خلال عدم التزامها بتنفيذ بنود الاتفاقيات الموقعة، ومواصلة الاستيطان، إضافة إلى الخرائط التي أعلنتها عن شكل الانسحاب ومداه والأماكن التي تبقى تحت سيطرتها؛ بمعنى أدق أنها تسعى إلى تجسيد مفهوم تقاسم الأرض الفلسطينية معها أي «السلام مقابل التقاسم»، في حين أن المفهوم الفلسطيني للسلام هو «الأرض مقابل السلام»؛ أي الانسحاب الإسرائيلي الشامل من جميع الأراضي التي احتلتها في العام 1967 بما فيها القدس الشرقية.

كما أن الإدارة الأمريكية، أحد راعيي عملية السلام، تساهم في المفهوم الإسرائيلي؛ جراء عدم التزامها بالتعهدات التي قدمتها للسلطة الوطنية الفلسطينية عن طريق الرسائل التي

بعث بها وارن كرستوفر وزير الخارجية الأميركي السابق، ودينيس روس المنسق الأمريكي لعملية السلام. وعلى العكس من ذلك تحاول الإدارة الأمريكية جاهدة تجميل المطالب والشروط الإسرائيلية، وطرحها على الجانب الفلسطيني على أنها حلول أمريكية حتى يتم قبولها.

السؤال الثالث: ما هي أشكال التحرك في المرحلة المقبلة؟

جـ3: تواصل القيادة الفلسطينية تحركاتها السياسية والدبلوماسية والإعلامية على جميع الساحات العربية والإسلامية والدولية، بهدف إنقاذ العملية السياسية وإخراجها من حالة الجمود التي تعيشها؛ لرفض الحكومة الاسرائيلية الوفاء بالتزاماتها.

وهذه التحركات ليست وليدة الساعة، ولم تبدأ فقط إثر فشل لقاءات واشنطن، ولكنها واكبت المسيرة السياسية منذ بدايتها، من أجل تجنيد الدعم الكافي لإنجاح هذه المسيرة، وتوضيح الموقف الفلسطيني الذي يسعى جاهداً لتحقيق سلام عادل وشامل في المنطقة، تعم اثارة العالم أجمع.

ويهدف الترك الفلسطيني، على المستويين العربي والإسلامي، إلى تحقيق موقف موحد سواء على مستوى جامعة الدول العربية أو منظمة المؤتمر الإسلامي، إضافة إلى تعزيز التلاحم مع الشعوب العربية والإسلامية لمواجهة الأخطار المحدقة بالعملية السياسية وبالحقوق الفلسطينية، ويدعم هذه الحقوق.

أما على المستوى الدولي، فإننا نسعى إلى تجنيد رأي عام عالمي يدعم الحقوق والمطالب الفلسطينية والعربية، من خلال قيام أوروبا بدور أنشط في عملية السلام، التي -فعلاً - تسعى إليه بكل مصداقية، وبدعم فلسطيني وعربي لهذا الدور، رغم رفض الجانب الإسرائيلي أن يضطلع الاتحاد الأوروبي بمثل هذا الدور؛ بحجة أن «للأوروبيين مواقف مشابهة لمواقف الفلسطينيين، ولا يمكنهم بالتالي أن يضطلعوا بدور الوسيط المحايد» كما ذكر «ديفيد بار إيلان» الناطق باسم رئيس وزراء اسرائيل بتاريخ 28/1/1998. حيث قال «إيلان»: إن إسرائيل تعتبر أنه على الاتحاد الأوروبي الاكتفاء بدور الطرف المانح للسلطة الفلسطينية!

كذلك، يهدف التحرك الفلسطيني إلى دفع الولايات المتحدة للتعاون أكثر مع الاتحاد الروسي بصفتها راعية عملية السلام. ومع الدول الأعضاء في مجال الأمن، من أجل الضغط على إسرائيل لاحترام الشرعية الدولية، والقرارات التي صدرت عن الأمم المتحدة، سواء مجلس الأمن أو الجمعية العامة، وبالذات قراري 242 و 338. والتوقف عن القيام بأية إجراءات

أخرى، من جانب واحد، في جميع الأراضي الفلسطينية؛ لتجنيب المنطقة الانزلاق إلى مخاطر دوامات العنف التي لا يمكن التكهن بالمدى الذي يمكن أن تصل إليه والنتائج التي ستترتب عليها.

السؤال الرابع: هل هناك توقع باندلاع انتفاضة في ضوء عدم قيام الدولة الفلسطينية؟

جـ4: كأي شعب آخر على وجه البسيطة، يتطلع شعبنا الفلسطيني لأن تكون له دولته المستقلة ذات السيادة الكاملة؛ وهذا من شأنه أن يخلق له شعوراً بالطمأنينة والأمان، ويشعر بأن له دولة تدافع عن حقوقه وتقدم له الحماية والملاذ؛ وهذا يساهم في تحقيق الأمن والاستقرار في المنطقة والعالم.

وعندما خاض شعبنا الفلسطيني ثورته، التي انطلقت عام 1965 ثم أطلق انتفاضته المباركة في نهاية 1987 فقد أراد أن يعلن للعالم أجمع أنه مصمم على استعادة حقوقه الوطنية التي غُيِّبَتْ لفترة طويلة من الزمن، وفي مقدمتها حقه في إقامة دولته المستقلة على تراب وطنه.

وبعد أن أدرك العالم أن لا مجال لتجاهل هذا الشعب، الذي أبدى استعداده للتضحية بكل شيء في سبيل تحقيق أهدافه الوطنية بدأت مسيرة السلام في العام 1991 في مدريد من خلال قرار سياسي فلسطيني مستقل. وأيضاً أكد شعبنا استعداده للمساهمة في إنجاح عملية السلام لتحقيق الأمن والاستقرار والازدهار في هذه المنطقة، ولتجنيبها المزيد من العنف والدمار وإراقة الدماء.

ولكن، وإذا ما استمرت الحكومة الإسرائيلية في وضع العراقيل أمام عملية السلام؛ وإذا ما واصلت تجاهلها لحقوقه الوطنية المشروعة؛ وفي مقدمتها إقامة دولته المستقلة، فإن أحداً لا يمكن أن يعلم ماذا سيحصل، وما هي الأخطار التي تهدد المنطقة والعالم، وتكون كل الخيارات أمام شعبنا متاحة وبمختلف الوسائل؛ فقد تكون انتفاضة أو غيرها، لا أحد يمكن أن يجزم خاصة وأنه وصل إلى درجة خطيرة من الإحباط، بعد أن قدم كل ما يمكنه في سبيل السلام ولا يكافأ إلا بالرفض والتعنت الإسرائيلي، وعدم وجود وقفة جدية تسانده في مواقفه السلمية من دول العالم.

السؤال الخامس: في ظل المأزق الحالي الذي تمر فيه العملية السلمية. هل يمكن أن يتم الإعلان عن قيام الدولة الفلسطينية؛ ومتى وكيف؟ خاصة أنه حتى الآن لم يتم إعادة الانتشار من المرحلة الثانية؟

جـ5: بداية، لا بد من التأكيد على أن إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف تمثل الهدف الوطني للشعب الفلسطيني؛ وأن لا شيء يمكنه أن يحول دون تحقيق هذا الهدف.

في العام 1988 تم الإعلان عن قيام الدولة الفلسطينية المستقلة من الجزائر، والآن أقمنا سلطتنا الوطنية على الأراضي الفلسطينية، وهذا يشير إلى أن الدولة الفلسطينية بأجهزتها ومؤسساتها قائمة فعلاً، وأن الإعلان عنها سيتم في الوقت الذي حدده الرئيس ياسر عرفات في العام 1999 بموجب الاتفاقات الموقعة.

إننا، ومع إدراكنا للصعوبات التي تمر بها العملية السياسية الآن بفعل السياسات الإسرائيلية المتعنتة، لا بد أن تشير إلى أن إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة سوف يساهم في دعم الأمن والاستقرار في المنطقة والعالم، وقد أصبح العديد من الساسة الإسرائيليين يدركون أنه لا يمكن الحيلولة دون إقامة دولة فلسطينية مستقلة، وأن هذا الأمر لا يتعدى كونه مسألة وقت ليس إلا. وأكثر من ذلك، فإنهم –الساسة الاسرائيليون– يرون في إقامة الدولة الفلسطينية حاجة ضرورية لصالح الشعبين؛ فقد حذر رئيس وزراء إسرائيل السابق «شمعون بيرس» في لقاء عام عقده في تل أبيب بتاريخ 16/2/1998 مع شبان هناك من أن «اليهود والعرب يسرعون نحو المأساة إذا لم تقم دولة فلسطينية». هذا رغم أن بيرس كان، حتى وقت قريب، يعلن معارضة قيام دولة فلسطينية مستقلة. إذن هناك ستعود؟؟ في إسرائيل بالتسليم بقيام الدولة حتى أن أريئيل شارون وزير البنى التحتية الإسرائيلي المتشدد، نقل عنه في 25/11/1997 قوله «أنه يعترف وبحزن عميق بأن إعطاء الفلسطينيين كياناً خاصاً بهم سيؤدي حتماً إلى إنشاء دولة فلسطينية».

هذا إضافة إلى أن الغالبية العظمى من دول العالم ترى أن من حق الشعب الفلسطيني أن تكون له دولته المستقلة. ونحن على ثقة من أن عدداً كبيراً جداً من هذه الدول سوف تبادر لإعلان اعترافها بدولتنا فور الإعلان عنها رسمياً.

السؤال السادس: كيف تتصورون مستقبل القدس في ضوء المماطلات الإسرائيلية من إعادة الانتشار. حتى الآن ما زال الحديث حول المرحلة الثانية، والفلسطينيون متمسكون بعدم الدخول في مرحلة الحل النهائي قبل الانتهاء من مراحل إعادة الانتشار. وحتى ينتهي الخلاف حول هذه النقاط؛ ستظل القدس خاضعة للسياسة الإسرائيلية من تهويد واستيطان. فماذا سيتبقى من القدس إلى مفاوضات الحل النهائي؟

جـ6: لا بد للمتتبع لتطورات العملية السياسية على المسار الفلسطيني –الإسرائيلي أن يدرك وبوضوح، أنه ومنذ تولي اليمين الإسرائيلي بزعامة الليكود الحكم في إسرائيل، فإنه يبني سياسته على أساس كسب الوقت لفرض وقائع على الأرض الفلسطينية تخل بنتائج مفاوضات الحل النهائي.

ولكن ورغم ذلك، واصل الفلسطينيون تأييدهم لعملية السلام انطلاقاً من إيمانهم الراسخ بضرورة تحقيق سلام عادل وشامل يستند الى مبادئ الشرعية الدولية والتنفيذ الدقيق والأمين لكل ما تم التوقيع عليه من اتفاقات. كما أعلنوا استعدادهم البدء بمفاوضات الحل النهائي، ولكن بالتوازي مع تنفيذ بنود المرحلة الانتقالية كاملة، وبمراحل إعادة الانتشار الثلاث. رغم إدراكهم الكامل للأهداف التي يسعى نتنياهو لتحقيقها من خلال طرحه البدء فوراً بمفاوضات الحل النهائي والمتمثلة في:

1. محاولة تدمير مرجعية مؤتمر مدريد.
2. التهرب من تطبيق استحقاقات الاتفاق الانتقالي الداعي إلى تسليم أراضي الضفة الغربية إلى الفلسطينيين.

لقد كان من المفروض أن تستأنف مفاوضات الحل النهائي بتاريخ 17آذار 1997 ولكن نتنياهو هو الذي أوقف هذه المفاوضات، من خلال إفراغها من مضمونها بمواصلة أعمال الاستيطان في جميع الأراضي الفلسطينية رضوها ؟؟في القدس الغربية.

كما كان يجب إعادة الانتشار الثاني في 7 أيلول1997وإعادة الانتشار الثالث في منتصف العام 1998 ولكن لغاية الآن لم تتم عملية إعادة الانتشار, وأكثر من ذلك فإن الحكومة الإسرائيلية تطالب الآن بإعادة انتشار بنسبة صغيرة جداً في المرحلة الثانية, مع إلغاء المرحلة الثالثة ودمجها في مفاوضات الحل النهائي.

من هنا، وبعد أن طرح نتنياهو خطته الجديدة, وبعد أن بنيت الخرائط التي حملها معه إلى واشنطن, وأعلن المسؤولون الإسرائيليون عن نيتهم الاحتفاظ بما يزيد عن نصف مساحة الضفة الغربية تحت السيطرة الإسرائيلية، فإنه لا يمكن الدخول في مفاوضات الحل النهائي، إلا بعد تحقيق أمور عدة منها:

1. تنفيذ جميع بنود المرحلة الانتقالية وعدم إلغاء أية مرحلة من مراحل إعادة الانتشار.
2. الإعلان صراحة، وبشكل رسمي، عن وقف جميع أعمال مصادرة الأراضي، وعدم إنشاء مستوطنات جديدة أو توسيع المقام منها في جميع الأراضي الفلسطينية.
3. عدم فرض شروط مسبقة تتعلق بالمواضيع مجال التفاوض في المرحلة النهائية.
4. وقف جميع الإجراءات أحادية الجانب التي تتخذها إسرائيل في مدينة القدس.

تجيء هذه المطالب الفلسطينية نتيجة لانعدام الثقة بالحكومة الإسرائيلية خصوصاً بالنسبة لمدينة القدس حيث الخطر يتهدد مستقبلها؛ نتيجة للإجراءات الإسرائيلية الهادفة

إلى طمس معالمها العربية والإسلامية، تمهيداً لضمها وتهويدها. ولتحقيق هذا الهدف، فهي تواصل إجراءاتها المتمثلة في مصادرة الأراضي، وبناء المستوطنات عليها أو سحب الهويات من المواطنين المقدسيين، وهدم البيوت بحجة عدم الترخيص، وفرض الضرائب الباهظة، والحصار الذي تفرضه على القدس منذ العام 1993، إضافة إلى الاعتداءات المتكررة من جانب المتطرفين المتدينين ضد أماكن العبادة الإسلامية والمسيحية وضد المواطنين العزل.

غير أننا سنواصل تمسكنا بعدم شرعية جميع هذه الإجراءات باعتبارها باطلة ومخالفة لجميع القرارات الدولية الصادرة عن مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة وجميع المنظمات الدولية الأخرى التابعة لها. كما أنها مخالفة للاتفاقات الموقعة، التي لا تجيز لأي من الطرفين القيام بأية إجراءات من جانب واحد تجحف بنتائج المفاوضات النهائية، باعتبار أن القدس تم الاتفاق على أن تكون ضمن المواضيع الأساسية التي سيتم التفاوض عليها في المرحلة النهائية.

وانطلاقاً من تمسكنا بالقدس باعتبارها العاصمة الروحية والسياسية والاقتصادية والثقافية للشعب الفلسطيني منذ الأزل؛ فإننا نؤكد أننا لن نتنازل عن عاصمة دولتنا المستقلة تحت أي ظرف من الظروف، وأيا كانت التضحيات.

ولكن ولإنجاح عملية السلام، فقد طرحنا منذ فترة طويلة حلاً متوازنا لتصورنا لمستقبل القدس بأن تكون مدينة مفتوحة وعاصمتين لدولتين فلسطينية في القدس الشرقية، وإسرائيلية في القطاع الغربي. ولا يفصل بينهما جدار. وهذا، وفق رأيي أقصى ما يمكن أن نقدمه في سبيل إيجاد حل عادل وشامل في المنطقة؛ لأن القدس تظل مفتاح الحرب والسلام في المنطقة.

حادي عشر: فيصل الحسيني: يكشف زيف ادعاءات الاحتلال.. ويحذر من تهويد المدينة

لم يسجل على فيصل الحسيني أنه تقاعس بشأن ما يجري في القدس من عملية تهويد، أو تغاضى عما يقوم به الاحتلال من إجراءات تتم في كل لحظة، من أجل تحقيق تلك الأحلام الاحتلالية المجنونة المشبعة بالمعتقدات المريضة التي لا تستند إلى أي منطق، سوى منطق القوة الغاشمة التي يمتلكها بدعم وإسناد من الامبريالية الاستعمارية الأمريكية والأوروبية. وسنورد فيما يلي رد فيصل الحسيني على الرسالة الموجهة إلى الأمين العام للأمم المتحدة من (ديفيد بيليغ) القائم بالأعمال المؤقت لبعثة اسرائيل والمؤرخة بتاريخ 26/9/1996؛

وهي مجموعة مغالطات، بشأن عملية فتح المدخل الإضافي للنفق الممتد على طول الحائط الغربي للمسجد الأقصى المبارك[85]:

أولاً: يقول بيليغ «إن ترميم نفق الحائط الغربي كان جزءًا من جهد متواصل تقوم به إسرائيل للتنقيب عن اكتشافات أثرية كبرى في القدس، ولتحسين البنية الأساسية للسياحة في المدينة القديمة على حد سواء».

رداً على ذلك، نقول بأن النفق تم الكشف عنه منذ العام 1870–1867، وقد نشر ذلك الكابتن البريطاني وارن، وقدم خرائط حول هذا النفق. وفي العام 1968 بدأ كل من ألن فرار وبندوف، وهما عالما آثار إسرائيليان بفتح النفق الذي سمي باسم «وارن»؛ نسبة إلى الكابتن البريطاني وارن الذي قام بحفريات في القدس في نهاية القرن التاسع عشر، وكشفا (50) متراً من النفق، بمحاذاة جدار البراق، الذي يسميه اليهود بـ «المبكى».

لو كان الهدف سياحياً كما تدعي إسرائيل، لما حاولت منذ العام 1972 ولغاية 1982 الدخول إلى منطقة الكأس عبر النفق المؤدي إلى بير قايتباي –السبيل–. ويؤكد هذا العمل أن الهدف كان الوصول إلى قبة الصخرة عن طريق هذا النفق الفرعي الذي يصل إليها؛ لأن عالم الآثار البريطاني فيرجسون الذي رافق وارن في حفرياته ادعى بوجود بقايا مزج يهودي تحت الصخرة. لذلك كانت المحاولة الأولى العبور من باب السلسلة.

إن مرحلة فتح هذا النفق بالاكتشافات الأثرية، حتى الإسلامية منها التي طمست الآن، ووضع في أعلاها حجارة كبيرة تعود إلى العصر اليهودي، حتى أَصبحت هذه القصور وبيوت الحكومة الأموية النمط عبارة عن مخططات ورسومات موضوعة في كتب.

والسؤال هو: كيف يمكن تطوير السياحة من خلال مكتشف أثري، لا صلة له بالجمهور؟ وأيضا، كيف يمكن تطوير السياحة، وبخاصة بائعي التحف الشرقية العرب؟ علماً بأن السائح سيمر عبر النفق الشرقي، والوحيدون الذين سيستفيدون من هؤلاء السياح هم التجار اليهود في سوق «ريكاردو» في حارة اليهود. كما أن السائح القادم إلى القدس عندما يمر عبر النفق وفق المخطط الذي تعرضه إسرائيل؛ يتم إفهامه أن هذا النفق يهودي، وحتى عندما يصل إلى منطقة الصخرة، يتم تزييف التاريخ مرة أخرى ويُقال له: «هنا صخرة الموريا»؟!

إذن السياحة التي يدعيها الإسرائيليون أصبح هدفها «اثبات حقوق ونفي حقوق»!

85 تم الحصول على هذه المقابلة بين الملفات الخاصة بالإعلام ببيت الشرق، بخط اليد، الذي يحتفظ به نبيه عويضة؛ مدير المكتب الصحفي لبيت الشرق، والمكلف بمتابعة قضايا الإعلام مع المرحوم فيصل الحسيني.

ثانياً: ادعى بيليغ أن النفق في واقع الأمر مفتوح للسياح الحجاج منذ سنوات.

هذا الكلام غير صحيح إطلاقًا؛ فالنفق لم يفتح للسياح مطلقاً قبل 24/9/1996، الأمر الذي أدى إلى وقوع الأحداث الدامية الأخيرة. رغم أنه كانت هناك محاولات كثيرة من جانب الإسرائيليين لفتح النفق لكنها لم تنجح.

لقد اقترح عالم الطبيعيات الإسرائيلي كوفمان في شهر تشرين أول 1994 على المسلمين أن يتم تقسيم منطقة الأقصى إلى قسمين:

شمالي: ويكون بيد الإسرائيليين.

جنوبي: يدار من قبل المسلمين.

لكن هذا الاقتراح تم رفضه؛ لأَن هذه المنطقة جميعها إسلامية ولا يجوز لأية جهة المشاركة فيها.

قدم كوفمان اقتراحه هذا بسبب وجود نفق فرعي من المدرسة العمرية يصل إلى منطقة الصخرة؛ ولهذا تركز إسرائيل للوصول إلى الصخرة؛ حتى تكتشف بقايا «المذبح اليهودي» المزعوم الذي تحدث عنه فيرجسون.

ثالثاً: يتحدث بيليغ أن «النفق نفسه الذي يرجع إلى عهود قديمة، يمتد بطول الحائط الغربي، الذي يعد واحداً من أكثر المواقع قداسة في اليهودية»!

يثار هنا تساؤل، وهو: هل يمكن القبول بمقولة أَن هيرودوس بنى هيكلاً؟

هيرودوس الوثني ... هل أَصبح يهودياً إذا جاز لنا البحث في هذا؟

هيرودوس لم يكن يهوديًا، وقصة الهيكل الثاني مزعومة تحتاج إلى أدلة، لم يستطع أي من علماء الآثار الأجانب والإسرائيليين إثباتها حتى الآن، رغم كل الجهود التي بذلوها طيلة عقود من الزمن.

رابعاً: يدعي المسؤول الاسرائيلي أن النفق لا يمر بالمسجد الأقصى ولا يؤثر على أساساته، وادعى بأن فتح النفق لا يضر بأي مواقع أثرية أو دينية!

ورداً على هذه المزاعم، فإننا نود الإشارة إلى أن الجهة الغربية من المسجد الأقصى بنيت في فترة العصرين المملوكي والأيوبي أي من القرن الحادي عشر ولغاية القرن الخامس عشر.

لقد أقيم النفق في القرن الثالث قبل الميلاد، وعندما أقام المسلمون الأبنية المقامة من القرن الحادي عشر ولغاية الخامس عشر، وصلت أساسات هذه الأبنية إلى مستوى النفق. وهذا

الدليل تم اكتشافه عندما حاول الإسرائيليون الدخول من باب السلسلة؛ حيث انهارت الطبقات الأرضية وعُرف أنه هناك توجد حفريات. وقد تم إغلاق هذا النفق بالباطون حرصاً على حماية الأبنية المقامة فوقه. ومن يسير داخل النفق يرى الباطون الذي أغلق النفق.

ولقد ضعفت أساسات هذه المباني التي أقيمت على النفق تدريجياً بفعل الحفريات الأمر الذي سيؤدي إلى انهيارات.

ومعروف أن القدس منذ القرن السابع ولغاية القرن الحادي عشر، تعرضت إلى أكثر من 20 هزة أرضية؛ ودمر الأقصى والعقارات عدة مرات وأعيد بناؤها. لهذا السبب فإن الخطر جراء هذه الحفريات وحفر الأنفاق محدق بالأقصى والصخرة وأيضاً بالعقارات الإسلامية.

إننا نرى أنهم يسعون للوصول إلى منطقة الأقصى والصخرة، عن طريق نفق العمرية، وستسمع قريباً عن فتح نفق آخر يصل ما بين الصخرة والعمرية وهذا يشكل تهديداً للصخرة والأقصى بهدف الكشف عن المذبح المزعوم؛ تمهيداً لإقامة الهيكل الثالث» الذي طبعوا واجهته على قطعة النقد الإسرائيلية فئة (خمسة شواقل)، حتى نرى العمود الذي يحمل شعار الهيكل الثالث وتلك الاضلاع الاثني عشر التي تعني الأسباط الاثني عشر.

فيصل الحسيني: نجل السيدة «وجيهة»؛ امرأة بين عظيمين

لا شك في أن القائد ابن بيئته، فكيف تكون النتائج عندما يتربى على يد «عبد القادر الحسيني» الذي إن بدأنا الحديث عن سماته وخصائصه وشجاعته، فسنطوي مئات الصفحات دون توقف. إلا أننا سوف نفسح في سيرة المرحوم «فيصل» ومسيرته للمرحومة والدته التي أرضعته لبن الثورة على الظلم. وسنورد، فيما يلي، المعلومات والبيانات والبيّنات الخاصة بها كما تحدث بها نجلاها: موسى وغازي[86]:

عبد القادر الحسيني وزوجته وجيهة ونجله موسى وكريمته هيفاء

86 المعلومات التالية حول المرحومة «وجيهة» زوجة عبد القادر الحسيني ووالدة «فيصل الحسيني»، وردت على لسان نجليها: موسى وغازي. أجرى المقابلة السيد «أحمد خليفة» في منزل السيد موسى عبد القادر الحسيني، في عمان الدوار السابع، بتاريخ: 2015/03/18م، بين الساعة العاشرة صباحًا والثانية بعد الظهر.

أولًا: الولادة والنشأة:

ولدت «وجيهة» في مدينة القدس سنة 1908م لأبيها المحامي موسى بيك الحسيني؛ حفيد موسى باشا الحسيني؛ وهو أول تاجر عربي يملك السفن البخارية في البحر المتوسط، وكان عضوا في مجلس المبعوثان العثماني. تعلمت في مدرسة صهيون للراهبات، كما تعلمت اللغة الايطالية والفرنسية إضافة إلى إتقان اللغة الأم «العربية». وكانت تهوى الرسم، وأول رسمها بالنار؛ حيث رسمت لوحة طفلين (ذكر وانثى) وبطتين ووزتين وديك ودجاجة وهي محفوظة لدى نجلها (د. موسى).

وكانت صاحبة شخصية تمتاز بالقوة والكرم والتدين. وهي ربة بيت ممتازة. كما أنها عصامية ومجاهدة، وواثقة من نفسها. ولعل ذلك يعود إلى وفاة والدها وعمرها عشر سنوات، ووفاة شقيقتها (فدوى) عن عمر 9 سنوات بمرض القلب.

ثانيًا: الزواج وتربية النشء:

تزوجت وجيهة من عبد القادر الحسيني، عام 1935م، وشاركت زوجها في مقاومة البريطانيين والصهاينة، وهربت مع زوجها يوم زفافهما، في العام 1934،؟؟ في سيارة زوجها (سيارة العرس) في منطقة القدس والخليل. فأنجبت أولادها الذين ربتهم على القيم الإسلامية، وكانت تعزز لديهم الصدق والأمانة وحسن السلوك وشعارها لأبنائها «اعمل أمامي ما تريد لكن لا تخفِ عني شيئا».

ثالثًا: الدخول إلى عمق العمل الثوري:

بعد خروج زوجها إلى سوريا ولبنان؛ لحقت به إلى لبنان ورافقته إلى بغداد في عام 1939 ،حيث لجأ إليها أكثر من ثلاثين مناضلا من رجالات زوجها، منهم: صبحي ابو غربية وجميل بركات وغيرهم. ويُذكر عنها القصة النادرة التالية:

بعد أن أخذ زوجها ما تملك من أموال وغادر إلى إيران، هو ورجاله، بعد ان

كانوا مطلوبين للبريطانيين. وبينما كانت تسير في سوق الحبوب في بغداد؛ وكانت تردد « الفرج من رب العالمين» من اجل مساعدتها هي وعائلتها، بعد خروج زوجها إلى إيران لتنفق على أولادها (هيفاء، موسى، فيصل وغازي)، سمعت أصوات أشخاص يتساءلون: أين نجد (أم موسى)؟ والمقصود السيدة وجيهة زوجة عبد القادر الحسيني، فأسرعت إليهم وسألتهم: أنتم تبحثون عن أم موسى (وجيهة) زوجة عبد القادر الحسيني؟ فقالوا: نعم، فقالت: أأنتم من طرف الحاج موسى عرفة (وكيل أملاكها في القدس) وقادمون من القدس؟ فقالوا: نعم، فقالت: أنا وجيهة (أم موسى)؛ زوجة عبد القادر الحسيني. فقالوا كيف نتأكد من ذلك؟ فطلبت منهم الذهاب إلى البقالة التي اشترت خادمتها منها المواد الغذائية وما يلزم المنزل، فلم يتعرف عليها صاحب البقالة، حيث قال: أنا اعرف الخادمة التي تشتري الأغراض؛ لأن «وجيهة» غير معروفة في بغداد، ولا لدى جيرانها إلا القليل منهم، واخيرا قرروا إعطاء المبلغ(خمسين جينيها فلسطينيا) لها. وفي ذلك إرادة إلهية؛ «ان الله لا يريد إهانتها».

ثم سافرت زوجة الحاج موسى عرفة (وكيل أملاك الحاجة وجيهة) إلى بغداد، وأقامت عند وجيهة في المنزل، وقامتا على خدمة المناضلين بعد عودة زوجها من إيران والذين كانوا مطاردين من الانجليز، حيث تبرز قوة شخصيتها في الكتمان والسرية لإقامة أكثر من (30) مناضلا في منزلها لعدة أشهر وهم مطاردون من قبل الانجليز.

وعندما طلب عبد القادر الحسيني من وزير الداخلية العراقي أن يسلم نفسه بشرط عدم تسليمه للانجليز؛ قامت وجيهة برعاية زوجها في السجن؛ عن طريق زيارته ملبية كل ما يحتاجه.

وعندما استدعي عبد القادر الحسيني من سجنه للإدلاء بشهادته في المحكمة في العراق، وكان مقيدا؛ كانت الحاجة وجيهة موجودة في المحكمة ، وشاهدت زوجها مقيدا وصرخت في وجه القاضي: هل عبد القادر الحسيني متهم أم شاهد؟ فقال القاضي: هو شاهد، فقالت متى يقيد (يكبل) الشاهد؟ فأمر القاضي بفك قيده. وعند شعورها بالخطر على زوجها، قررت على ان تعمل على تهريبه من السجن، بطريقتها الخاصة والسرية، حيث عملت على الاتصال مع الحراس الذين تعاونوا معها، كما تعاطفت بعض الشخصيات الوطنية العراقية مع أهل فلسطين، ومع عبد القادر الحسيني؛ فقرروا التعاون معها؛ حيث وصلت إلى مفاتيح السجن الذي

يعتقل فيه زوجها.

ولإتمام تهريبه استأجرت سيارة لمدة (24) ساعة تقف أمام بوابة السجن، لكن إدارة الاحتلال البريطاني شعرت أن هناك عملية تهريب لعبد القادر الحسيني، فقررت عام 1942م إبعاد عائلته وبخاصة زوجته وجيهة؛ لخطورتها، ووضع الانجليز حراسا على باب منزلها في بغداد حيث قامت وجيهة بإكرامهم وإطعامهم وأعطتهم كراسي وحرامات؛ فنام الحراس، وذهبت في الصباح مع أولادها إلى السجن بعد خروجها من منزلها عن طريق جيرانها دون علم الحراس، لتوديع زوجها حيث أخبرته بإبعادها إلى فلسطين.

حال وصولها إلى أريحا، أقامت في استضافة السيد مصطفى محي الدين الحسيني، وبعد ذلك رجعت إلى منزل زوجها في القدس حي باب الساهرة، وكان فكرها مشغولا بإخراج زوجها من السجن في العراق، وخلال أيام اتصل بها السيد مصطفى محي الدين الحسيني، يخبرها بان نوري السعيد رئيس وزراء العراق موجود في القدس، وطرح عليها فكرة مقابلته، فوافقت فورا.

وكان السيد مصطفى محي الدين الحسيني أقام للضيف العراقي وليمة في منزله، فقابلته السيدة «وجيهة» وطلبت منه عودتها إلى العراق لمقابلة زوجها، فوافق على ذلك وسلمته جواز سفرها فورا حيث وضع توقيعه على الجواز؛ من اجل عودتها إلى العراق. وبعد اللقاء مع نوري السعيد والموافقة على عودتها إلى العراق اتصلت بملك المملكة العربية السعودية «الملك عبد العزيز آل سعود» والملك فاروق/ ملك مصر حيث وافق كل منهما على استقبال عبد القادر الحسيني في بلده، عند خروجه من سجنه في بغداد.

سافرت «وجيهة» إلى بغداد وهي تصطحب نجليها: هيفاء وموسى، وتركت كلاً من فيصل وغازي في البيت برعاية عمتهما. وعند وصولها بغداد، قابلت نوري السعيد في مقر الوزارة، حيث كانت الحكومة العراقية منعقدة، ودخلت إلى الجلسة قبل أن يوافق نوري السعيد على ذلك، فخاطبته قائلة: لماذا لم تفرج عن عبد القادر الحسيني كما وعدت؟ وبعد مداولة قصيرة قررت الحكومة برئاسة نوري السعيد الإفراج عن عبد القادر الحسيني.

بعد خروج «عبد القادر» من السجن العراقي توجهت العائلة إلى المملكة العربية السعودية، وأقامت هناك لمدة تقارب السنتين. ثم انتقلت الأسرة كاملة إلى مصر واستقرت في القاهرة وكان ذلك عام 1946م. وأثناء وجودها في مصر كان المناضل عبد القادر الحسيني يقوم بجلب الأسلحة من الصحراء الغربية: موقع العلمين» ومن ثم يقوم المناضلون بصيانتها ثم يتم تهريبها إلى فلسطين بالتعاون مع الضباط الأحرار، ومنهم: حسين الشافعي ورشاد مهنا

وغيرهما و بمشاركة الحاجة وجيهة.

ارتبطت الحاجة وجيهة ارتباطا وثيقا مع عبد القادر الحسيني منذ زواجهما، وكان عشقها للأرض والوطن أقوى من أي عشق، مما جعلها مستمرة في مقاومة الاحتلال والأعداء، ووضعت كل أملاكها تحت تصرف زوجها من اجل استمرار الثورة والمقاومة، حيث اشترت له سيارة في القاهرة من أجل خدمة الأمة.

لقد ساهمت وجيهة، وبشكل فعال، في إرسال الأسلحة وساعات التفجير إلى فلسطين وبالتعاون مع الوطنيين المصريين (الضباط الأحرار)، وألزمت نفسها بتربية أولادها على التطوع والتدريب لخدمة الأمة وفلسطين؛ لأنها كانت تؤمن إيمانا مطلقا بان المعركة مع العدو الصهيوني مستمرة . ارتقى زوجها في نيسان من العام 1948، شهيدًا دفاعًا عن وطنه وقضيته؛ فودعته وداع الأبطال للأبطال، واستمرت في رعاية أسرتها وفي التواصل مع أبناء شعبها، وانتقلت من النكبة إلى النكسة.

بعد توقيع معاهدة كامب ديفيد، وبخاصة بعد انتقال الجامعة العربية إلى مقرها الجديد في تونس انتقلت الحاجة وجيهة إلى تونس، حيث مرضت هناك ونقلت إلى مستشفى في تونس، وبسبب مرضها قرر الأطباء عملية قسطرة لها دون استخدام البنج مما أدى إلى ضرر شديد لحق بها، فقرر ابنها (د. موسى) إرسالها إلى لندن، بطائرة خاصة حيث توفيت رحمها الله في عام 1983م ودفنت في القدس.

فيصل الحسيني: «أمير القدس»... وتبقى الذكرى

يقول اسحق البديري: استشهد «فيصل عبد القادر الحسيني» في 31/5/2001م، أثناء زيارته للكويت، وهناك لغز في وفاته المفاجئة تلك، يبدو منه أنه ذهب ضحية مؤامرة؛ لاستبعاده عن قيادة الشعب الفلسطيني في مرحلة لاحقة. ومما يثير التساؤل: لِمَ لم يتم تشكيل لجان تحقيق لا كويتية ولا فلسطينية!!

هكذا؛ قضى الرجل فبكته قدسه بكاءها للرجال والأبطال الذين مروا عليها عبر تاريخها العريق. ولكن ذكراه باقية في نفوس من عملوا معه، ومن تعاملوا معه، ومن عايشوه ومن عاصروه.

أما الاحتلال؛ فقد أفرحه غياب ذلك الرجل القابض على قدسه؛ بغربيها وشرقيها كالقابض على الجمر، والذي لم يكن وزيرًا فلسطينيًا، ولم يفكر في لحظة أن يكون، ولكنه هو صانع تلك الوزارات جميعًا. فما من وزارة في السلطة الوطنية الفلسطينية إلا ولفيصل يد فيها، بشكل أو بآخر؛ فإما أن تكون الوزارة بأكملها قد انبثقت من ملفات بيت الشرق، أو أنها تدار من أولئك الذين تربوا وترعرعوا في بيت الشرق؛ مهنيًا ووظيفيًا وبروتوكوليًا.

ولأن ذكرى هذا الرجل لا تمحى من ذاكرة من سمع به، فما بالك بمن عمل معه. فبالإضافة إلى «كامل الحسيني» و«اسحق البديري» وجدنا بأن السيد نبيه عويضة؛ مدير المكتب الصحفي لبيت الشرق، الذي يذكر فيصل الحسيني «القائد والإنسان»، ويوثق للمرحلة التي أمضاها مع فيصل كما يلي[87]:

- تجسد في شخص فيصل الحسيني صفات المفاوض المتمسك بالحق، الثابت على الموقف، وكان يصل ليله بنهاره من أجل حماية القدس وحماية أهلها؛ إذ كان بحسه المرهف، ووطنيته الجياشة، يعرف ماذا يريد شعبه، فكان يعمل وبإصرار منقطع النظير لتحقيق ما يريدون، متجاوزا كل العقبات التي كانت وفي كثير من الأحيان تعترض طريقه، كان يتجاوزها بابتسامته الدائمة التي لا تفارق محياه، والتي تشيع الأمل في النفوس، وتبعث الثقة بالمستقبل.

- كان يؤمن بأن حب الناس وثقتهم، أغلى غاية يمكن أن يصل إليها الإنسان، فكان محبا للجميع، صريحا وواضحا في أحاديثه إليهم، وهو يؤمن بأن قول الحقيقة وشرح الواقع كما هو، الوسيلة الأنجع للوصول إلى الغايات الكبيرة المنشودة. لذلك فرض احترامه على الأعداء قبل الأصدقاء.

- إن كل من عرف فيصل الحسيني أحبه لتواضعه ومحبته للجميع، لم يغلق باب مكتبه أو منزله أمام أحد، ولا أعرف أنه رفض مد يد المساعدة لأي طالب لها، كان يخفف عنهم آلامهم وأحزانهم ويعيد الأمل إلى نفوسهم، ويؤكد دائما أن المستقبل سيكون أفضل من اليوم ولكن بالعمل الجاد والإخلاص. في أحد الأيام ... كنا مجموعة من الزملاء نتحدث مع « أبو العبد» في الممر المقابل لمكتبه، وإذا به يلمح رجلا متقدما في السن يقف قريبا من الممر، ذهب إليه وببشاشته المعروفة رحب به واصطحبه إلى حيث نقف، تحدث الرجل معرفا بنفسه، وقال له أنه كان يناضل مع الشهيد القائد عبد القادر الحسيني، وحكى بعضا من نضالاتهم، وكيف أنه الآن، وبسبب الظروف القاسية يحتاج

87 تمت مقابلته في 2014/10/21، ثم أرسل رأيه مكتوبًا في 2014/10/22.

إلى مساعدة... لم أسمع من الشهيد فيصل الحسيني أية كلمة سوى أن طلب مني اصطحاب الرجل إلى الدائرة المالية ليتم صرف ما يحتاج.

- كان فيصل الحسيني رجل سلام، بكل ما تحمله الكلمة من معنى؛ يسعى وبكل جهده لتحقيق السلام القائم على الحق والعدل واستعادة الحقوق كاملة غير منقوصة، ومن هنا كان دفاعه عن القدس ليس كمدينة فقط، إنما كتاريخ وحضارة وثقافة ولغة...
- تمتع بقدرة على الإصغاء واحترام آراء المحيطين به. وأذكر أنني دخلت إليه، وأنا أكاد أختنق، وقلت: «أخشى أن الإسرائيليين سيقاسموننا الحرم القدسي كما قاسمونا الحرم الإبراهيمي»، ثم غادرت على الفور. وفي اليوم التالي أبلغني أحد المقربين من المرحوم، بأنه فور سماعه ذلك التحذير غادر إلى غزة مباشرة، دون المرور بمنزله؛ للقاء الرئيس أبو عمار ووضعه في صورة ما سمع، حيث الإجراءات الإسرائيلية تتهدد ليس المسجد الأقصى فقط، وإنما جميع الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية.
- كانت استراتيجيته تقوم على قاعدة: إذا أردت الوصول إلى أهدافك، فتحرك سريعا وبقوة بعد الاعتماد على الله ثم على شعبك».

الخاتمة

هذا هو «فيصل الحسيني» الذي أبحرنا معه في السياسة ودهاليزها الملتوية المتعرجة؛ التي تتغير فيها التحالفات وتتبدل الصداقات، ولكن تبقى المصلحة الوطنية العليا والتمسك بها هي المعيار لوطنية السياسي، مهما تقاذفته الرياح وباعدته المسافات.

إنها قصة «فيصل-السياسي» القادم من طفولة معذبة وتشرد، إلا أنها طفولة مشبعة بالفكر الوطني الصادق وبالانتماء المبدئي والعقائدي للوطن، الذي ينتظر ابنًا بارا يحميه من نائبات الدهر التي أودت به حتى أصبح نهبًا للغزاة القادمين من كل حدب وصوب، ومن كل لون ومن كل جنس؛ يجمعهم مصلحة واحدة، وهي: محو فلسطين الوطن والهوية الطبيعية من أهلها القابضين عليها عبر آلاف السنين، وإنشاء «إسرائيل» القادمة من عمق الادعاءات العقائدية الكاذبة.

وفي حالة «فيصل الحسيني» نجد أننا أمام حالة مركبة من التعقيدات؛ فالصراع الخارجي قائم مع تحالف صلب ومتماسك بين أعتى قوى الأرض، التي ترى في أن إسرائيل وجدت لتبقى كرأس حربة للمشروع الاستعماري الغربي في المنطقة، ولتكبر، حتى التضخم؛ لتصبح

قادرة على ابتلاع أعداء هذا المشروع وحتى خصومه والمناوئين له، مهما كانت ضآلة أثرهم وتأثيرهم.

وإذا علمنا بأن القدس تدخل ضمن تلك التعقيدات التي يختلط فيها السياسي بالعقائدي المدعوم بالقوة المفرطة، والقسوة والشراسة بلا حدود، فإننا حينئذ ندرك ما هي طبيعة، أو لنقل، تركيبة ذلك القائد الذي يمكنه الصمود والتحرك بنجاح بين الألغام التي انغرست في جسد فلسطين بشكل عام، وفي تفاصيل القدس بشكل خاص، عبر نحو قرنين من الزمن.

وقد تبين لنا من خلال هذا البحث، بين ثنايا شخصية «فيصل الحسيني»، أن هناك ملامح تربوية خاصة انطبعت بها شخصيته تعود إلى والديه؛ الثائر-المقاتل «عبد القادر-الأب» الذي ترك في ذات كل فلسطيني ما لم يُنس من نماذج البطولة والفداء، فما بالك فيمن حمل جيناته الوراثية، و«وجيهة»-الأم - التي جعلت من أمومتها حاضنة لتربية أبنائها على الإقدام والشجاعة في مواجهة الظلم الواقع على وطنهم.

لقد أدى ذلك كله بفيصل أن يفتح عينيه على دنيا السياسة والفكر وكل ما يتعلق بالثورة في وجه المحتل، فانطلق في عالم العسكرية، لينهل من علومها ما يؤهله لأن يبث في محيطه خبرات عسكرية. ولم يتوقف عند ذلك؛ بل قرر أن يخوض غمار المواجهة المباشرة مع الاحتلال على أرض الوطن، مسلحًا شعبه بالفكر والمعرفة الكافية لأن تصيغ مواطنًا مدركًا لما يجري حوله من أحداث، فكانت جمعية الدراسات العربية وما انبثق عنها من مؤسسات، أبرزها مركز أبحاث الأراضي، الذي يواصل الليل بالنهار في متابعة وفضح ما يجري على الأرض الفلسطينية من انتهاكات يومية، بل في كل لحظة.

كما تبين لنا مما سبق أن «فيصل الحسيني» لم يألُ جهدًا في تخليص القدس من بين أنياب الاحتلال الذي أطبق عليها من كل جانب، فكانت الأفكار والممارسات الإبداعية الخلاقة في جعل بيت الشرق بيت الضيافة الفلسطيني في القدس، بل أنه المطبخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي كان يدير دفة الصراع على القدس من الجانب الفلسطيني.

ففي المقابلة الصحفية المذكورة أعلاه نجد أن «فيصل الحسيني» كان قد وضع يده على الجرح النازف للعملية السياسية التي بدأت «تحتضر» عندما انكشفت الحقيقة الدامغة للمجتمع الإسرائيلي؛ بأنه مجتمع صهيوني-عقائدي متطرف، غير قادر على استيعاب الآخر، وأنه مجتمع مخادع تضليلي ليس له إلّ ولا ذمة. كما تمكن من خلال هذه المقابلة من التنبؤ بالمستقبل، الذي تغوص في أوحاله العملية السلمية التي يتعامل معها الاحتلال بالمزيد من الاستهتار بالحقوق الفلسطينية؛ من خلال توسيع الاستيطان وقضم الأراضي الفلسطينية

يوما بعد يوم، وجعل البيئة الفلسطينية غير قادرة على توفير الحد الأدنى من متطلبات العيش البشري.

كما يتضح لنا أن ««فيصل الحسيني» كان يتلمس أنفاس القدس، بتاريخها وموروثها الحضاري، التي تئن من وطأة المحتل الذي سعى، بكل السبل، إلى تهويدها وحفر الأكاذيب والضلالات في تفاصيلها كافة. ففي رده على «ديفيد بيليغ» حول عملية تزوير التاريخ التي تجري في القدس، نلمس مدى اليقظة التي كان يتمتع بها «فيصل الحسيني» والفريق العامل معه، والدور الوطني الذي كانوا يقومون بأعبائه، رغم قلة الإمكانات.

ولا يمكننا أن نغادر الحديث عن «فيصل الحسيني» قبل التذكير، بل والتأكيد، على أن المغادرة المبكرة لفيصل الحسيني قد أراحت المحتلين من مقدسي أصابهم في المكان الموجع عندما شرع بالمطالبة بمفاوضات حول القدس بشطريها؛ الغربي والشرقي، لاسترجاع حقوق سكت عنها غيره من المفاوضين، بل اعتبروها ضمن الأمر الواقع الذي قبلوا به، في حين أن «فيصل» لم يقبل بذلك الواقع، وإنما فرض واقعًا آخر في القدس. مما جعل «اسرائيل» تفرح لغيابه، وفي نفس الوقت تخلي مسار الجنازة المتجهة لدفنه في باحات الحرم القدسي (دون أي اعتراض ولأول مرة من العام 1967)، من قواتها؛ لإدراكها بأن الجماهير المشيعة لـ «أمير القدس» كانت ستحرق الأخضر قبل اليابس لو أن أحدًا استفزها.

رحم الله «فيصل الحسيني»؛ المقدسي الذي بنى وأعلا البناء، فصنع تاريخًا لا يمكن محوه من ذاكرة الأجيال، حتى توج أميرًا لعاصمتنا الأسيرة.

صورة فوتوغرافية للمرحوم «محمود
قاسم أبو الزلف»

محمود قاسم أحمد أبو الزلف

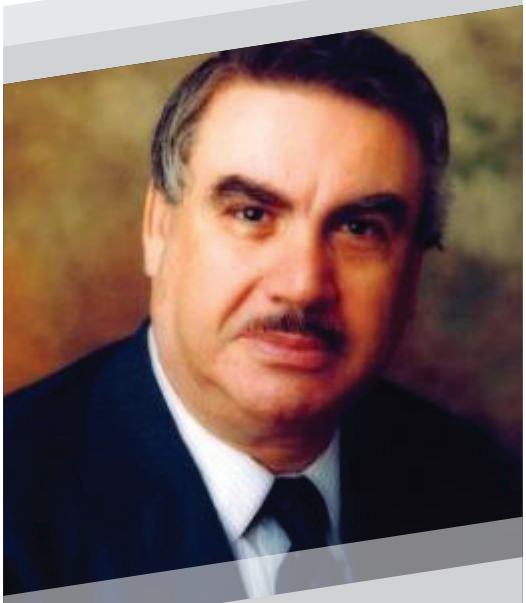

مقدمة

قام جوزيف ناي؛ مساعد وزير الدفاع لشؤون الأمن الدولي في الولايات المتحدة الأمريكية، منذ أوائل تسعينيات القرن العشرين بنحت مصطلح «القوة الناعمة»؛ ويقصد بها «القدرة على الحصول على ما تريد من خلال جذب وإقناع الآخرين على تبني أهدافك»، وقصد من ذلك استحداث قوة مساندة للقوة الصلبة التقليدية، التي تستخدم العصا في إخضاع الشعوب. وكأني بهذا الرجل يهدف إلى استخدام الوسائل الكفيلة بإخضاع إرادة الشعوب على المستويات الثقافية والفكرية. وعند البحث في أنواع القوة الناعمة وأشكالها المختلفة، وجدنا أن الإعلام، الذي تشكل الصحافة أحد أركانه، هو النموذج الأكثر وضوحًا لها.

عندما بدأنا في وضع المعايير الخاصة بمحور القوة الناعمة الفلسطينية، وفق ما هو موصوف أعلاه، عبر: «إعلاميون مقدسيون صنعوا تاريخًا»، وكان لهم الدور في المحافظة على عروبة القدس، في مواجهة التهويد، لم نجد من ينافس المرحوم «محمود أبو الزلف»، باني صرح «صحيفة القدس» التي بدأت نطفة إعلامية، ثم ترعرعت ونمت وكبرت وتعملقت؛ حتى أصبحت الملاذ الرئيس للباحث عن المعلومات الدقيقة والموثقة. وقد اكتسبت هذه المؤسسة الإعلامية تلك الخصائص وتمتعت بها، رغم الألغام التي زرعها الاحتلال في طريقها، منذ اليوم الأول للنكسة في العام 1967.

ونظرًا لأن الرجل لم يكن يهتم «بالبهرجات» الإعلامية، كباقي القادة المقدسيين الوطنيين الذين ركزوا جهدهم في بناء المؤسسة بعيدًا عن الأضواء والإعلام، فقد وجدنا أرشيفه الشخصي خالي الوفاض؛ مما دفعنا إلى استقاء المعلومات والبيانات والبيّنات الخاصة به من خلال المقابلات، وبالبحث والتنقيب بين السطور المكتوبة بحق الرجل بعد وفاته.

من أبرز المقابلات التي قمنا بها، من أجل التعرف على الماضي البعيد والقريب للمرحوم أبو الزلف، مقابلة زوجته وكريمتيه؛ «كارولين» و«جينا»، وقد رشّحهن المحامي المخضرم «فؤاد شحادة» الذي لم يبخل بما لديه من معلومات عن صديقه الحميم. كما قام السيد «هاني العباسي» بتزويدنا بما نُشِر من مقالات وكتابات ونعي... الخ، حول المرحوم «محمود أبو الزلف» بأقلام كتاب ومفكرين وسياسيين وإعلاميين، عاشوا مع المرحوم وعايشوه.

لقد تم الاستناد إلى تلك المصادر لصياغة الفصل الخاص بالمرحوم «محمود أبو الزلف» كواحد من المقدسيين (الذين صنعوا تاريخًا)، الذين تضمنهم هذا الكتاب.

محمود قاسم أحمد أبو الزلف (١٩٢٤-٢٠٠٥)

إعلامي مقدسي.. أنشأ صحيفة القدس، وواكب تطورها وتقدمها، حتى أضحت مؤسسة إعلامية مقدسية، تعكس عن فلسطين صورة مشرقة للعالم.. حاول الاحتلال الانقضاض عليها فلم يفت ذلك في عضدها، ولا تزال الرقابة الاحتلالية تتابع كل حرف يصدر عنها، إلا أنها أرست دعائم الوجود والهوية للمقدسيين، وأصبحت «قوة ناعمة» للفلسطينيين في القدس؛ يحسب حسابها في كل ما يتعلق بالحقوق الوطنية في القدس، والمعرفة والإعلام والثقافة.. «محمود أبو الزلف» هو رجل موقف؛ كان يكتب رأيه ويعلنه للملأ، عبر صحيفته هذه.. كما أنه كان صاحب مبادرات إنسانية تجاه الفقراء والمعوزين، منها ما انتهى بالإسهام في جعلهم: إعلاميين متميزين..

سيرة حياته[88]: المولد-النشأة-التعليم-الوظائف:

- ولد «محمود قاسم أحمد أبو الزلف» في مدينة يافا شارع تل أبيب – يافا – فلسطين، بتاريخ: 1924/4/5. كانت أسرته من كبار مالكي السفن؛ إذ يروى أنه في كل ميناء على البحر المتوسط كان لوالده سفينة باسمه.
- والدته : «بهية بركات»؛ وهي ابنة سليمان بركات الذي كان مالك أراض بيافا. وكان ترتيبه الخامس بين سبعة أبناء لقاسم وبهية، هم: بدر، دجى، رضا، محمد، محمود، مصطفى، ومريم. وكان «محمود» متميزًا في تعامل والديه معه؛ إذ كان يميل، منذ طفولته، إلى العزلة مع نفسه، ولا يحب الجلوس في المطعم أو الكافتيريا، ولكنه يحب السباحة والمشي على شاطئ يافا.
- أول مدرسة له هي «المعارف»، وتقع في شارع النزهة بيافا.
- كان يحب الدراسة والعلم، ويحب القراءة. ويمضي جل وقته وهو يقرأ جالسًا في بلكون بيته؛ الكائن في الطابق الرابع. ومن الطريف أنه كان يشتري ما يحتاج إليه،وبخاصة

88 تم استقاء هذه المعلومات من خلال الوثيقة المرسلة من السيدة «كارولين محمود أبو الزلف»، بتاريخ: 2015/06/02م.

«المكسرات والتفاح» بأن يُنزل للبائع سلة يضع فيها النقود؛ لشراء ما يلزمه.

- أنهى دراسته الابتدائية في 1937؛ فاحتفل به والده بذبح الذبائح، مع احتفال الكشافة له من المدرسة حتى البيت.
- قرر الوالد ان يكمل «محمود» دراسته؛ فأرسله إلى بيروت–لبنان، وذهب معه وسجله في مدرسة
- داخلية، ونسجت أمه على ملابسه اسمه ورقم (50). وبقي في بيروت حتى العام 1939، ثم ذهب إلى جامعة في القاهرة في مصر، فترة قصيرة، ثم عاد إلى لبنان.
- في العام 1944 انتقلت أسرته من يافا وذهبت إلى ليماسول– قبرص (Limasol–Cyprus)؛ حيث كان والده يمتلك الكثير من الأراضي هناك.
- وهنا، يفيد المحامي «فؤاد شحادة»[89]؛ الصديق الحميم لـ «محمود أبو الزلف»، حيث كانت علاقتهما شخصية وعائلية وليست فكرية ولا عقدية ولا حزبية، بأنهما تعارفا سنة 1942، في الجامعة الأمريكية ببيروت (AUB)، وهو بعمر (18) سنة و«فؤاد» بعمر (71) سنة. ومن الطريف أن «فؤاد» كان قصيرًا و«محمود» طويلًا، وأن «فؤاد» كان بحاجة إلى أسبوع فقط ليكمل السابعة عشرة من العمر ويدخل الجامعة. تدخل والده فسمح له الإنجليز أن يتقدم للامتحان في الجامعة سنة 1942. فتصادقا منذ تلك اللحظة، ثم يدلي بالمعلومات التالية حول المرحوم «محمود أبو الزلف»:

محمود أبو الزلف بجانب سيارة من نوع فورد أثناء زيارته لشركة فورد

89 هو المحامي الفلسطيني الشهير (مولود في تموز/1925)، الذي أوصت به السيدة «أم مروان» زوجة «محمود أبو الزلف» كصديق مقرب من زوجها، وقد تمت مقابلته في مكتبه بشارع ركب برام الله، بتاريخ: 2015/06/10م، الساعة الواحدة ظهرًا.

- في السنة الثانية (عام 1943) لم يحضر «محمود» فافتقدته، وعندما سألت ناصر الدين النشاشيبي وشقيقه أبلغاني أن محمود اشتغل في جريدة الدفاع؛ لأنه يريد أن يتعلم صحافة، وأن الـ(AUB) لم يكن فيها صحافة.

- في العام 1955، وهو بعمر (31) عامًا، التقى «محمود» برفيقة عمره؛ وهي «أديل طراوط جيزلا الين ليجاو» ألمانية الجنسية، وهي بعمر 16 عاما، وتزوجا في 1956/2/1, وسكنا في البيت الذي بنته أمه «بهية بركات» في الشيخ جراح. أنجبا: «مروان» في العام 1957، و«وليد» في العام 1958، و«جينا» في العام 1960، و«زياد» في العام 1964 و«كارولين» في العام 1971. كان كل يوم يتصل بي... وكان قد وصل إلى قناعة بأن الضفة الغربية بحاجة إلى جريدة فصدرت القدس...
- بعدها استمرت علاقتنا العائلية القائمة على الصداقة والتشاور في كل شأن، والرحلات المشتركة.
- سياسيًا؛ كان محمود أبو الزلف يكتب الافتتاحية ثم يوسف النجار، وأحياناً أنور الخطيب في المناسبات؛ بمعدل واحد كل شهر مرة أو مرتين، وأحياناً فؤاد شحادة. ويعزز فؤاد شحادة ذلك بما كتبه عند تأبينه لصديق عمره «محمود أبو الزلف»، الذي كان يعمل في صحيفة (الدفاع) يرأس تحريرها نفر من كبار الصحافيين والكتاب، منهم: يوسف حنا، وخير الدين الزركلي، وسامي السراج، وقد أثرى «أبو الزلف» من خبراتهم وغدا يقارع معهم الاستعمار البريطاني، وفكرة الهجمة الصهيونية التي انتهت بنكبة فلسطين التاريخية[90].
- أنا أصبت بحادث في رأسي في العام 1978، وكنت قد كتبت افتتاحية ذكرى يوم الأرض.؟؟

التطور الوظيفي والمهني:

درس «محمود أبو الزلف» العلوم السياسية، وعاد الى فلسطين قبل النكبة بستة أشهر، حيث التحق بالعمل في جريدة الدفاع، التي كان يمتلكها «إبراهيم الشنطي» وهو على صلة

90 انظر: تأبين «فؤاد بولص شحادة» للمرحوم محمود أبو الزلف، بعنوان: شيخ الصافة محمود أبو الزلف في ذمة الله.

قرابة بوالدة «محمود». وبعد زواجه، أنهى «محمود أبو الزلف» تعليمه في جامعة كولومبيا في أمريكا.

رجع «محمود» في العام (1951) إلى فلسطين من القاهرة؛ حيث أعيدت مكاتب صحيفة الدفاع إلى القدس؛ بعد أن رُحِّلت إلى القاهرة إثر النكبة. عمل في صحيفة الدفاع، هو وصديقاه: سليم الشريف ومحمود يعيش. وفي نفس العام (1951) عادت عائلته من قبرص إلى القدس، واشترت بيتًا بجانب متحف روكفلر.

في نفس السنة (1951)- أيضًا - طالب محمود وسليم ويعيش برفع رواتبهم إلى دينارين؛ فرفضت صحيفة الدفاع هذا الطلب، وعرضت زيادة رواتبهم بمبلغ نصف دينار فقط.

قرر الأصدقاء الثلاثة؛ محمود ابو الزلف وسليم الشريف ومحمود يعيش ترك صحيفة الدفاع، والبحث عن عمل خاص بهم، حيث أنهم لم يكونوا يمتلكون أي نقود. إلا أنهم أسسوا جريدة الجهاد في العام (1951).

خلال سنوات قليلة أصبحت «الجهاد» أفضل صحيفة في البلاد. علمًا بأن «محمود» بقي على علاقة جيدة مع صحيفة الدفاع، كما كان على علاقة جيدة مع صحيفة فلسطين؛ وهي أقدم صحيفة في فلسطين، أسست 1911، ويمتلكها ابو بندلي. واستمرت صحيفة الجهاد بالصدور حتى شهر آذار (3)/ 1967[91].

وفي هذا الجانب يفيد «فؤاد شحادة، بما يلي:

- في صيف 1943 عدت من بيروت إلى القدس، حيث كانت المواصلات مباشرة بين البلدين بالتاكسي أو بالباص[92]، فقررت أن أذهب إلى يافا حيث خالي وشقيقي (المحامي). فاتصلت بجريدة الدفاع، وذهبت إلى «محمود» لأجده محرراً للشؤون الخارجية. ثم صرنا نجتمع كل فترة.
- سنة 1948 هاجر محمود إلى مصر؛ لأن أصحاب الجريدة (إبراهيم الشنطي) قرروا إغلاقها من أجل إعادة إصدارها من القاهرة. أصبحت تصدر جريدة الدفاع من القاهرة ومحمود محرر فيها. وفي أوائل الخمسينيات نقلت من القاهرة، فاتصل بي

91 ورد في حديث القدس، بعنوان: وداعًا ابا مروان عميد الصحافة الفلسطينية الذي ترجل: «وفي البدء كانت صحيفة «الجهاد» المقدسية، أم صحيفة القدس التي ترأس فقيدنا الراحل تحريرها منذ صدورها عام 1951، وحتى صدور «القدس» عام 1967.

92 يروي «فؤاد شحادة» بأنه كان كلما يخطر بباله يعود من بيروت إلى القدس خلال حوالي (4) ساعات، ما عدا التعطيل في الناطورة وهي نقطة حدودية.

محمود أبو الزلف هاتفياً وأبلغني أنه في القدس، وأن الجريدة ستصدر بعد أسبوع وكان مكتبه في باب الساهرة. فالتقينا يومها واستعدنا العلاقات اليومية.

- عندما اختلف محمود وزميلاه مع صاحب الجريدة بخصوص الرواتب كنت أنا وشقيقي واسطة بينهم. وعندما لم يتفقوا قرر «محمود وزميلاه « أن يفتحوا جريدة، فأصدروا صحيفة الجهاد... فتطورت الجهاد وأصبحت ذات شأن، حتى العام 1967؛ حيث صدر قانون للمطبوعات تم بموجبه جمع عدد من الصحف في صحيفة واحدة.

كان «محمود أبو الزلف» يعشق الصحافة. وهناك طرفة تؤكد ذلك، وهي أنه كان قد تم ابتعاثه من قبل صحيفة «الدفاع»، وهو في بدايات عهده بالصحافة، ليمثلها على متن سفينة؛ بناء على دعوة لمؤتمر صحفي، ضمت بعض الصحفيين. فبدأ، منذ اللحظة الأولى للمؤتمر، بالكتابة. وعندما حان وقت الغداء تمت دعوة الصحفيين إلى غرفة الغداء، فنزل الجميع ما عداه ؛ إذ بقي يكمل كتابته. وهناك مما كتبه لم يفهمه أحد من موظفي الجريدة فاكتشفوا، فيما بعد، انه كان يكتب أسماء العاملين على متن السفينة.

صحيفة القدس: من مرسوم ملكي... إلى مؤسسة إعلامية

صدر مرسوم ملكي بتوحيد الصحف العاملة في المملكة في صحيفتين: تصدر إحداهما في القدس باسم القدس؛ وتصدر الأخرى في عمان. فصدر العدد الأول من «صحيفة القدس» في 21/03/1967م.

ويروي «فؤاد شحادة» بأن «محمود أبو الزلف» قد فسخ العلاقة مع محمود يعيش وسليم الشريف، وأسس جريدة القدس. وعندما احتلت القدس في العام 1967 توجه «سليم الشريف» إلى عمان فأسس جريدة الرأي، وأما «محمود يعيش» فقام في العام 1971 بتأسيس جريدة

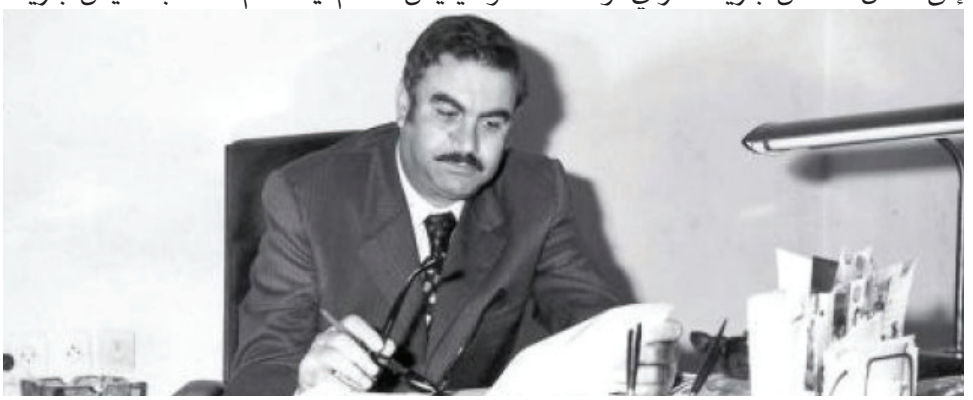

يقول «فؤاد شحادة»: إن افتتاحية صحيفة القدس لم تكن مقصورة على «محمود أبو الزلف»، وإنما كان هناك آخرون يكتبونها، منهم: يوسف النجار، وأنور الخطيب بالمناسبات وأحياناً فؤاد شحادة نفسه، الذي كتب افتتاحية الجريدة في ذكرى يوم الأرض.

كما أن هناك ما يشير إلى أن «محمد أبو شلباية» كان ممن يكتبون افتتاحية الجريدة. ومن الطريف، ما قاله «محمد أبو شلباية» ذات مرة، بأنه توجه إلى المرحوم «أبو الزلف» فسلمه افتتاحية الصحيفة، فلم تنل إعجابه، فسلمه أخرى فرفضها، فسلمه الثالثة فوافق عليها وأرسلت للتحرير والنشر[93].

يتضح من ذلك أن «محمود أبو الزلف» قد جعل من صحيفته (القدس) منبرًا يتبارى فيه الكتاب والمفكرون، من مختلف المشارب الفكرية لكي يدلي الواحد منهم بدلوه عبر صحيفة القدس؛ كمنبر إعلامي حر، يعبر عن توجهات الشعب الفلسطيني واحتياجاته.

أما على المستوى الفكري لـ «محمود أبو الزلف»، فقد تمكن الباحثان من الوصول إلى افتتاحيتين لصحيفة القدس تحملان توقيعه: كانت الأولى هي افتتاحية العدد الأول لصحيفة القدس في 21/03/1967م، بعد أن تقرر الإعلان عنها كصحيفة بديلة للصحف المقدسية في العام 1967. وكانت الثانية بتاريخ 19/11/1967؛ وهو العدد الأول بعد أن تقرر إعادة إصدارها بعد النكسة في العام نفسه (1967).

إن القراءة المتمعنة لما كتبه «محمود أبو الزلف» في هاتين الافتتاحيتين تشير إلى الفلسفة والرؤيا التي كان يتمتع بها الرجل، والتي على أساسها قامت الصحيفة، وانطلقت كصحيفة فلسطينية مقدسية، ويتجلى ذلك فيما يلي:

1. هناك حالة انسجام عالية بين «أبو الزلف» ومهنته التي تابعها منذ نعومة أظفاره، إذ يقول: «نحن نحب الصحف التي بنيناها وعملنا فيها وعشنا معها سنوات طويلة، حلوة ومرة، ولذلك يحزننا فراقها». إلا أنه يبدي استعداده للتضحية من أجل الاستجابة لجهد الدولة الأردنية في تصويب كيان الصحافة الأردنية. ثم يؤكد على أن «صحيفة

93 العصا، عزيز (2014). محمد أبو شلباية: فارسٌ ترجَّلَ.. فبقي صَهيلُ مؤلفاته. مقال نُشِرَ في القدس المقدسية، بتاريخ: 4 نيسان، 2014م، ص20.

القدس» هي نتاج اندماج صحيفتي الجهاد والدفاع، بقوله: فتنادينا «جهادًا» و«دفاعًا» للاندماج في مؤسسة صحفية جديدة قوية تنصب فيها الطاقات لتخرج وليدًا جديدًا يغدو عملاقًا بعد قليل –بإذن الله– هو... «صحيفة القدس».

2. ويعرف صحيفته «القدس» بأنها وليدة إيمان بالرسالة الصحفية، وأنها صحيفة رأي وكلمة، وتحترم عقل المواطن؛ عندما تسلك سبيل الرصانة والمنطق والجرأة في الحق.

3. حدد ما تؤمن به هذه المؤسسة الإعلامية من ثوابت، تسعى إلى تعزيزها وحمايتها والتثقيف باتجاهها، مثل:

محمود أبو الزلف في مكتبه بجريدة القدس في سبعينيات القرن الماضي

محمود أبو الزلف بجانب المطبعة الحديثة لصحيفة القدس

- الإيمان بالعروبة الخالصة النقية البعيدة عن الغوغائية والعاطفة الهوجاء، وأن سبيل خدمة العروبة هو «العمل البناء، لا الضجيج ولا الشعارات الفارغة من المضمون».
- الإيمان بالحق العربي في فلسطين، والنضال الموصول لتحرير الوطن السليب .
- إن «صحيفة القدس» سوف تدافع، بما أوتيت من قوة عن النهج الديمقراطي والحرية والتطور؛ بعيدا عن «هزات العنف والحقد والحزبية الضيقة الدامية».
- الإيمان بأن التحام ضفتي الأردن هو نموذج تجربة عربية وحدوية، يجب صيانتها وتعزيزها.
- الإيمان بـ «تراث العرب الحضاري والروحي والثقافي، كما تؤمن بالنهضة والتقدم».
- وعد «محمود أبو الزلف» قراء جريدته «القدس» ببذل كل جهد وكل طاقة؛ لخدمة الغايات والأهداف والاستراتيجيات الموصوفة أعلاه؛ قاطعًا الوعد والعهد بأن تكون صحيفته «جريدة الرأي والخبر الصادق».

محمود أبو الزلف –الثاني من اليسار– وأصدقائه

- بعد الاحتلال، أطل «محمود أبو الزلف» مرة أخرى، في 1967/11/19م؛ وهو يعلن عن عودة جريدته المتوقفة منذ 1967/06/05م، والتي أكد فيها على مجموعة من الثوابت، التي هي بمثابة إعلان مواجهة مباشرة مع الواقع الجديد، ومما ورد فيها:

- «صحيفة القدس» قومية عربية، رائدها الذي تتوخاه وتسعى إلى تحقيقه هو توعية الجماهير العربية، ودفعها إلى الإيمان العميق بحقها في حياة حرة كريمة، وتطهير عقولها وضمائرها من الغوغائية والخنوع السياسي اللذين كابدت منهما الشيء الكثير، وكان من نتائجه ما نعاني منه اليوم من فوضى عسكرية وسياسية في مختلف أقطارنا العربية، واحتلال جاثم على أراضينا.

- «صحيفة القدس» لا تقبل بالاحتلال الاسرائيلي، وتطالب بزواله عن جميع الأراضي التي احتلها مؤخرًا.

- «صحيفة القدس» تفتح صدرها للدفاع عن حقوق المواطنين؛ عملًا بمبادئ وأحكام القانون الدولي الذي يكفل للشعب المحتل حياة كريمة، حتى يتم التوصل إلى تسوية عادلة للقضية الفلسطينية.

- تأخذ «صحيفة القدس» على نفسها العهد الأمين الصادق أن تكون، على الدوام، منبرًا حرًا للأقلام النزيهة من أبناء أمتنا التي سئمت الدجل السياسي الرخيص الذي جرنا من هزيمة مخزية إلى هزيمة أشد خزيًا وعارًا.

- إن «صحيفة القدس» تؤمن بأن النضال بالكلمة الصادقة الحرة كالنضال بالسيف، بل أشد أثرًا في كثير من الحالات.

يتضح مما سبق أننا أمام مؤسِّس يدرك ما يريد، وقد حدد أهدافه على المستويات كافة. وفي ذلك تقول كريمته «كارولين»[94]: لقد كان يتمتع بالبساطة والبعد عن البهرجة والتعقيد،

94 ورد ذلك أثناء مقابلة أجريت معها بتاريخ 2015/05/25، في مكاتب صحيفة القدس بقلنديا.

حتى أنه كان يميل إلى التراثيات؛ إلا أنه كان يدرك ما يريد، ويحدد أهدافه بدقة.

وكان على رأس أهدافه تلك أن يجعل من صحيفة «القدس» المنبر المؤهل للدفاع عن الحقوق الوطنية والقومية، وحق الإنسان الفلسطيني بشكل خاص، والعربي بشكل عام، في العيش بحرية على أرضه. كما أن «محمود أبو الزلف» قد فتح أبواب الجريدة على مصاريعها لاستقبال آراء الكتاب والمفكرين والمحللين على المستويات كافة، لا سيما العرب منهم الذين يعانون من القمع الفكري والاضطهاد الذي يفرضه النظام العربي الرسمي الذي انتقل بشعبه من هزيمة مرة إلى هزيمة أكثر مرارة .

وأما بخصوص العلاقة مع الاحتلال، فإن «محمود أبو الزلف» قد أعلن منذ العدد الأول رفضه التعايش التطبيعي معه، ورفضه القبول بهذا الاحتلال، والمطالبة بمغادرته الفورية للأراضي التي احتلها إثر عدوانه.

كما لفت «محمود أبو الزلف» النظر إلى أن هناك سلاحًا هامًا لا بد من توظيفه في المعركة مع الاحتلال، وهو ما أطلق عليه «النضال بالكلمة»، وهو بذلك يشير إلى الأثر الذي تتركه الكلمة الصادقة في نفس القارئ، وما يمكن أن تفعله من فعل في الجمهور؛ بأن توجههم وتحفزهم على مواجهة الاحتلال، والتصدي لعوامل الانهزامية والتراجع التي تجتاح الوطن العربي من المحيط إلى الخليج، مرورًا بفلسطين التي هي جوهر الصراع في المنطقة.

من جانب آخر؛ نجد أن «محمود أبو الزلف» قد قرأ مدى حاجة الشعب إلى استعادة الثقة بالخبر، من كثرة ما داهمه من أكاذيب وترويجات وإشاعات ثبت كذبها؛ عندما خرجت وسائل الإعلام على شعوبها، وهي تمارس الغوغائية لتحقيق انتصارات وهمية انتهت بالصدمة القاسية والمؤلمة التي تركتها في نفس كل عربي حر، عندما انتهت الأمور الى هزيمة نكراء منيت بها الأمة ؛ فغرقت في أوحالها حتى غرتها.

نتيجة لذلك؛ وفي محاولة منه لاستعادة الأمل في نفوس متابعي وسائل الإعلام، نجد أن «محمود أبو الزلف» قد أعلنها على الملأ بأن صحيفته «القدس» سوف تنتهج منهج نشر الخبر الصادق، حتى أنه وصفها بأنها صحيفة «الخبر الصادق».

وأما على مستوى الصراع التاريخي مع الاحتلال الذي يسعى إلى تهويد الأرض والتاريخ، فقد حسم «محمود أبو الزلف» الأمر بأن فلسطين عربية، وأن شعبها عربي ، وأنه لا يمكن التشكيك في ذلك أو المساومة عليه.

«محمود أبو الزلف»: سماته وخصائصه التي تم توظيفها لإنجاح صحيفة القدس:

لا شك في أن الشخصيات العامة والجماهيرية تترك أثرًا في نفوس من عايشها وعاش معها، وحتى الذين يختلفون مع الشخص في مرحلة ما، تجدهم لا يختلفون حوله بعد وفاته ومغادرته إلى دار القرار. مما يعني أنه لا بد من التوقف عند السمات والخصائص التي يتمتع بها الشخص المستهدف، بما يوفر للأجيال اللاحقة نماذج في الفكر وحسن الإدارة والإبداع.

وأما بخصوص «محمود أبو الزلف» فإنه كان يتمتع بمجموعة من السمات التي لا بد من تسليط الضوء عليها، لما لها من أثر في تطور وتطوير «صحيفة القدس» التي من خلالها صنع «أبو الزلف» تاريخًا وضّاءً في مجال الإعلام المقدسي. ومن تلك السمات:

1. كان يحب البحر والتعامل معه. ولعل في ذلك ما أضفى على شخصيته صفة الهدوء والابتعاد عن التوتر. كما كان من عشاق السفر، لشراء ملابس تناسب حجمه، وكان يميل إلى الراحة والجولات الهادئة. وقد عرف عنه أنه لم يكن يتذمر، لا في البيت ولا في العمل؛ بل أنه يفرغ انفعالاته بسرعة[95].
2. كان يمتلك عينًا فاحصة تشكل ميزانًا لتقييم من يقابله من الرجال، وكان لكل منهم طريقة للحديث معه. وفي نفس الوقت يلاحظ أن من كتب عنه بعد وفاته، قد كتب عن انعكاس «محمود أبو الزلف» في ذاته[96]. وفي ذلك الشأن يقول «إبراهيم عفانة»[97]: «إنه الرجل العلمي، صاحب الفراسة الذكية النافذة، الذي كان يعجم عيدان الرجال فيختار فلا يخونه حدسه، ولا تخيب فراسته».

- وفي المقدمة من تلك الخصائص والسمات ما يتعلق بارتباط «محمود أبو الزلف» بصحيفة القدس، التي كان يتوجه الى العمل بها حوالي الساعة الرابعة من عصر كل يوم، ولا يعود إلا في ساعة متأخرة من فجر اليوم التالي[98]. وفي ذلك تحدث

95 ورد ذلك أثناء مقابلة أجريت مع زوجته وكريمته «كارولين» بتاريخ 2015/05/25، في مكاتب صحيفة القدس في قلنديا.

96 نفس المرجع.

97 انظر: تأبين «إبراهيم عفانة» للمرحوم محمود أبو الزلف، بعنوان: رجال عرفتهم.

98 ورد ذلك أثناء مقابلة أجريت مع زوجته وكريمته «كارولين» بتاريخ 2015/05/25، في مكاتب صحيفة القدس في قلنديا.

السيد هاني العباسي عما سمعه ورآه من «محمود أبو الزلف»، إثر تعامله المباشر معه[99]: «كان يتابع الخبر بنفسه، ويلتقطه بعين صقر، من خلال متابعته الحثيثة لوسائل الإعلام المتوفرة في حينه. وهو، في الوقت نفسه، يؤمن بالمشورة، ويتمسك بها في معظم شئون حياته. وكان يردد القول: «إن كل عدد يصدر بمثابة ولد جديد يولد لي».

وقد أبّنه وليد أبو سرحان؛ -محرر في صحيفة القدس- بعنوان[100]: ترجل قارئ ما بين السطور، ومما قاله: «... كان يحافظ على المصداقية ويتجنب التهويل والتجريح، بكل الوسائل، محافظًا على حيادية ومصداقية الصحيفة وما تمثله من نهج إعلامي، مدافعًا عن الشعب الفلسطيني وحقوقه وهمومه؛ بعيدًا عن التهريج والتشهير.

كما أبنه «أحمد قريع» واصفًا إياه بالقول[101]: «قبض على جمر الكلمة، وسار في دروبها المثقلة بالأغلال والممنوعات والتقولات، في زمن كانت فيه الكلمة المطبوعة ترقى إلى مرتبة الأسلحة النارية المحرمة».

وأما صديق عمره ورفيق دربه ومسيرته «فؤاد بولص شحادة»، فيصفه بالقول[102]: «لقد أفنى عصارة دمه، وأرهق بصره وعصبه ونسي نفسه يوم انصهر بشعبه، وقضى عمره باحثًا ودارسًا من أجل رفع شأن أمته ووطنه... كما كان المرحوم بحق «شيخ الصحافة» عاش وترعرع في ظل ظروف سياسية شائكة...

- في العام 1999 طرحت عليه فكرة تقديم منحة تغطي الرسوم الجامعية للطالب/ة صاحب الترتيب الأول في كل سنة جامعية، باسم «منحة محمود أبو الزلف»، فوافق على

---

99 ورد ذلك أثناء مقابلة أجريت مع السيد هاني العباسي؛ المدير المالي والإداري في صحيفة القدس، بتاريخ 2015/05/25، في مكتبه الكائن في مقر «صحيفة القدس» في قلنديا.

100 انظر: تأبين «وليد أبو سرحان» للمرحوم محمود أبو الزلف، بعنوان: ترجل قارئ ما بين السطور.

101 انظر: تأبين «أحمد قريع (أبو علاء)» للمرحوم محمود أبو الزلف، بعنوان: في وداع «محمود أبو الزلف.»

102 انظر: تأبين «فؤاد بولص شحادة» للمرحوم محمود أبو الزلف، بعنوان: شيخ الصحافة «محمود أبو الزلف» في ذمة الله.

الفكرة، إلا أنه رفض التسمية؛ حيث أصر أن تسمى «منحة جريدة القدس».

محمود أبو الزلف على يسار الصورة وبجانبه د. عيسى سلطي والمحامي فؤاد شحادة

وقد تعزز ذلك من خلال ذلك الشكر والتقدير الموجه من قبل مجموعة من طلبة الصحافة والإعلام في الجامعة الإسلامية بغزة، في العام 2002، إلى إدارة جريدة القدس؛ على منحتها السنوية: «منحة الأستاذ محمود أبو الزلف للصحافة»[103].

- لم يكن رياضيًا، إلا أنه كان يصرف وقتًا كبيرًا في مراقبة المباريات الرياضية، من أجل متابعة الصفحة الرياضية التي تميزت بها جريدة القدس على المستوى العالمي. ومن أجل تشجيع الفرق العربية عندما تدخل في منافسات دولية، كذلك تشجيع الفرق الألمانية التي كانت تحظى لديه بالاحترام .

1. ويظهر من خلال التأبينات التي كتبها من تعامل مع المرحوم مباشرة، بخاصة من الموظفين، أنه لم يكن من أولئك المتكبرين الباحثين عن العقد الإدارية، بأشكالها المختلفة؛ وإنما كان يكتفي بالحد الأدنى من الكفاءة عند التعيين، لاعتقاده بأن جريدته تتمتع بخصائص الحاضنة الدافئة القادرة على توفير عوامل التطوير والتقدم المهني للموظف. وسنورد فيما يلي بعضًا مما قاله بعض موظفي «صحيفة القدس»، ممن عينهم المرحوم محمود أبو الزلف شخصيا:

- يقول «إبراهيم عفانة»[104]: «قابلته في ظرف كنت أحوج ما يكون فيه إنسان إلى العمل، ولم أتكلم معه إلا حول ما أحمل من شهادات وخبرة، فأشار إليّ بمراجعة مدير الصحيفة آنذاك، وإبلاغه تسليمي العمل فورا في الصفحة الأدبية».

- يقول «عزام الهشلمون»[105]: أصبحت وكيل جريدة القدس المعتمد بكلمة من «أبو مروان»، وفي العام 1991 طلبني وأبلغني بقراره بأنني أصبحت موظفًا في الجريدة».

2. كما أن هناك سمات وخصائص تتعلق بالكاريزما القيادية، والقدرة على رؤية ما لا يراه الآخرون، مما جعله يوجه دفة «جريدة القدس» للتحرك بين ألغام السياسة والتغيرات

---

103 انظر: صوت الجامعة: جريدة جامعية أسبوعية تصدر شهريًا (مؤقتًا) عن قسم الصحافة والإعلام في الجامعة الإسلامية بغزة. العدد -46- السنة السابعة، بتاريخ: 2002/06/25م. والطلبة المتقدمون بالشكر هم: تامر المسحال، وهديل عطا الله ونادرة شبير.

104 انظر: تأبين «إبراهيم عفانة» للمرحوم محمود أبو الزلف، بعنوان: رجال عرفتهم.

105 انظر: تأبين «عزام الهشلمون» للمرحوم محمود أبو الزلف، بعنوان: كلمة وفاء لشيخ الصحافة العربية وعميدها الاستاذ محمود أبو الزلف.

والتطورات التي مرت بها القضية الفلسطينية، دون أن يكون متوترًا ولا انفعاليًا في اتخاذ قراراته. وفي ذلك يقول الصحفي المخضرم «جاك خزمو»؛ صاحب مجلة البيادر المقدسية[106]: «كان محمود أبو الزلف شخصية فريدة؛ يعرف البلد، وهو أذكى صحفي استطاع أن يعيش وسط التغيرات والتقلبات التي اجتاحت الوطن العربي...»

«صحيفة القدس»: اعتراف بدورها التوعوي بصفتها (قوة ناعمة) في مواجهة الاحتلال

بخصوص الدور السياسي لصحيفة القدس في القضية الفلسطينية، فقد انكشف من خلال التأبينات التي قام بها قادة من الصف الأول الفلسطيني، نذكر منها:

1. يؤكد الطيب عبد الرحيم؛ أمين عام الرئاسة، أنه في العام 1989 ترك المرحوم أبو عمار قصر الضيافة في بلغراد، طالبًا التوجه إلى منزل السفير الفلسطيني هناك (وهو الطيب عبد الرحيم نفسه)، قائلًا: «سأقابل شخصية هامة ومنفردًا»، وتبين عند وداع تلك الشخصية أنه «محمود أبو الزلف»[107].

2. يصف أحمد قريع؛ عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، الدور الإعلامي لـ «محمود أبو الزلف»، بالقول[108]: كان «أبومروان» مع ثلة من أبناء شعبه في بيت المقدس، بمثابة كتيبة إعلامية مقاتلة، ترابط في المقدمة وتذود عن عروبة القدس، وتقاوم مخططات تغييبها. وكانت «صحيفة القدس» ذات خصائص يلخصها السيد قريع، فيما يلي:

- بالنسبة (للفلسطينيين) المبعدين والمهجرين في المنافي وديار الغربة، صلة الوصل بالوطن وبالشعب في زمن ما قبل الانترنت، يقرؤون ما تيسر من أعدادها، بكل شغف وترقب، ويسمعون من كتاب أعمدتها الصوت الفلسطيني الذي لن يغيب.

---

106 ورد ذلك في مقابلة تمت معه في مكتبه بباب الساهرة في القدس، بتاريخ: 2015/05/25م. وتمت موافقته على هذا النص، هاتفيًا، صباح 2015/07/30م.

107 انظر: تأبين الطيب عبد الرحيم للمرحوم «محمود أبو الزلف»، بعنوان: في ذكرى رجل أحبه. صحيفة القدس، بتاريخ: 2006/03/26، ص: 1، ص: 30.

108 انظر: تأبين أحمد قريع للمرحوم «محمود أبو الزلف»، بعنوان: في ا لذكرى السنوية السادسة لرحيل محمود أبو الزلف. صحيفة القدس، بتاريخ: 2011/03/28، ص: 1، ص: 33.

- كانت منبرًا لكفاح الشعب الفلسطيني، وأداة من أدوات قوته الناعمة. ومنذ أن كانت «صحيفة القدس» وهي تؤدي رسالتها بكل أمانة، وتقوم بوظيفتها بكل احتراف ومهنية، وتقاوم مع كتابها وإدارتها وقرائها كل محاولة لتزييف الصورة الفلسطينية الحقيقية، وكل سعي لمصادرة الخطاب الوطني الصادق، أو لتغييب صوت المدينة الأقرب – في الأرض – لباب السماء.

3. أما «أحمد عبد الرحمن» فيرى أن «محمود أبو الزلف» كرّس خمسين سنة من حياته لخدمة وطنه في مهنة محفوفة بالمخاطر. وأن «أصحاب القرار والأحزاب والاتجاهات الدينية والسياسية والفكرية تفتش كل صباح عن الصحف، وفي المقدمة صحيفة «القدس»؛ لكي تعرف كيف يعالج «محمود أبو الزلف» الأحداث والمواقف، حين جعل من جريدة القدس جريدة الشعب وجريدة الساسة والسياسيين والهيئات الاقتصادية والثقافية[109].

الخاتمة:

ها نحن أمضينا سحابة هذا الفصل من كتاب «مقدسيون صنعوا تاريخًا»، الذي كان فارسه «محمود أبو الزلف»؛ ذلك (المقدسي- اليافي) الذي صنع في القدس «تاريخًا» للصحافة والإعلام؛ ببنائه ذلك الصرح الشامخ الدائم العطاء، إنها «صحيفة القدس» التي أضحت مؤسسة قائمة بذاتها، توفر للشعب الفلسطيني الكلمة الصادقة والخبر اليقين الموثوق به.

لقد اجتمع في هذه الصحيفة العديد من السمات والخصائص المستمدة من شخص مؤسسها الذي رسم، منذ افتتاحية العدد الأول قبل الاحتلال وافتتاحية العدد الأول بعد الاحتلال في العام 1967، الخطوط العريضة للاستراتيجية التي اتكأت عليها، ولا تزال حتى يومنا هذا الذي تتجاوز فيه الـ (16,500) عدد. فهو الذي تابع تطورها وأشرف على كل صغيرة وكبيرة فيها، حتى أنه كان يرى في كل عدد يصدر منها ولادة ابن جديد له، إلى أن توفاه الله في العام 2005.

وقدر الله (سبحانه) أن يمنحه العمر إلى أن تمكن من إرساء دعائمها، حتى غدت صحيفة القدس «امبراطورية إعلامية» عربية فلسطينية تربض على مساحة دونمين ونصف الدونم في بيت حنينا؛ ذلك الحي المقدسي الفلسطيني، الذي سعى الاحتلال إلى تهويده، ففرض

109 انظر: تأبين أحمد عبد الرحمن» للمرحوم «محمود أبو الزلف»، بعنوان:. وطن في سيرة رجل. صحيفة القدس، بتاريخ: 2015/03/28، ص: 17.

عليه مسمى «عتاروت»، في حين أن الموجود فيه «فعليًا» مؤسسات عربية فلسطينية تفرض واقعًا يصعب على الاحتلال «تجرعه».

هذه هي صحيفة القدس؛ الصحيفة المقدسية الوحيدة التي نكحل عيوننا بها كل صباح، وتشيع في نفوسنا الأمل بمستقبل أفضل، وتعزز فينا عناصر النجاح والتفوق والإبداع؛ عندما نستقي منها عمق المعرفة وجوهرها وأصالتها، كما أنها المساحة الإعلامية-التربوية-التثقيفية-التعليمية التي تحفظ لنا إنجازاتنا اليومية، وتوثق لنا كل صغيرة وكبيرة، وفق تراكم منظّم، سيجعل سيرتنا ومسيرتنا واضحة للأجيال القادمة.

بقي القول، إننا أمام مؤسسة إعلامية مقدسية الأصل والفصل والهوى والهوية، تحمل رؤيا وطنية صافية، فحواها أنها صحيفة الكل الفلسطيني، ولها دستورها الخاص بها الذي يعتمد على الأسس والمبادئ التي أرساها المرحوم «محمود أبو الزلف»، الذي أورث العاملين فيها «عين الصقر» في التقاط الخبر واصطياده، ويصلون الليل بالنهار، وهم يتبادلون البيانات، ويتكاملون في عملهم، كخلية نحل؛ يديرون مؤسستهم هذه، على مدار الساعة، لتوفير المعلومة الصادقة والخبر الدقيق، الأمر الذي جعل منها قبلة الباحثين عن الحقيقة.

وأما نتيجة ذلك كله، فهي أن القارئ لهذه الصحيفة ينهل منها من الثقافة والمعرفة، ما يكفي لأن يصيغ منه مواطنًا قادرًا على فهم ما يجري حوله من أحداث على المستويات المحلية والإقليمية والدولية، إضافة إلى تلك القضايا التخصصية في الرياضة والاقتصاد والعلم والأدب والصحة... الخ.

رحم الله «محمود أبو الزلف» الذي أطلق عليه مؤبنوه العديد من الألقاب، منها: عميد الصحافة العربية أو الفلسطينية أو شيخها أو فارسها، و«ميزان فكر وصحافة وسياسة»، و«عملاق» الصحافة... وقد يقول قائل: إنها الألقاب التي تطلق عند التهاب العواطف والمشاعر، وعندما يشتد ألم الفراق، إلا أننا نقول: لقد قرأنا، بدقة، ما بين سطور الرجل فوجدناه وقد تربع، بلا منازع على كرسي «عميد الصحافة الفلسطينية-المقدسية».

نهاد عليان أبو غربية

المرحوم «نهاد عليان أبو غربية»

مقدمة

إذا وصفنا القدس بأنها مظلة يستظل بها المقدسيون، ويتمتعون بظلالها الوارفة، وفي أجوائها الإيمائية، تتفتق أذهانهم عن إبداعاتهم التي من خلالها حفظوا للقدس عروبتها ولفلسطين جوهرها، فإن لتلك المظلة أعمدة شاهقة تتكئ عليها، وهي التي ترسي دعائمها، وتبقي عليها شامخة تعانق السماء. وإذا كانت تلك الأعمدة هي المكونات والفسيفساء التي تماسكت وتعاضدت؛ لتعطي القدس شكلها التي هي عليه، فإن التعليم العربي في القدس هو المكون الرئيس الذي لولاه لما كانت القدس تنطق بلغة الضاد، ولا كنا نحن ننعم بعاصمة أسيرة، بل لكان تهويد الأرض والإنسان، ولكان الجميع يتحدث العبرية ويدين لإسرائيل بوجودها على هذه الأرض.

والحالة هذه، وفي ظل وجود مؤسسات تربوية عملاقة، أخذت بيد المقدسيين وصعدت بهم نحو العلا، فإنه لا بد من البحث، في أرشيف القدس وذكرياتها، عن أولئك الذين أنقذوا القدس والمقدسيين من بين أنياب الوحش الاحتلالي-الإحلالي. ولعل أوضح مثال على قولنا هذا الكلية الإبراهيمية في القدس، تلك المؤسسة المقدسية الرابضة في الحضن الغربي لجبل الطور، والمتوثبة في مواجهة الجامعة العبرية التي كادت أن «تعبرن» المكان والإنسان لولا جرأة مؤسس وباني هذه الكلية المرحوم «نهاد عليان أبو غربية» وحنكته وإرادته الصلبة.

لذلك؛ فإنه لا يمكن لكتابنا هذا «مقدسيون صنعوا تاريخاً» أن يتخذ قوامه الحقيقي إلا أن يضم بين جنباته قامة، من قامات القدس المتعددة الأبعاد: التربوية، والسياسية، والاقتصادية.

وسنتناول في هذا الفصل، السيرة والمسيرة للمرحوم «نهاد عليان أبو غربية»، بما يوفر للأجيال المقدسية، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، نموذجاً حياً لواحد من آبائهم وأجدادهم الذين حفظوا لهم قدسهم، وأبقوا على جذوتها متقدة رغم الرياح العاصفة التي كادت تقتلعها من جذورها.

كما ستتم الإشارة إلى التطور الكمي والنوعي لهذه الكلية الرائدة في مجال العلم والمعرفة والثقافة، الذي شهدته مذ كانت «بذرة» تربوية، إلى أن اشتدَّ عودُها وتجذَّرت في أعماق الأرض فأصبحت صرحاً تربوياً يشار إليه بالبنان، مروراً بما لقيه المرحوم «نهاد عليان أبو غربية» من نصب وعنت وهو يبني ويعلي البناء، خاصةً تلك المرحلة الأشد ألماً في تلك الرحلة، وهي الحصول على قطعة الأرض، التي أقيمت عليها الكلية في أوائل ثمانينيات القرن العشرين.

وبين هذا وذاك، سوف نجد ما يَسُرُّ الخاطر، وما يُريحُ البال من إنجازات تؤكّدُ في مجموعها، على أن المرحوم «نهاد عليان أبو غربية» كان يتمتع بسمات وخصائص من سرعة البديهة، ودقة الملاحظة، وحسن الانتماء لقدسه ولوطنه وأمته، أسهمت في صناعة هذا التاريخ الذي نزهو به، والذي ستبقى الأجيال تتفيّأ بظلاله ما دام في القدس من ينطق بالضاد.

المربي نهاد عليان أبو غربية (١٩١٣-٢٠٠٩)

اسم حُفِرَ، باللغة العربية الفصحى في صخور القدس، وعلى أعالي جبالها وهضابها.. فكل القدس تشهد له تربوياً ؛غرس لنأكل، وغرس لتأكل الأجيال القادمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. نحن، جميعاً، مدينون له بإرساء واحد من أهم أعمدة «عروبة القدس» وهي الكلية الابراهيمية. تلك الكلية التي تُدَرّس عن القدس بأقصاها وقيامتها وصخرتها، فتحفظ لها عروبتها وفلسطينيتها...

محطات في سيرة حياة «أبو وجدي والعائلة»:

المولد-النشأة-التعليم:

- هو نهاد عليان عبد العزيز أبو غربية، ولد في مدينة القدس سنة 1913.
- عندما قامت الحرب العالمية الأولى سنة 1914، كان والده مدير ناحية في مدينة خان يونس بقطاع غزة.
- نشأ في مدينة القدس، وعاش فيها شطراً من طفولته، قبل ان ينتقل مع عائلته إلى مدينة الخليل، التي عاد إليها والده بعد أن وضعت الحرب أوزارها.
- عاد إلى القدس في العام 1925 مع والده بعد أن عُيّن والده موظفاً في بلديتها.
- دخل في الصف الخامس الابتدائي في الرشيدية في القدس. وبقي فيها إلى أن أنهى الصف الثاني الثانوي في نهاية العام الدراسي 1929/1928.
- في العام الدراسي 1930/1929، انتقل إلى الصف الثالث الثانوي في الكلية العربية في القدس.
- وبقي فيها إلى أن أنهى الصف الرابع الثانوي، فحصل على شهادة الكلية العربية ونجح في امتحان المترك الفلسطيني نهاية العام الدراسي 1931/1930.

لأسباب مالية، لم يكن باستطاعة والده إرساله إلى بيروت أو لندن لإتمام دراسته الثانوية؛ فاضطر أن يدرس في جامعة لندن بالمراسلة، كما فعل العديد من زملائه وحصل على شهادة الـB.A متخصصاً في التاريخ العام في العام 1942.

السيدة نديرة أبو غزالة رئيس الكلية الإبراهيمية الحالي

في عام سبعة وخمسين اقترن الأستاذ نهاد برفيقة عمره نديرة محمد زكي شاكر أبو غزالة، فسارا معاً في طريق تأسيس وتطوير الكلية الإبراهيمية يجمعهما الفكر المشترك والمحبة والعطاء. أنجبا ابنهما وجدي وكان قرَّة عين لوالديه في 15/1/1961.

«نديرة أبو غزالة» رائدة من رواد العمل النسائي والاجتماعي في القدس حيث شاركت في عضوية وإدارة وتأسيس العديد من المؤسسات المجتمعية في المدينة مع عدد من الإخوة والأخوات، منها جمعية الشابات المسلمات، وجمعية تنظيم وحماية الأسرة الأردنية ببيت الرحمة للمسنين.

- تسلمت رئاسة الكلية بما تضمه من أقسام تعليمية بجميع مراحلها بما فيها كلية المجتمع الإبراهيمية وكلية وجدي الجامعية التكنولوجية.
- تمثلت في السيدة «نديرة أبو غزالة» صفات الإدارة، والحكمة، وبعد النظر، والحزم، واللين، والتواضع، فتولت المسؤولية بكل ثقة واقتدار.
- السيدة أم وجدي تكمل المسيرة ولا تتوقف عند حد معين، فتعمل جاهدةً على تطوير الكلية والارتقاء بها دائماً، وحالياً تعمل على بناء الطابق الرابع في الكلية الإبراهيمية؛ لكي يضم في جنباته مسرحاً نموذجياً يستوعب مئات المشاهدين؛ ليكون هذا المسرح النموذجي الأول في قدسنا الحبيبة بالإضافة إلى قاعات للاجتماعات واللقاءات التربوية؛ ولكي يكون هذا الطابق تكملة للكلية الإبراهيمية وكلية المجتمع ولمبنى كلية وجدي الجامعية التكنولوجية.
- هذه سطور مضيئة في تاريخ كليتنا الإبراهيمية وتاريخ من عملوا وسهروا الليالي من أجل أن تبقى الكلية درة التاج في وسط عاصمتنا الأبدية.

الأستاذ وجدي يتسلَّم شهادة البكالوريوس في جامعة بوسطن في الولايات المتحدة

وجدي نهاد أبو غربية في سطور

- ولد في مدينة القدس في 1961/1/15م.
- درس في مدرسة الفرير الثانوية في المرحلتين الأساسية والثانوية وتخرج في عام 1979م.
- حصل على شهادة البكالوريوس في إدارة الأعمال والاقتصاد في جامعة بوسطن في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1985م.
- تزوج في تشرين أول 1991م، ورزق بابنته (منال) سنة 1993م.

- عاد إلى القدس ليتسلَّم وظيفته في الكلية الإبراهيمية مساعداً لوالديه في إدارتها. فأحبَّه المدرسون والموظَّفون والطلبة، حيث أبلى بلاءً حسناً في مهامه وفي علاقاته الوديّة الطَّيبة مع الجميع وبدون استثناء. وكان متفهّماً لرغبات الموظَّفين وتطلعاتهم، وكان حريصاً كوالديه على تطوُّر الكلية والعمل على رفعة شأنها دائماً.
- ساعد والده في تأسيس كلية المجتمع الإبراهيمية.
- أدخل اللغة الفرنسية في مناهج التدريس ابتداءً من الصفوف الابتدائية عام 1984م.
- أدخل الكمبيوتر في الكلية بجميع أقسامها في عام 1985م.
- ثم أكمل تعليمه وحصل على شهادة الماجستير في تخصُّصِه في جامعة لافرن في اليونان في عام 1991م.
- تقدم بعدها للحصول على درجة الدكتوراه في إنجلترا. إلا أنَّ المولى (عزَّ وجل) اختاره إلى جواره وهو في ريعان الشباب عن عمر ناهز 37 عاماً تاركاً زوجته وابنته منال في أمريكا. وهي حالياً تكمل دراستها العليا في جامعة «جونز هوبكنز» في ولاية ميرلاند الأمريكية. وستعود قريباً إلى أرض الوطن لتكون نعم العون والسند.

الأستاذ وجدي يتسلَّم شهادة الماجستير في جامعة لافرن في اليونان

الوظائف والمناصب التي تقلَّدها الأستاذ «نهاد أبو غربية»:

- بعد انتهاء تعليمه الثانوي في الكلية العربية في القدس، حاول الحصول على عمل فتقدم بطلبات إلى عدة دوائر حكومية، وكانت الإجابات، بتوقيع «خادمكم المطيع المندوب السامي» اعتذار؛ لعدم وجود أماكن شاغرة.
- عَلِمَ «نهاد أبو غربية» في العام 1931، أن ثلاثة أشخاص قادمون من الخليل، هم: الشيخ راشد القواسمي والشيخ عز الدين الشريف والأستاذ إبراهيم بدر، قاموا بفتح مدرسة ابتدائية في محلة المصرارة في القدس، تتألف من ثلاثة صفوف، سموها المدرسة الإبراهيمية الوطنية وقد اختاروا الاسم تيمناً باسم إبراهيم الخليل (عليه السلام). فقام بزيارة المدرسة، وتعرف على أصحابها فرحبوا به، وتم تعيينه مدرساً في المدرسة براتب شهري قدره (2.5) جنيه فلسطيني.
- ولمّا كانت البناية التي أنشئت فيها المدرسة صغيرة؛ لا تصلح لهذا الغرض تمَّ في السنة التالية، نقل المدرسة إلى عمارة أكبر في نفس الحي مع ساحة خارجية استعملت ملعباً للطلاب، بالإضافة إلى قاعة داخلية بين غرف التدريس تستعمل للتجمع الصباحي وغيره من الأنشطة المدرسية.
- سارت المدرسة في البناية الجديدة، ولكنَّ أحد أصحابها وهو الشيخ عز الدين الشريف قرَّر أن ينسحب من الشراكة، وعرض سهمه للبيع فاشتراه «نهاد أبو غربية»؛ فأصبح من أصحاب المدرسة، وليس مجرد موظف فيها.
- فيما بعد، انسحب الشريكان، وقام «نهاد أبو غربية» بشراء حصصهما حتى أصبح في العام 1935 المالك الوحيد للمدرسة.

الحكومة الفرنسية تمنح الأستاذ نهاد وسام النخلة الأكاديمي تقديراً لدوره التربوي والتعليمي

الكلية الابراهيمية عبر ثمانية عقود:

آلت المدرسة إلى الأستاذ «نهاد سنة 1935، وارتبطت حياته بها؛ فأخذ يعمل بجد واجتهاد، واصلاً الليل بالنهار؛ لكي يسير بها إلى الأمام ويرفع من شأنها، وفق استراتيجية، واضحة المعالم والأهداف والرؤية. ففي سنة 1936 أصبحت ابتدائية كاملة، عدد طلابها مائة وخمسون طالباً، وفي سنة 1937 نقلها إلى عمارة أكبر تقع على شارع صلاح الدين في باب الساهرة بالقدس، وأخذت تسير سيراً مضطرداً إلى الأمام؛ بفتح صف جديد كل سنة، حتى الثانوية كاملة سنة 1945، وأصبحت المدرسة تسمى بـ «الكلية الابراهيمية بالقدس»، وتقدم طلاب الصف المنتهي فيها إلى امتحان «المترك» الفلسطيني، فكانت نسبة نجاح طلابها 100%. أي أنهم نجحوا جميعاً.

أخذت الكلية الابراهيمية شهرة كبيرة بعد النجاح الباهر الذي أحرزته في امتحان «المترك» الفلسطيني، فبدأ اسمها ينتشر وسمعتها تتألق في البلاد فأقبل عليها الطلاب من جميع أنحاء فلسطين ومن خارج فلسطين، فتم افتتاح قسم داخلي في الكلية لاستيعاب الطلاب القادمين إليها من خارج القدس.

وصلت الكلية إلى درجة عالية من الرفعة والتميُّز في معلميها وهم من حملة الشهادات العليا ويتمتعون بخبرة عالية في التعليم وفي عدد طلابها بقسميها الداخلي والخارجي. فسارت الكلية إلى الأمام، بدون توقف، محافظة على نسبة نجاحها في «المترك» الفلسطيني وازدياد عدد طلابها. وكانت الذروة في سنة 1948؛ وهي سنة النكبة، حيث أصبح عدد طلابها نيفاً وألف طالبٍ خارجي و85 طالباً داخلياً.

حلَّت النكبة على الشعب الفلسطيني، في العام 1948، فنُكبت «الكلية الابراهيمية في القدس» أيضاً، وهي في ذروة تطورها ونجاحها. وأصبح الطلاب يعيشون على أزيز الرصاص وصوت انفجار القنابل والقذائف التي كانت تتساقط بالقرب من بناء الكلية، بين الحين والآخر، فانفرط عقد الطلاب، وأخذوا يسافرون إلى مدنهم وقراهم، حرصاً على حياتهم، وكذلك باقي الطلاب من القدس وضواحيها إذ لم يعد بإمكانهم الدوام، ولم يبق في الكلية إلا حوالي مائة وخمسين طالباً بما فيهم طلبة «المترك» لذلك العام، وما تزال شهادات بعضهم في الكلية لحد الآن؛ فقد غادروا القدس إلى مدنهم بعد انتهاء الامتحانات مباشرةً.

عندها لم يعد البقاء في بناء الكلية آمناً؛ كادت الكلية أن تغلق أبوابها، كما فعلت كلياتٌ أخرى، ولكنَّ صاحب الكلية ومديرها «نهاد أبو غربية» أصرَّ على بقائها واستمرت قائمة

بعدد من طلاب القدس، قام بنقلهم إلى مبنى داخل البلدة القديمة، يقع في الباب العتم؛ من أبواب الحرم الشريف استأجره من دائرة الأوقاف الإسلامية.

كما أن الحاكم العسكري الأردني لمدينة القدس، في ذلك الحين، انتدب المرحوم الأستاذ نهاد ليعمل مع الصليب الأحمر السويسري نائباً للرئيس المسؤول في أريحا للعناية باللاجئين الفلسطينيين، فقام «نهاد أبو غربية» باختيار أستاذين من أهل القدس وسلمهما إدارة المدرسة، وهما: المرحومان ياسين الخالدي، وحيدر الخالدي. وكان دائم الإشراف عليها، وكان يزورها كل أسبوع، ومن حين لآخر. وفي سنة 1950 عادت الكلية إلى بنائها في باب الساهرة شارع صلاح الدين، وسارت في تدريسها على المنهاج الأردني.

بقي «نهاد أبو غربية» في وظيفته، مع الصليب الأحمر السويسري، إلى أن استلمت وكالة غوث وتشغيل اللاجئين (الأنروا) التابعة لهيئة الأمم مكانه. ففي العام 1952 أنهى عمله مع الصليب الأحمر، وعاد إلى القدس لمزاولة عمله في الكلية.

وأعاد الكلية إلى بنائها الأصلي، وفي سنة 1955/1956، حصل على تصريح من دائرة الامتحانات المصرية بالسماح للكلية الابراهيمية بتدريس المنهاج المصري فيها أيضاً.

سارت الكلية على المنهاج المصري، وبقيت تدرس المنهاج الأردني للطلاب الذين يرغبون في دراسته. ثم افتتح المرحوم «نهاد أبو غربية» أول صف مختلط، بعدد قليل من الطلاب والطالبات، ومنذ ذلك الوقت أصبح التعليم في الكلية الابراهيمية مختلطاً. كما أن الكلية لم تكن تشترط عمراً معيناً لالتحاق الطالب بها، فكانت الصفوف تضم بين طلابها عدداً كبيراً من كبار السن، بينهم مدراء مدارس وأساتذة وضباط شرطة وجيش من الذين لم تتسنَّ لهم الإمكانية للدراسة الثانوية وتكميل تحصيلهم الجامعي.

بدأ صف المنهاج المصري بستة طلاب، وبعد مرور سنتين على تعليم المنهاج المصري في الكلية (أي سنة 1958)، ناف عدد الطلبة عن ألف طالب وطالبة؛ يدرُسون في عدة شعب صباحية ومسائية، كان الطلاب الذين ينجحون في امتحان الشهادة الدراسية الثانوية المصرية يُقبلون في الجامعات المصرية، كل وِفْقَ المعدل الذي حصل عليه، وكانت تَحضُر إلى فلسطين من مصر لجنة خاصة لمراقبة سير الامتحان. وبقي هذا النظام سائداً حتى توقف في سنة 1967؛ عندما اعترفت كلتا الحكومتين المصرية والأردنية كل بمنهاج الأخرى في قبول الطلبة في جامعات كلا البلدين.

خرَّجت الكلية في الفترة التي اتَّبعت فيها التدريس بالمنهاج المصري الآلاف من الطلاب والطالبات، اشتد الطَّلب على الالتحاق بالصفوف الثانوية في الكلية، فاضطر المرحوم «نهاد

أبو غربية» إلى إيقاف التدريس في صفوفها الابتدائية؛ لعدم وجود أمكنة لهم في البناية. فأَشْغَلَت الصفوف الثانوية كل غرف الكلية. وعند تقييمه لذلك، وجد الرئيس «نهاد أبو غربية» أن في ذلك خطأ فادحاً؛ إذ أن الصفوف الدنيا هي التي تغذي الصفوف الثانوية. لذلك؛ أصبح لا بد من التخطيط لإقامة بناء ضخم؛ لاستيعاب الطلاب من جميع الفئات العمرية، في قسميها الابتدائي والثانوي.

هكذا؛ بدأ الحلم، بإقامة هذا البناء، يراود المرحوم «نهاد أبو غربية»، ولتحقيقه اشترى في العام 1965 اثني عشر دونماً من الأرض في محلة الصوانة على طريق الطور. إلا أنه بدخول الاحتلال إلى القدس إثر النكسة في العام 1967، صادرت الحكومة المحتلة جميع الأراضي في القدس التي لا بناء عليها، فكانت أرض الكلية من جملتها. وعندما وكَّل محامين لمتابعة تحريرها أبلغوه بأن تحرير الأرض مستحيل، ولكنهم سيحاولون الحصول على أكبر تعويض ممكن، فكان جوابه، رحمه الله: (أريد أرضي ولا أقبل بأي تعويض بالغاً ما بلغ).

أخذ المرحوم «نهاد أبو غربية» يطالب بتحرير هذه الأرض باستمرار، وبعد جهاد ست سنوات متواصلة، تلقى في العام 1975 كتاباً من بلدية القدس أخبَرَته فيه أنها تلقت كتاباً من إدارة أراضي إسرائيل بالموافقة على إلغاء المصادرة، بشرط أن تبني عليها مدرسة فقط، وفي الحال طلب المرحوم «نهاد أبو غربية» من أحد خريجي الكلية وهو المهندس عدنان الحسيني، بوضع مخططات لبناء الكلية تَشْمل اتّساع البناء وضخامته وجماله وأن يكون مستوفياً لكل الأمور التي يتطلَّبُها البناء الحديث لمدرسة عصرية نموذجية.

وضع المهندس عدنان كل جهده، وفي النهاية جاء المخطط الذي وضعه هو المخطط المطلوب، وأن هذه البناية ستكون، في جمالها وضخامتها واستيفائها الشروط المطلوبة مَعْلَماً من معالم القدس. وبعد ما يزيد عن العامين من المطالبة والمراجعات والإجراءات، تم الحصول على الرخص اللازمة، فوُضِعَ الحجر الأساس للمبنى الجديد للكلية في العام 1977، ثم شُرِعَ بالبناء عام 1978. وفي العام 1982 انتقلت الكلية الإبراهيمية بالقدس إلى المبنى الجديد الخاص بها، وبدأت العمل بقيادة رئيسها «نهاد أبو غربية»، بكل قوة ونشاط.

الكلية الإبراهيمية: مدرسة كاملة.. وكلية مجتمع متوسطة

فور استلامه للمبنى الجديد، في العام 1982، قرر المرحوم «نهاد أبو غربية» إعادة القسم الابتدائي، وسلَّم زمام إدارته إلى المرحومة الآنسة وداد الأيوبي؛ المربية القديرة التي كانت

قد أُحيلَت الى التقاعد في حينه. فقامت «الآنسة وداد» بعملها خير قيام، فقامت باختيار معلمين ومعلمات أكفاء لهذا العمل، وعاد القسم الابتدائي «المختلط» بكامله إلى العمل بقوة ونشاط وتنظيم شهد له القاصي والداني، وسرعان ما أصبح زاخراً بالطلاب والطالبات، واستمرت الكلية باتّباع المنهج الأردني في التدريس.

في العام 1983، وبعد أن كان قد حصل على اعتراف من وزارة التعليم العالي الأردنية، قام المرحوم «نهاد أبو غربية» بفتح كلية مجتمع متوسطة؛ تدّرس الطلبة بعد النجاح في الثانوية العامة لمدة سنتين؛ أسماها «كلية المجتمع الإبراهيمية» فكان الإقبال عليها كبيراً؛ حيث كان عدد طلابها في سنتها الأولى خمسمائة طالبٍ وطالبة.

ولأنه يؤمن بالتطور الدائم، قام المرحوم «نهاد أبو غربية» في العام 2003 بإنشاء مؤسسة وجدي نهاد أبو غربية للتطوير العلمي، وأتبعها في العام 2004 بتأسيس معهد وجدي نهاد أبو غربية التكنولوجي الجامعي لمستوى درجة البكالوريوس.

الكلية الإبراهيمية: مَعْلَم من معالم القدس

بعد تلك الرحلة الشاقة، وما صاحبها من صبر وثبات، ها هي الكلية الإبراهيمية بالقدس، تنال ثقة المجتمع المقدسي، وذلك للمصداقية العالية التي اتصفت بها، إدارة ومعلمين، عندما حققت على مدى سنوات متتالية نسبة نجاح 100% لطلبتها في امتحان شهادة الدراسة الثانوية العامة، وبمعدلات عالية.

لم يكن ذلك ليتم لولا الرعاية التي أولاها إياها المرحوم «نهاد أبو غربية» حتى وفاته في العام 2009، حيث استلمت زمام الأمور، وعلى نفس الوتيرة من الهِمَّة والنشاط، زوجته «نديرة أبو غزالة/ أم وجدي»، مما أبقى على الكلية، بأقسامها كافة، سائرة على نفس المنوال؛ تقوم بواجبها نحو الأجيال المتتابعة من المقدسيين التي وجدت في هذه الكلية ضالتها منارة للعلم والمعرفة، وهي تفتح الآفاق رحبة للإبداع والتميز.

تفصيلات لا بد منها: يتوفر في مباني الكلية الإبراهيمية بالقدس مجموعة من المرافق المهمّة، أهمُّها:

مختبرات الكلية:

- ثلاثة مختبرات علمية حديثة، يستوعب كل منها 40 طالباً، لكل منهم مقعده الخاص به، مجهزَّة بكل ما يلزم من تجارب لصفوف المدرسة، في الكيمياء، والفيزياء، والأحياء.
- مختبرات الحاسوب: حيث يوجد في الكلية مختبران للحاسوب؛ واحد للصفوف الثانوية، والثاني لباقي صفوف الكلية على اختلاف أنواعها. وهناك حصص خاصة محدَّدة على البرنامج، يتوجه فيها الطلبة إلى مختبر الحاسوب.
- مختبر «الصوت والضوء»: يَحضُر فيه جميع طلاب الكلية على اختلاف صفوفهم؛ ويستعمل هذا المختبر لعرض أفلام علمية وثقافية واجتماعية.

قاعة وجدي نهاد أبو غربية:

- مساحتها حوالي (300 م^2) وهي القاعة الرئيسة للكلية، يستعملها طلاب الكلية للقيام بأنشطتهم المتنوعة: علمية وثقافية.

مكتبة الكُليَّة:

- ففي الكلية مكتبة واسعة مساحتها حوالي (300 م^2)، تحتوي على ما يزيد عن عشرين ألف كتاب ومجلد، من مختلف العلوم والمراجع المدرسية، وتضم قسماً خاصاً للأطفال، يستعملها طلاب الكلية على اختلاف صفوفهم من الأطفال حتى الصفوف الثانوية بموجب حصص مدرسية ضمن البرنامج الدراسي ويسمح للطلاب باستعمالها فرادى في أي وقت يشاؤون.

وسائل الإيضاح:

- حيث وضعت الكلية نماذج توضيحية في كل الصفوف الأساسية الدنيا، تم إنجاز بعضها محلياً؛ من طلبة الكلية.

1. المقصف: في الكلية مقصف واسع، يقدم المقصف ما يحتاجه الطلاب من ساندويشات

ومأكولات خفيفة وغيرها، وله فرعان: داخل الكلية (لطلبة الروضة والمرحلة الأساسية الدنيا)، وفي الساحة الخارجية للكلية (للطلبة الأكبر عمراً).

2. الأنشطة اللاصفّية: حيث يقوم طلبة الكلية، من جميع الأعمار، بأنشطة لا منهجية مختلفة: فنية: من نحت ورسم. ولغوية: من إلقاء شعر وكتابات أدبية ولغوية وخطابية ، وإصدار مجلة حائط، وتكوين فرق تمثيل واجتماعات. كما تهيئ لهم رحلات مدرسية بين الحين والآخر.

الإعفاءات: إذ تقوم الكلية بعدة إعفاءات من الأقساط.

العقل السليم في الجسم السليم/الأنشطة الرياضية:

- حقاً إن العقل السليم في الجسم السليم، ومن هنا اهتمت الكلية ببناء العقل والجسم معاً. فركَّزت على الأنشطة الرياضية، واهتمت بكثرة الملاعب فيها، وجهَّزت لهذا القسم أدوات رياضية كافية بعدد وافر. واعتبرت تدريس الرياضة البدنية في الكلية من الدروس الأساسية. وقد حصلت عبر مسيرتها الطويلة، على عدد كبير من الكؤوس والميداليات؛ مقابل نجاحها في المباريات المختلفة.

نهاد أبو غربية: سياسي.. وطني حافظ على عروبة القدس

لم يكن المرحوم «نهاد أبو غربية» بمعزل عما كان يجري في فلسطين عامة ومدينة القدس خاصة، بل كان على علاقة واتصال بكل ما يجري فيهما. وفيما يلي سوف نستعرض بعض جوانب حياته خارج محيط الإبراهيمية.

ففي زمن الحكم الأردني قضى زمناً، لا بأس به، في سجن القدس، وحكم بالاعتقال في معتقل الجفر. وبسبب تهم ملفقة، أغلق الحاكم العسكري (حسن الكاتب) الكلية الإبراهيمية، ومَنَعَ الطلاب من الاقتراب منها. وكانت وسيلة للضغط، قام بها حسن الكاتب، لكي يقوم المرحوم «نهاد أبو غربية» بتسليم أخيه بهجت إلى البوليس، رغم علم الحكومة الأردنية بأن المرحوم «نهاد أبو غربية» لا علاقة له بالسياسة في شتى أنواعها.

وفي هذا الجانب، أود الإشارة إلى أن الكلية الإبراهيمية كانت الملاذ للسياسيين المقدسيين عندما يشتد الخطب. وتشكل منبراً يصدح فيه أصحاب الفكر بفكرهم، دون أن يميز بين شقيقه بهجت «البعثي المعروف في حينه» وغيره من المفكرين والمناضلين من مختلف المشارب والميول.

وعندما احتُلَّت القدس في العام 1967 بقي متمسكاً بالتدريس وفق المنهاج الأردني في مدارس القدس، فكان ممن قادوا عملية رفض المدارس الخاصة الالتحاق بالبلدية والعمل وفق المنهاج الإسرائيلي. وبذلك فشلت الضغوطات الإسرائيلية التي مورست عليه وعلى مديري المدارس الخاصة الأخرى.

كما كان يدرك، رحمه الله، إلى جانب شخصيات القدس الوطنية الأخرى، أنه يجب الصمود في مواجهة محاولات تهويد القدس واستباحة محرماتها، وأن أحد أشكال الصمود، أو أحد صوره هو بناء أكبر عدد من المؤسسات العامة والخاصة لفرض السيادة العربية-الفلسطينية على أرض القدس، والقيام بأكبر عدد من الأنشطة، على المستويات كافة، الأمر الذي يؤدي إلى تفعيل الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمقدسيين ويعزّز وجودهم على أرضهم.

لقد قاد المرحوم «نهاد أبو غربية»، فرداً وضمن جماعة، ممارسات وأعمال وطنية واجتماعية وعلمية واقتصادية، سيذكرها التاريخ، وستبقى نبراساً تتناقله الأجيال المتعاقبة، منها:

- انتُخِبَ في العام 1953 عضواً في بلدية القدس منذ أُنْشِئَت ولمدة ست عشرة سنة، كانت بلدية القدس تعرف بالبلدية قبل أن تصبح أمانة،وقام الاحتلال بحلها ولكن أعضاءها لم يعترفوا بهذا الحل وقد حاولت بلدية القدس أن تضمهم أو بعضهم إلى مجلس البلدية الإسرائيلي فرفضوا رفضاً باتاً واعتبروا أي قبول لعضوية البلدية الإسرائيلية اعترافاً بضم القدس.
- اختِيرَ في سنة 1967 عضواً في مجلس الهيئة الإسلامية، إلى جانب عدد من شخصيات القدس وقادة التفكير فيها، التي أُنشِئَت للإشراف على شؤون المسلمين وأماكن عبادتهم ومحاكمهم وأوقافهم.
- كان رئيساً لمجلس الأمناء المختار لإنجاز بناء الكلية الإبراهيمية بالقدس.
- وكان رئيس مجلس أمناء كلية المجتمع الإبراهيمية في القدس.
- رئيس مؤسسة وجدي نهاد أبو غربية للتطوير العلمي (كلية جامعية تمنح درجة البكالوريوس في الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات، البكالوريوس في معلوماتية إدارة

الأعمال والدبلوم المهني المتخصص في التصميم الجرافيكي والرسوم المتحركة).

- اختِيرَ عضواً في مجلس أمناء كلية العلوم في أبو ديس. والتي تحولَّت فيما بعد إلى جامعة القدس.
- اختِيرَ عضواً في لجنة مدارس الأقصى الإسلامية في القدس.
- انتُخِبَ رئيساً للهيئة الإدارية لمدارس القدس الخاصة، وبقي في هذا المنصب حتى وفاته رحمه الله.
- اختِيرَ عضواً في المجلس الإداري لشركة الزيتونة للسياحة في القدس.
- كان عضواً في مجلس إدارة شركة التسليف في القدس.
- اختير عضواً في المجلس الإداري للمدرسة الصناعية في القدس، التابعة للجنة اليتيم العربي وبقي فيها حتى وفاته.
- كرَّمته الحكومة الفرنسية بمنحه وسام النخلة الأكاديمي تقديراً لدوره التربوي والتعليمي وخاصة في تعليم اللغة الفرنسية.

نهاد أبو غربية: طموح.. جريء.. يؤمن بتعدد مصادر الرزق

تشير سيرة المرحوم «نهاد أبو غربية» ومسيرته إلى أنه لم يكن ينظر إلى الحياة بعين واحدة، وإنما كان يؤمن بضرورة تنمية رأس المال لخدمة صاحبه، وتوظيفه في خدمة المجتمع وتطويره. فقام بمجموعة من المحاولات الاستثمارية قبل أن يتفرغ، بالكامل، لإدارة الكلية الإبراهيمية، منها:

- استأجر مبنى في بلدة أبو ديس، حوَّله إلى فندق باسم فندق (كليف) ثم قام ببيعه؛ ليتفرغ لإدارة كليته الكلية الإبراهيمية في القدس.
- عمل في السياحة واختِيرَ سكرتيراً للجنة مكاتب السياحة في القدس لمدة من الزمن.
- اشترك في مكتبين للسياحة في القدس ثم قام ببيع حصته فيهما.
- اشترى أرضاً مساحتها عشرون دونماً في قرية (الجيب)؛ لتصبح مزرعة دجاج فيما بعد.

نهاد أبو غربية: الوجه الآخر..

لا يمكن لكل من تعرف على المرحوم «نهاد أبو غربية» أو تعامل معه إلا ويذكر البعد الإنساني المرهف، لفنان، ورسَّام، وخطاط، وصاحب ذوق رفيع في كل سلوكياته وتصرفاته. كما أنه كان موسيقياً، يتقن العزف على الكمنجة والعود. وفي كل ذلك كان يعمل، بهدوء وإتقان دون كلل أو ملل، ودون أن يثير صخباً وضجيجاً حول هواياته تلك؛ فكان يغرق في التخطيط، حتى يبدو للمراقب وكأنه يعمل خطاطاً، وإنه ليس له مهنة أخرى، وكذلك الأمر عندما يحتضن العود ويعزف الألحان الجميلة. إنه دائب التقدم في هذه الفنون فهو يعمل أكثر مما يتكلم.

وعندما قابلت رفيقة دربه؛ السيدة «نديرة أبو غزالة/ أم وجدي»، أشارت إلى ما لم يُكتَب عن المرحوم «نهاد أبو غربية» حتى تاريخه، وهو أنه كان يتمتع بروح النكتة التي لا تفارقه، حتى في الظروف الصعبة، وكان يترك همومه وغضبه ومشكلاته في العمل، ويدخل إلى منزله هادئاً مرتاحاً، وكان متعدّد المواهب موسيقياً وتربوياً وخطاطاً وكان شاعراً ومزارعاً.

وتقول أم وجدي: كما أن السر في عظمته، يكمن في مجموعة من الخصائص، أهمها:

1. ذكاؤه الحاد، وإرادته الصلبة، وإصراره على النجاح والتفوق، فكان يقبل التحدي ويسعى، دوماً، إلى إثبات وجوده بتقديم ما أمكنه للبلد وأهله.
2. طموحه وبعد نظره؛ فمنذ تزوجنا، سنة 1957، كان يطمح إلى تشييد بناية عظيمة للكلية الإبراهيمية، وكنت أشجعه وأشد على يديه لثقتي بأن الله سيحقق له ما تمناه. وقبيل النكسة في العام 1967، اهتم بشراء قطعة أرض فلم يجد المال الكافي، فتدبرنا أمورنا واشتريناها، وعندما احتُلَّت القدس كنا قد أكملنا تسديد ثمنها. فقام الاحتلال بمصادرتها، إلا أنه بذل جهوداً استثنائية فرجعت الأرض لأصحابها. وأكدت السيدة أم وجدي أن أكثر من 80% من تكلفة الأرض والمبنى هي من الأموال الشخصية للمرحوم «نهاد أبو غربية»، لا سيما وأنه باع استثماراته الأخرى في فندق (كليف) ومزرعته، ومكتب السياحة، وتفرَّغَ هو إدارياً ومالياً ووجدانياً للمؤسسة التربوية التي أسسها وهو في ريعان شبابه.

الخاتمة

هذا هو التربوي المقدسي «نهاد أبو غربية»، الذي عاش بين جنبات القدس نحو قرنٍ من الزمن، ودافع عنها في نكبتها ونكستها بما استطاع، فأرسى دعائم صرح تربوي؛ يشكل مَعْلَمَاً من معالم عروبة القدس «بإسلاميتها ومسيحيَّتِهَا».

لا يمكن لمن عاش مع هذا الرجل وعايشه أو حتى سمع عنه، إلا ويَسْتَلْهِمُ منه دروساً عدَّة تتعلَّق بكيفية إدارة الأزمات، والقدرة على التحرك بنجاح وسط حقل الألغام، لتصل إلى النهاية. كما نتعلم من سيرة «نهاد أبو غربية» كيفية خلق التوازن بين المتناقضات، دون التنازل عن الثوابت الوطنية؛ ولعل في المنهجية التي اتبعها في استعادة أرضه من الاحتلال دون أي خسائر، بإصراره على شعار: «إنها أرضي.. وهي من حقي»، حتى جاءت النتائج كما نرى بأم عيوننا، فعلاً حقيقياً على هذه الأرض، يتمثل في هذا البناء الشامخ والمطل على الصخرة المشرفة، بناء الكلية الإبراهيمية الثانوية، وكلية المجتمع الإبراهيمية، وكلية وجدي الجامعية.

أما الدروس ذات الصلة بالطموحات، وحسن التخطيط، والتتابع في تنفيذ الأهداف التي وضعها أمامك، دون إحداث أي تداخل فيما بينها، فإنك تجدها واضحة وجليَّة من خلال تلك الرحلة الشاقة التي سار فيها «نهاد أبو غربية» فأنجب مشروعاً وطنياً، سوف تبقى تقطف ثماره أجيال المقدسيين وأبناء البلد؛ تعليمياً، واجتماعياً ... إلخ.

وإذا سُمِحَ لي أن أدلي بشهادتي، كواحد ممن عملوا تحت إمرة هذا القائد التربوي، فأضيف إلى النتائج والاستنتاجات المذكورة، فإنني لن أنسى الوجه الآخر لـ «نهاد أبو غربية»؛ الشخص المرح، الفنان، الخطاط، صاحب النكتة.

كان نعم المدير القائد والقائد المدير الذي يزيل غبار الطباشير عن شفاه معلميه.. وينعشهم بعد يوم عمل مُرْهِق.. نِعْمَ المدير-الصديق والصدوق-، فكان اسمه عند أفراد أُسَرِنَا يعني الملاذ عند الأزمات. صاحب المدرسة الفكرية التي لا يمكن أن يتجاوزها كل من يريد الكتابة عن القدس والمقدسيين..

هذا هو «نهاد أبو غربية» الذي حقق إنجازات في خضم حروب أدت للمزيد من التشريد والتشتُّت.. وشهدت على انتفاضتين لشعب رفض الظلم والطغيان.. وشهدت على مؤامرات تهدف المساس بعروبة القدس وإسلاميتها ومسيحيَّتها. وفي كل تلك المشاهد كان «نهاد أبو غربية» واحداً من أبطال المسرح الذين يشار إليهم بالبنان، ورفيقة دربه زوجته الفاضلة

نديرة التي كانت نعم السند ونعم المستشار له في كل شأن.

وفي نهاية المطاف لا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل وعظيم الامتنان والعرفان إلى الرئيس الحالي للكلية السيدة «نديرة أبو غزالة/ أم وجدي» وإلى الإداريين حيث كانوا خير خلف لخير سلف. فأكملوا الرسالة التربوية التي أرسى قواعدها المتينة والصلبة فقيدنا المرحوم «نهاد أبو غربية».

أ. عبد السلام أبو ارميلة

كلمات مضيئة

عندما نتحدث أو نذكر الأستاذ نهاد لا يسعنا إلَّا أن نذكر بعضاً من جوانب حياته العملية والاجتماعية التي هي تاريخ محفور في العقول، منها على سبيل المثال؛ أنَّه كان يتابع كل صغيرة وكبيرة في الكلية وخاصة نتائج الطلاب اليومية وثمَّ كان يقوم بنفسه بتفريغها في سجل خاص بكل فصل يحتوي على قوائم الطلاب من الصف السادس وحتى الثاني عشر، وبذلك كان يعرف الطلاب من خلال هذه النتائج ويستدعيهم إلى مكتبه إذا اقتضى الأمر.

ومن الناحية الاجتماعية كان كثير الذكر لسنوات الطفولة وتعلُّقه الشديد بأمه وإخوته ويسرد لنا أحداثاً وقصصاً عن هذه المرحلة التي واكبت فترة الانتداب البريطاني لفلسطين.

وفي الكلية كان باب مكتبه مفتوحاً لكل محتاج سواء من الطاقم الإداري أو الأكاديمي أو الأصدقاء ومن بعض العائلات المستورة، فهذا يريد أن يُدخِلَ ابنه الجامعة، ولكنَّ ظروفه لا تسمح بذلك، وذلك يريد عقد قِرَان ابنه، وآخر يريد شراء بناء أو شراء بيت، وآخر عليه دفعات لضريبة الأملاك وغير ذلك.

كان لديه دفتر خاص فيه أسماء العديد من الأُسَرْ التي تحضر شهرياً إلى مكتبه لاستلام المبلغ المخصص لها من الأستاذ نهاد وهم كثر، ولم يكن يردُّ أحداً خاليَ الوِفَاض مع إدراكه في بعض الأحيان عدم صدق بعض الأشخاص إلَّا أنَّه كان لا يُظْهِرُ لهم ذلك، فلقد كان الأب والأخ والصَّدَيق والمعلّم والربَّان، كان وحده مَدْرَسةً نقف عاجزين أمامها لبعد بصيرته وخبرته.

د. زياد مقبل/ معلّم اللغة العربية

كلمة وفاء تقال بعد مرور ثلاثين عاماً من التدريس في الكلية

لقد كانت مسيرة أستاذنا حافِلةً بالعطاء، فاقترن لديه العلم بالعمل، والحلم بالإرادة الصلبة. فبعد أن كانت الكلية الإبراهيمية مجرد حلم وفكرة في ذهن معلّمنا، فكرةٍ غضّة نمت في بيت مستأجر في حي المصرارة بالقدس، غدت نبتةً استوى سوقها، واشتدَّ عودها، فأتت أكلها بهذه الأفواج المتتابعة على مرّ الأيام والسنين.

وهذا لم يكن ليتم لولا هذه الجهود الشاقَّة والعمل الدؤوب والإرادة الحكيمة الواعية التي كانت ديدن شيخنا شيخ المربّين وعميد التربية والتعليم في بلادنا.

أجل إنه شيخ المربّين، فعلى امتداد سنوات عمره المديدة رعى العقول وتعهد النشء بحسن التربية والأخلاق؛ لكي تكون هذه الأجيال لبنات صالحة في مجتمع واعد، مبني على أسس علميَّة، وقواعد أخلاقية، فبهؤلاء الرجال تتطوَّر المجتمعات، وترقى الأمم، ويعلو بنيانها.

أجل إنه شيخ المربّين، الذي كان يحرص، ويتابع سلوك وتحصيل كل طالب؛ فيوجّه هذا وينصح ذاك، ويُثني على من حصل على علامة أو معدّلٍ عالٍ، فكم كان يعلّق على علامة كلّ طالب حتى في الامتحانات اليومية. فهذا يكتب له (أشكرك) – وذاك (إلى الأمام) وذلك (لماذا؟).

إنه شيخ المربّين الذي كان يسجل لكل طالب علاماته في سجل خاص بالطلبة، فيدوّن علامات كلّ طالب متفوق بلون، والمقصّر بلون آخر، ويواكب تحصيل كل طالب، والتغيُّرات الحاصلة لديه.

إنه شيخ المربين الذي طال عمره وحَسُنَ عمله. ولكنها مشيئة الله وقدره ولا رادّ لقضاء الله.

فها هي الإبراهيمية اليوم تعيش كما كان المرحوم أبو وجدي يتمنى مشرقة وضاءة، والفضل لله أولاً وأخيراً وللقائمين على إدارة الكلية وعلى رأسهم السيدة نديرة أبو غزالة التي حملت الراية بأمانة وإخلاص وتفان، فاستمرت مسيرة الإبراهيمية واستمرَّ العطاء، واستمرَّت موئلاً لأفئدة طلبة العلم والمعرفة. وبقيت الإبراهيمية دوحة غنَّاء وواحة علم وتربية وبناء. كما أراد وتمنى صاحبها ومؤسسها أبو وجدي. فرحم الله أبا وجدي وأسكنه فسيح جنَّاته، وسنبقى أوفياء لرسالته.

الأستاذ أمين محمد باشا

كلمات موجزة في الأستاذ نهاد

نجم أفل في سماء فلسطين؛ ليكون كوكباً في السماء البعيدة تنير ذكراه اللامعة دروب السالكين على خطاه في الأرض. وتقف الكلمات حائرة في وصف أستاذنا، ومعلّمنا المرحوم «نهاد أبو غربية»، فإذا شَهدَتْ بوصف فإنها تسارع خطاها لتتحدث عن أوصاف أخرى متتالية تزاحم بعضها بعضاً.

العطاء في أبلغ صُوَرِه تجلى في هذا الإنسان ... الحكمة ضالَّته، بُعْدُ النظر منهجه، الطيبة طريقه، الإصرار دربه، العلا هدفه، حب الوطن مُبْتَغَاه وغايته، وغرس العلم والنور في الأجيال أمنيته.

كان مدرسة جامعة لكل معاني العز والفخار والعطاء، ورمزاً من رموز التربية والتعليم في فلسطين قاطبة. بنى فأعلى البناء، وزرع فحصد، وحَصَدت بعده الأجيال، وعلَّم فتعلَّمنا منه كيف يكون البذل والعطاء والإخلاص والوفاء للأرض والإنسان.

جزاك الله عناَّ خير الجزاء، وشملك برحمته وعنايته ومغفرته، إنه سميع الدعاء.

الأستاذ عبد الغفار بدر

ذكريات مع عملاق التربية

ذكرياتي مع عملاق التربية وباني صرح الإبراهيمية المرحوم الأستاذ «نهاد عليان أبو غربية» عميقة الجذور، ففي مطلع ستينيات القرن الماضي كانت بداية معرفتي به عن طريق ابن عمي المرحوم الدكتور عبد الرحيم بدر الذي كانت تربطه بالأستاذ نهاد وبالكثير من أسرة الكلية الإبراهيمية – وهي حينئذ في شارع صلاح الدين – أواصر مودة وصداقة، كانت كلها تدور في مكتب الأستاذ نهاد وأساتذة أفذاذ من أسرة الإبراهيمية أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر عزت عمرو، ومحمد أبو شلباية، والشيخ فارس إدريس وأمين شنار. وكم كان الأستاذ نهاد (رحمه الله) قيادياً ودبلوماسياً وإنسانياً عندما كان يقوم بتخفيف حدَّة النقاشات بنكاته الظريفة وروح دعابته الخفيفة الأخَّاذة التي شدَّتني إليه وأنا حديث التخرج.

عرفت الأستاذ نهاد عن قرب أكثر وأعمق بعد زلزال احتلال القدس والضفة الغربية عام 1967م وعند الشدائد تبين عزائم الرجال حيث كان له وللخيرين من أبناء القدس البررة العاملين في ميدان التربية تاريخ نضالي سطرت حروفه بالنور حين أفشلوا مخططات الاحتلال، لتطبيق المناهج الإسرائيلية في مدارس القدس وفتحت الإبراهيمية أبوابها للمئات من طلبة الثانوية والعشرات من المدرسين الوطنيين الغيورين على إبقاء الثقافة العربية الفلسطينية مشتعلة في القلوب ومقاومة سياسة المحتلين والتي كان للأستاذين نهاد أبو غربية، وحسني الأشهب شرف قيادتها وتأجيج عناصر الإبداع والريادة فيها.

الأستاذ فايز عبد الكامل

الأستاذ نهاد أبو غربية كما عرفته

تعرَّفتُ إلى أستاذي أبي وجدي قبل أربعين سنة، حيث عملت عنده في الكلية الإبراهيمية في شارع صلاح الدين في تدريس الكيمياء. ومع مرور الأيام أخذت الثقة والمحبة بيننا تزداد، حيث أوكل إلي مهمة البدء بالتخطيط لتأسيس مختبرات الكلية الجديدة المَنْوِي بناؤها في الصوانة، وانضممت رسمياً للكلية عام 1983م.

رافَقْتُهُ مراراً لاختيار أثاث المختبر، وهي جولات لا تنسى لما كان فيها من ضحكاته المعهودة وسرعة بدهيته في مواقف كثيرة، وفعلاً تم تأسيس المختبر الأول وهو مختبر الكيمياء على أحسن صورة رغم تكاليفه العالية.

طلبت منه يوماً أن يكتب كلمة في سجل المختبر فكتب العبارة التالية:

«أرجو من المولى عز وجل أن ينفع به أبناء هذه الأمة جيلاً بعد جيل وأن يكون إحدى الشموع التي تبدد ظلام الجهل والتأخُّر».

المربي عصام عرفات البشّيتي يقول كلمته

القدس/ إنَّها الإبراهيمية: نهاد عليان أبو غربية (رحمه الله).

كنت طالباً في الكليَّة الإبراهيمية وعملت فيها وتعلَّمت من الأستاذ نهاد الحب، والعمل، والإخلاص، والنظام، والصبر، وعرفت من الإبراهيمية طريق الجهاد، وأن أكون وإخواني مرابطين ثابتين في القدس الطيّبة، وفي المسجد الأقصى المبارك، وفي فلسطين بلادنا الحبيبة.

مقدسيون صنَعوا تَاريخاً

هند طاهر الحسيني

صورة فوتوغرافية للمرحومة «هند الحسيني»

مقدمة

لا شك في أن المؤلف يسعى إلى أن يزخر مؤلَّفه بما هو جديد ومهم للقارئ. أما إذا كان الحديث عن التاريخ ودور الأشخاص في صناعته، فإن الكاتب ينحى باتجاه الأشخاص الأقوى وأصحاب الفعل على الأرض. وأما إذا كان الحديث عن القدس وهمومها وشئونها وشجونها، فإنه يقع على عاتق الكاتب أحمال إضافية تتعلق بالزمان والمكان والإنسان معًا؛ إذ لا يمكن فصل أي منها عن غيرها.

نتحدث في كتابنا هذا «مقدسيون صنعوا تاريخًا» عن أشخاص عاشوا في القدس، مكانًا وزمانًا، وعايشوا أحداثها، دون أن يقفوا مكتوفي الأيدي؛ يندبون حظهم وحظ عاصمتهم، وإنما شمَّروا عن سواعِدِهم ونزلوا إلى الشارع؛ يقارعون المحتل، ويذودون عن حاضرهم، ويحمون تراث أجدادهم، ويبنون مستقبلًا زاهرًا لأحفادهم وأحفاد أحفادهم.

عندما حملنا هذا المعيار، وبدأنا ندور في شوارع القدس وأزقتها نبحث عن مقدسي/ة حمل/ت هموم المقدسيين التربوية والاجتماعية والثقافية والمعرفية في آنٍ معًا، وجدنا «هند طاهر الحسيني». فلم يتوقف أثرها وتأثيرها عند الهموم المذكورة أعلاه، ولم تجلس في برج عاجي تنظر إلى الشارع وتلقي التعليمات، وإنما كانت في أتون النكبة والنكسة، وما بينهما وما بعدهما، وما آلت إليه أمور شعبنا في تلك الحقبة من الزمن. إذ لا يمكن لمتحدث عن مذبحة دير ياسين أن يتجاوز ذكر «هند الحسيني» التي وفرت الحضن الدافئ لمنكوبي ومشردي تلك الجريمة النكراء، التي يندى لها جبين الإنسانية. كما لا يمكن لمن يروي رحلة التربية والتعليم في القدس إلا ويعرِّج على «هند الحسيني» وإنجازاتها الواضحة في مواجهة عملية تهويد القدس، التي هبّت نيرانها منذ النكسة في العام 1967؛ عندما شرعت في بناء مؤسسات عملاقة وفرت للشعب الفلسطيني بشكل عام، وللمقدسيين بشكل خاص، أفضل السبل لتلقي العلم والمعرفة، ولينهلوا من الثقافة والأدب والفكر ما يربطهم بأرضهم ومقدساتهم التي ورثوها كابرًا عن كابرٍ.

لذلك؛ فإننا نفخر أن يحتضنَ كتابُنا هذا رائدة العمل الإنساني، والتربية، والثقافة، والتراث، والفكر. هذه المرأة المقدسية التي يجب علينا أن نُعَرِّفَ الأجيال بها، لتكون أنموذجًا يحتذى، لدى كل من يبحث عن دور يؤديه اتجاه القدس بشكل خاص، وفلسطين بشكل عام. مع التأكيد على أن حالنا، يقول: إن كانت القدس بخير، فلا خوف على ما سواها!

عند البحث عن مصدر للمعلومات والبيانات والبيّنات الخاصة بالمرحومة «هند الحسيني» وجدنا الآنسة «ماهرة الدجاني» مقدسية فاضلة حملت إرث «هند الحسيني» ، بما فيه من

تفاصيل متعبة، بل مرهقة. وعندما بادرتها بهذه المهمة في أول مكالمة معها في أوائل تشرين أول/ 2014 بادرتني بعبارة وجدت فيها نموذجًا لمعنى الوفاء: أنا لست بحاجة إلى العمل، ولكنني أعمل وفاءً لسيدة هذا المكان وواضعة أسسه. ففي هذا القول الكثير مما يمكننا فهمه، أقله أننا أمام صورة من صور الوفاء الذي غرسته «هند الحسيني» فيمن عمل معها. كما نقرأ من هذا القول أن القدس بخيرٍ طالما أن فيها من قطعوا على أنفسهم عهدًا بأن لا يأووا إلى فراشهم الدافئ طالما أن هناك مقدسيًا يشعر بالبرد.

هكذا؛ تواصلت مع الآنسة «ماهرة الدجاني» التي لم تبخل بأية معلومة، حتى أنها زودتني بمخطوطة دراسة «بخط اليد» عن المرحومة «هند الحسيني» كان قد أعدها د. أمين الحاج يحيى في العام 1995، بعنوان[110]: «هند طاهر الحسيني: سيدة العمل والرفاه الاجتماعي الفلسطيني»، والتي تضم الغالبية العظمى لما نحتاجه عنها في هذا الكتاب. ولم نتوقف عند هذه المخطوطة وحسب، وإنما تم متابعة مؤسسة «دار الطفل العربي» وما ينبثق عنها من أنشطة ومشاريع ثقافية وتربوية واجتماعية، مثل «إسعاف النشاشيبي» وغيره. وتجدر الإشارة إلى أنه ما لم يتم الإشارة إلى المصدر، فإن البيانات والمعلومات يكون مصدرها تلك المخطوطة التي أسهم في إعدادها طالبات كلية هند الحسيني للآداب.

هند طاهر الحسيني (١٩١٦-١٩٩٤)

ولدت أثناء الحرب العالمية الأولى، وغيرت الحرب العالمية الثانية مجرى حياتها.. وما بين الحربين كانت «هند الحسيني» تعد نفسها للحصول على العلم والمعرفة في أعلى مستوياتهما.. عاشت آلام النكبة وعذاباتها، وتجرعت مرارة النكسة وما آلت إليه القدس.. وما بين هاتين الكارثتين وما بعدها، شمرت عن ساعديها، وكرّست حياتها لأولئك الأطفال-الأيتام الذين كانت ترى في البسمة على وجوههم السعادة في أوجها.. وأما معيار تقييمها لأي (مسؤول)، فهو بقدر ما يقدم (للغلابى والحزانى) والمشردين من أبناء فلسطين وبناتها.. رفضت أضواء الصخب والشهرة والإعلام، كما رفضت تلقي الهدايا والجوائز والعطايا والهبات؛ فانزوت في ركنٍ في بيتها لتضيء العالم المظلم للأيتام والفقراء والمعوزين والمشردين.. فعلت ذلك للأطفال الفلسطينيين، وهي تقول: لو مات هؤلاء الأطفال لمُحي الشعب الفلسطيني.

110 استلمت هذه الدراسة من الأخت «ماهرة الدجاني» في 2014/10/17 أثناء مقابلتي لها في الفندق الوطني بالقدس.

سيرة حياتها:

هند طاهر الحسيني مع والدها وأشقائها

المولد-النشأة-التعليم: هي «هند طاهر الحسيني»

- ولدت في القدس الشريف بتاريخ 25 نيسان عام 1916، في بيت جدها لامها المرحوم محمد صالح الحسيني، وهي الدار المعروفة حاليا بدار الطفل العربي.
- توفي والدها وهي بعمر سنتين؛ فلم تعرفه، ولم تعش في كنفه، فقامت والدتها على تربيتها، هي وإخوتها الخمسة الذين يكبرونها جميعًا[111].
- في العام 1932، أنهت دراستها الابتدائية من مدرسة البنات الإسلامية –باب الملك فيصل– بالقدس؛ وهو أحد أبواب المسجد الأقصى المبارك (كان يسمى باب العتم).
- التحقت بالكلية الانجليزية للبنات في القدس حيث أنهت دراستها الثانوية عام 1937 (تأخرت لمدة عام دراسي بسبب إضراب عام 1936). وفي العام 1938 أتمت دراسات خاصة، لمدة عام، في آداب اللغتين العربية والانجليزية.
- لزيادة معلوماتها التربوية والاجتماعية وتحديثها؛ التحقت بجامعة هامبرغ الألمانية، لمدة أربعة أشهر في كل سنة، على مدى ثلاث سنوات متتالية (1963–1965).

111 والدتها سيدة مثقفة؛ تتقن اللغتين الفرنسية والتركية بالإضافة إلى العربية.

المناصب التي شغلتها:

- تعاقدت للعمل مدرّسة في مدرسة البنات الإسلامية بالقدس في العام الدراسي 1939/1938، حيث كانت تستعد للذهاب إلى الجامعة. إلا أن اندلاع الحرب العالمية الثانية غير من برامجها؛ فاستمرت في التدريس حتى نهاية العام الدراسي 1945/1944.

هند الحسيني الطالبة

- عام 1945، تركت مهنة التعليم والتحقت بالعمل الاجتماعي التطوعي؛ حيث عملت مُنَظِّمةً لجمعية التضامن الاجتماعي النسائي بالقدس، التي انتشرت فروعها في أنحاء فلسطين ليصل عددها إلى 22 فرعاً. ونظّمت فروعا محلية تقدم خدمات للأطفال والنساء العاملات، مثل: بساتين أطفال ومراكز مكافحة الأميين وتعليم الخياطة وغير ذلك.
- إثر النكبة، التي بدأ سعير نيرانها أواخر العام 1947، توقفت الجمعيات المذكورة أعلاه عن العمل.
- بعيد مذبحة دير ياسين، في شهر نيسان/ 1948، جمعت خمسة وخمسين طفلا وطفلة ووضعتهم، للعناية، في غرفتين في حي سوق الحُصُر في البلدة القديمة.
- في نفس العام؛ وبعد أشهر من مذبحة دير ياسين، بدأت فكرة تأسيس جمعية دار الطفل العربي في القدس، التي ما زالت تشهد على انتماء المرحومة «هند الحسيني» وإبداعاتها المتعددة الأبعاد والأوجه.
- لم تتوقف عند تأسيس دار الطفل العربي ومتابعتها، وإنما كانت رئيس مجلس أمناء كلية الآداب للبنات–جامعة القدس، ومن مؤسسي جمعية المقاصد الخيرية–القدس (مستشفى المقاصد وعيادات)، وعضوًا في مجالس الإدارة لكل من: الفتاة اللاجئة، جمعية المشروع الإنشائي العربي وجمعية اليتيم العربي.

«هند الحسيني».. دير ياسين.. دار الطفل العربي.. شبكة مؤسسات مقدسية: جدلية الإنسان والوطن والبناء

يروي «د. حسين الخالدي»[112] أنه في فجر يوم الجمعة الموافق لليوم التاسع من شهر نيسان 1948؛ وجثمان الشهيد عبد القادر الحسيني/ قائد الجهاد المقدس يرقد على فراشه، والبلاد تستعد لوداعه الوداع الأخير وتشييعه إلى مثواه، أحاطت عصابات اليهود بقرية دير ياسين من أطرافها الأربعة، وأعملوا فيها الحديد والنار، وأمطروها وابلاً من رصاص بنادقهم ومدافعهم الرشاشة ومدافع الهاون الصغيرة والقنابل اليدوية والألغام, فلم يبق في ضواحيها حجر، وانهارت البيوت على من فيها من الرجال والنساء والأطفال. ولم يبق بيت في القرية إلا وألقيت عليه القنابل شديدة الانفجار.

أما الأحياء من أهالي تلك القرية، فقد أرغموهم، والحراب تعمل في أقفيتهم، على التجمع في مكان عينوه بعد أن اغتالوا فريقًا من هؤلاء النسوة، وبعضهن من الحوامل, ثم أركبوا الصغار منهم السيارات الكبيرة المكشوفة، وطافوا بهم في الأحياء اليهودية، بعد أن رجمتهم جموع اليهود بالحجارة. وأخيراً، أوصل اليهود هؤلاء التعساء إلى الحدود الفاصلة بين الأحياء العربية واليهودية في حي المصرارة، فأنزلوهم من السيارات، وأمروهم بالتوجه إلى الأحياء العربية وهم يطلقون مئات العيارات النارية فوق رؤوسهم؛ زيادة في الإرهاب.

وصلت جموعهم إلى الأحياء العربية؛ بما هم فيه من هول وذعر ومحنة. وتولى أكبرهم سناً قيادتهم وسار بهم في شوارع القدس القديمة، والتجأ معهم إلى حائط قرب كنيسة القيامة وجامع عمر[113].

أما «هند الحسيني»، وبعد أسبوعين من تلك المجزرة (23/04/2015م)، وهي في طريقها للاجتماع بالسيد أنور الخطيب، رئيس بلدية القدس، صادفت وجود خمسة وخمسين طفلاً، أكبرهم في الثانية عشرة من العمر، وأصغرهم في سنته الأولى، وعيونهم تنطق بالذعر والهلع مما رأوه, ويحاول الكبار منهم تهدئة روع الصغار، فاتجهت نحوهم وسألتهم عن سبب تجمعهم في تلك المنطقة؛ فوقف أكبرهم وقص عليها ما حدث في القرية، من قتل

---

112 د. حسين فخري الخالدي (2014). ومضى عهد المجاملات (مذكرات)-بيروت -1949 المجلد الثاني. تحرير «د. رفيق الحسيني». دار الشروق للنشر والتوزيع. ص: 260-262.

113 ورد ذلك في كلمة ألقتها الآنسة «ماهرة الدجاني» في ..... بتاريخ: 27/07/2009م.

وذبح وسفك دماء, فشعرت بالحزن والأسى مما أصابهم, وأصاب الشعب الفلسطيني[114].

قررت «هند الحسيني» أخذ هؤلاء الأطفال اليتامى، واحتضانهم، ورعايتهم. بإنسانيتها العالية، فوضعتهم في البداية في غرفتين في سوق الحصر، ودأبت على التردد عليهم، يوميًا؛ لتتفقدهم وتتلمس احتياجاتهم ملبية رغباتهم، ثم انتقلت بهم إلى دير راهبات صهيون، وبعد الهدنة الأولى انتقلت بهم إلى بيتها، وضمت إليهم المزيد من اليتامى والمشردين الذين تجدهم في طريقها[115].

ثم دعمها «أنور الخطيب»؛ رئيس بلدية القدس في حينه، ففتحت مدرسة لهم في البيت، كما أن أهل الخير، وعندما سمعوا بما تقوم به «هند الحسيني» أمدّوها بالمال والطعام والكساء. وكانت تقول، في نفسها: لو مات هؤلاء الأطفال لمُحي الشعب الفلسطيني، فقطعت عهدًا على نفسها بأن ترعى الأيتام وتُربيهم تربية صالحة[116].

ومن هناك انطلق مشروع «دار الطفل العربي»، الذي تنامى، عبر عقود من الزمن، للتحول من غرفة صف، إلى مدرسة، ومن ثم إلى مؤسسة اجتماعية وطنية، تحتضن الأطفال، فترعاهم، وتربيهم، حتى يبلغوا القدرة على السير في دروب الحياة[117]. وسوف نتطرق، فيما يلي، إلى ذلك الإنجاز، بما يضع القارئ في صورة تلك الرحلة الشاقة، من البذل والعطاء، وما آلت إليه في نهاية المطاف.

«هند الحسيني» تؤسس في القدس ما يعزز عروبتها ويحفظ أجيالها: -دار الطفل العربي-القدس.. كان حملًا شاقًا انتهى بمواليد جميلة-

لا يمكن الحديث عن الإبداع دون الحديث عن المبدع، ففي القدس الآن شبكة مؤسسات مقدسية الأصل والفصل والهوى والهوية تشكل، في مجموعها، مصدّات وعوازل حقيقية

---

114 ورد ذلك في كلمة ألقتها الآنسة «ماهرة الدجاني» بتاريخ: 2009/07/27م.

115 وردت على لسان الآنسة «ماهرة الدجاني، من خلال المقابلة التي أجريت معها في الفندق الوطني بالقدس، بتاريخ 2014/10/17م.

116 ورد ذلك في كلمة ألقتها الآنسة «ماهرة الدجاني» بتاريخ: 2009/07/27م.

117 بشار إبراهيم (2011). قصة هند الحسيني: «لم يكن في جعبتي حينها، سوى 138 جنيهاً فلسطينياً»، فيلم سينمائي من إخراج: ساهرة درباس. انظر الرابط: http://doc.aljazeera.net/cine/2011/02/ma/20112373345654779.html (أمكن الوصول إليه في 2015/02/20م).

نصب تذكاري يوثق لتأسيس مؤسسة دار الطفل العربي بدءًا بمبلغ (138) جنيهًا؛ وهو ما كانت تمتلكه هند طاهر الحسيني إبان مذبحة دير ياسين في 25/04/1948م

كما ذكرنا سابقًا؛ فقد تأسست «دار الطفل العربي» بعيد النكبة عام 1948، من قبل رائدة العمل الاجتماعي/ المرحومة «هند الحسيني»، عندما عرضت بيتها- ملجأ ومدرسة -لأطفال الشهداء الفلسطينيين من مذبحة دير ياسين. وبدأت المدرسة مع 55 طفلا من مختلف الأعمار والمراحل الدراسية، حيث جمعتهم، في البداية، في غرفتين في سوق الحصر في البلدة القديمة، وفي العام 1949 تكونت أول هيئة إدارية للمؤسسة، من السيدات والسادة: السيدة هند طاهر/ مؤسِّسة الدار ورئيستها، السيد أنور الخطيب/ المستشار القانوني للدار، السيدة باسمة فارس/ أمينة الصندوق, السيدة أمينة الحسيني/ عضوًا, الآنسة لزي ناصر/ عضوًا, السيدة سميحة الحسيني/ عضوًا, السيدة نزهة نسيبة/ عضوًا, السيدة مليحة النجار/ عضوًا[118].

لم تتوقف عند ذلك، وإنما واصلت جمع التبرعات من أهل الخير, وبدأت اتصالاتها لتؤمن حياة كريمة لمن نُكبوا بفقد الأهل. وازداد عدد اليتامى وازداد العبء عليها, ولكنها لم تيأس,

118 انظر التقرير السنوي لمؤسسة دار الطفل العربي-القدس (2012-2013). ص8.

وظلت تسعى وتجد وتتنقل من بلد لآخر لتجمع ما تستطيع من أموال، وهي تضع نصب عينيها الهدف الاستراتيجي القائم على تأمين مستقبلهم؛ بتوفير فرص التعليم لهم. فأعدت الأبنية اللازمة للمدرسة, واستكملت استملاك الأرض والأبنية القديمة المحيطة بها ووهبتها كلها لدار الطفل العربي, ثم أوقفتها على مصلحة الدار.

وبمساعدة أهل الخير، استطاعت أن تضيف للأبنية القديمة أبنية حديثة؛ حيث أصبحت المؤسسة تضم: الحضانة والروضة والمدرسة الأساسية والثانوية وقسماً لمحو الأمية, وقسما لتعليم الضرب على الآلة الكاتبة وقسماً لتعليم الخياطة. تشير المصادر أنه خلال الفترة بين عامي 1975–1958، تمكنت «هند الحسيني» من شراء بيت جدها، الذي ينتمي لأمها ولأبناء خالها، ولأبناء عمها. كما بنيت الأبنية الحديثة عام 1969، بتبرعات سخية من شركة أرامكو في الظهران وآل الشايع في الكويت، بالإضافة إلى عمارة القسم الداخلي التي بنيت عام 1970 بتبرع من الكنيسة الألمانية اللوثرية في بون، وقامت في العام 1982 بشراء بيت أديب العربية «محمد إسعاف النشاشيبي».

بجهد «هند الحسيني» وإصرارها أضحت «دار الطفل العربي» تمتلك ست بنايات، تضم: القسم الداخلي، والحضانة والروضة، والمدرسة الأساسية والثانوية، متحف دار الطفل العربي للتراث الشعبي الفلسطيني ودار إسعاف النشاشيبي للثقافة والفنون والآداب،

وجميعها وقف إسلامي لدار الطفل[119]. أي أن المتحف ودار الفنون في حالة، شبه التحام، مع مؤسسة تربوية؛ تربي أبناء القدس وتعلمهم، ثم تردف ذلك كله بأن تجعل الوطن، الذي لم يسكنوه ولم يولدوا فيه، يسكنهم؛ حتى يصبح جزءًا من كينونتهم وتكوينهم العاطفي والوجداني. وسوف نتطرق، فيما يلي، إلى تلك الشبكة بشيء من الاختصار:

أولًا: متحف التراث الفلسطيني-القدس: ثروة قومية.. مقاومة ثقافية.. ومصدر تثقيف دائم

في العام 1962، ومع ظهور الحاجة الماسة إلى تعريف العالم الخارجي والجمهور المحلي، على حد سواء، بالتراث الشعبي الفلسطيني العريق، شرعت المرحومة هند الحسيني في إنشاء مركز شعبي فلسطيني. فبُدِئ بتجميع المقتنيات التراثية من خلال تبرعات الفلسطينيين، الشخصية، فجمعت ثياباً مطرزة قديمة من مناطق مختلفة في فلسطين، وبتبرع سخي من سيدة بريطانية تدعى «فيوليت باربر»؛ التي أهدت المؤسسة مجموعة قيمة من الألبسة والقطع التراثية العربية الأصلية[120]، أصبح في حوزتها كمية لإنشاء متحف شعبي يُعنى بالحفاظ على تراثنا الشعبي من الضياع والاندثار.

شهد العام 1978، أول افتتاح رسمي للمتحف تحت اسم «مركز التراث الشعبي العربي الفلسطيني»، في الطابق الأرضي من دار سليم الحسيني، أودعت فيه 2200 قطعة, ثم دأبت على زيادة مقتنياته[121].

وبعد عملية إعادة تأهيل وتحديث معماري شاملة خلال الأعوام القليلة الماضية، وبمساهمة جهات محلية وعربية وإسلامية وايطالية، تم تجهيز المتحف وقاعاته المختلفة، لاستيعاب وعرض القطع التراثية القيمة واستقبال الجمهور بأفضل الإمكانات والتجهيزات المتاحة. كما أصبح المتحف جاهزًا لاستضافة الأنشطة والفعاليات الثقافية والفنية المختلفة في جميع الأوقات.

---

119 بشار إبراهيم (2011). قصة هند الحسيني: «لم يكن في جعبتي حينها، سوى 138 جنيهاً فلسطينياً»، فيلم سينمائي من إخراج: ساهرة درباس. انظر الرابط: http://doc.aljazeera.net/cine html.20112373345654779/02/ma/2011 (أمكن الوصول إليه في 2015/02/20م).

120 انظر مطوية «متحف التراث الفلسطيني-القدس».

121 ورد ذلك في كلمة ألقتها الآنسة «ماهرة الدجاني» في ..... بتاريخ: 2009/07/27م.

يضم المتحف –حالياً – قاعات العرض الدائم، وقاعات العرض المتغير، ومخازن، وغرفة تحضير وصيانة لمحتويات المتحف، وغرفة آلات تصوير وطباعة، وقاعات لورش العمل والنشاطات، ومكتبة، ومكاتب الإدارة. كما تم تجهيزه بنظام إنارة خاص، وبكاميرات مراقبة، وأجهزة إنذار مبكر وفق المعايير العالمية. ويقوم القائمون على المتحف بتنظيم جولات إرشادية لمجموعات الزوار للمتحف تستغرق قرابة الساعة الواحدة بمرافقة مرشد متخصص، والعدد الأقصى للمجموعة (25) شخصًا، ويمكنهم مشاهدة ثلاثة طوابق؛ تشكل خلية نحل؛ إذ يستقي الزائر للمتحف، في كل طابق، معلومات هامة تضيف لثقافته المزيد، منها:

الطابق الأرضي:

- عرض أفلام وثائقية محددة للتعريف بالمؤسسة الحاضنة للمتحف (دار الطفل العربي ومبنى المتحف)، والأحداث الخاصة بقرية دير ياسين لعلاقتها التاريخية بتأسيس المؤسسة في العام 1948. ويضم مجسماً لقرية دير ياسين، مع مجسم حائط لخارطة فلسطين التاريخية تُظهر (450) قرية فلسطينية مدمرة أو مهجرة بسبب العدوان الصهيوني منذ العام 1948.
- بعض المقتنيات الشخصية الخاصة بالسيدة هند الحسيني، كما تُعرض أدوات تراثية؛ تعكس الأدوات التي كانت تستخدم في البيوت الفلسطينية التقليدية في الريف الفلسطيني، وأدوات القش بشكل أساسي والتي كانت تستخدم في الحياة اليومية للعائلة الفلسطينية التقليدية في الريف.

الطابق الأول:

ينتقل الزائر مباشرة للممر المفتوح المطل على الفتحة السماوية في وسط المبنى حيث تعرض قطع السجاد التقليدي، المصنع يدوياً، والذي يرتبط بفكرة العمل والحياة اليومية للمرأة الفلسطينية في القرية، وأهم ما في هذا الطابق:

- عرض أدوات الغزل التقليدية، إضافة إلى ماكينات الخياطة الآلية، والتي كانت تستخدم بشكل واسع في البيوت الفلسطينية خلال القرن الماضي. كما يعرض الأثاث الدمشقي والمحلي الفلسطيني، الذي كان يستخدم في البيوت المقدسية في أوائل القرن العشرين وحتى النكبة في العام 1948، وبالأخص غرفة الصالون وما كانت تحتوي من أثاث

وإكسسوارات وصور وأسلحة ونحاسيات وغيرها.

- هنا يتم إبراز الدور المهم الذي تلعبه مدينة القدس في الوجدان الفلسطيني وأهميتها في الحياة السياسية والشعبية الفلسطينية ودور النخبة المقدسية في قيادة الشعب الفلسطيني في ذلك الوقت.
- عرض الأزياء الشعبية من مختلف المناطق الفلسطينية، والمعادن والحلي الشعبية الفلسطينية الصغيرة كالقلائد والأساور والخواتم بمختلف أنواعها، والمهن المختلفة، التي كانت في المدن الفلسطينية، بخاصة القدس.
- كما يُعرض في هذا الطابق بعض «الفرمانات» العثمانية الأصلية، وبعض الوثائق القديمة والمخطوطات التي تروي قصة نهايات فترة الحكم العثماني. وكذلك زيّ الباشا الرسمي العثماني الموجود في المجموعة، حيث تمثل المحتويات صلة وصل بين الماضي العثماني الذي أثر بشكل كبير في العادات والتقاليد الشعبية الفلسطينية.

الطابق الثاني:

ويختلف هذا الطابق عن سابِقَيْهِ، بأنه يضم أنشطة ثقافية، مختلفة إلى حدٍّ ما، منها:

- المكتبة: وهي جزء من العرض المتحفي، تضم مراجع متخصصة في العمل المتحفي والتراث الفلسطيني بشكل محدد.
- ورشة العمل للفنون والحرف اليدوية: ويجري فيها برامج وأنشطة تدريب فنون يدوية، لطالبات وطلاب المدارس والأندية الشبابية والزائرين من فئات عمرية مختلفة.
- الساحة الخارجية: حيث تم تبليطها بالبلاط الحجري الأبيض الجميل، وتحيط بها أحواض الورود والشجيرات من جميع الجوانب. ويتوفر فيها جلسات هادئة بين أحضان الطبيعة مع تخصيص مساحة لألعاب الأطفال، ويُخطط لاستخدام الساحة للاحتفالات العامة.

وتشير البيانات إلى أن المتحف استضاف الكثير من الزوار المحليين والأجانب، على حد سواء، حيث تم تسجيل أكثر من ثلاثة آلاف زائر خلال العام 2013–2012. هذا وقد زار المتحف مجموعات من طلبة المدارس والأندية من كافة الفئات العمرية حيث شملت الزيارات تنفيذ الأعمال الفنية في ورشة العمل، والتي استفاد منها أكثر من 4,000 طالبًا وطالبةً.

ثانيًا: كلية الآداب للبنات (كلية هند الحسيني حاليًا) و معهد الآثار الإسلامية[122]

أفادت الآنسة «ماهرة الدجاني» بأنه في العام 1967 استدعتها «هند الحسيني»، وأبلغتها بأن الاحتلال يرفض السماح للطالبات المقدسيات، من خريجات الثانوية العامة، بإكمال تعليمهن في كلية المعلمات برام الله؛ وإنما سيجبرهن على التوجه إلى كلية المعلمين في حيفا. وأبدت المرحومة «هند الحسيني» تحفظها، بل رفضها لذلك، مشيرة إلى أن الأهالي لن يرسلوا بناتهم إلى حيفا، مما يعني حرمانهن من التعليم. وانتهت إلى قناعة مفادها أن تلك الفتيات سوف يتحولن إلى عوانس في بيوتهن؛ بسبب التوجه المجتمعي للزواج من المتعلمات.

كعادتها في إدارة الأزمات، شرعت «هند الحسيني» بالتخطيط لتوفير فرصة إكمال المقدسيات لتعليمهن بعد الثانوية العامة في القدس؛ ونظرًا لأنه كان هناك فرع في دار الطفل يعلم ما بعد الثانوية العامة، فقد قررت تطويره إلى كلية تعلم اللغة العربية وآدابها والخدمة الاجتماعية.

---

122 جميع المعلومات الواردة في هذا البند وردت على لسان الآنسة «ماهرة الدجاني، من خلال المقابلة التي أجريت معها في الفندق الوطني بالقدس، بتاريخ 2014/10/17م، بالإضافة إلى ما ورد في كلمتها بتاريخ: 2009/07/27م.

ومن حسن الحظ، أن تبرعت منظمة المؤتمر الإسلامي ببناء كلية الآداب للبنات عام 1982 حيث انتظمت فيها الدراسة في نفس العام, مدة الدراسة فيها أربع سنوات, تمنح الطالبة في نهايتها شهادة البكالوريوس في الآداب في ثلاثة تخصصات، هي: اللغة العربية وآدابها, اللغة الإنجليزية وآدابها, والخدمة الاجتماعية.

من جانبٍ آخر؛ تم في عام 1991 افتتاح معهد الآثار الإسلامية، التابع لمؤسسة دار الطفل العربي؛ الذي يمنح درجة الماجستير في الآثار.

وفي عام 1995 تم ضم هذين الصرحين التربويين (كلية هند الحسيني ومعهد الآثار) إلى جامعة القدس، التي تولت المسؤولية الكاملة عنهما، منذ ذلك التاريخ.

ثالثًا: دار إسعاف النشاشيبي للثقافة والفنون والآداب[123]: تحفة ثقافية تشهد على عروبة القدس

محمد إسعاف النشاشيبي (1885–1948)؛ هو أديب العربية، الذي قال فيه أمين الريحاني: ثلاثة سأذكرهم على الدوام: الحرم الشريف، وجبل الزيتون وإسعاف النشاشيبي. وهو رجل كريم طيب، يقول عنه خليل السكاكيني: (...) ثم أعلنت الحرب الكبرى، ومما أذكره له بالشكر والإعجاب أنه كان إذا عرف أننا لا نجد خبزاً يحمل شيئاً من الطحين على ظهره ويأتي به إلينا[124].

في العام 1982, قامت المرحومة «هند الحسيني»؛ رئيسة مجلس أمناء دار الطفل الفلسطيني في حينه, بشراء بيت أديب العربية «محمد إسعاف بن عثمان النشاشيبي»؛ ذلك القصر الرابض على بقعة مرتفعة في حي الشيخ جراح شمالي القدس, لتضيفه لأملاك وعقارات مؤسسة «دار الطفل العربي» في مدينة القدس. ويتكون القصر من طابقين تبلغ مساحة كل منهما 296 متراً مربعاً. وتسوية مساحتها 110 متراً مربعاً. ويقع على قطعة أرض مساحتها 1210 متراً مربعا[125].

بعدما دخل قصر إسعاف النشاشيبي في حوزة دار الطفل العربي، تم استخدامه على أكمل وجه، لخدمة الثقافة والعلم في فلسطين بشكل عام والقدس بشكل خاص. ويضم الآن دار إسعاف النشاشيبي للثقافة والفنون والآداب التي أُنشئت في العام 1999، بهدف المساهمة

123 انظر مطوية «دار اسعاف النشاشيبي»، الموقع الالكتروني: http://www.dta-isaaf.org/ar/1/6/98/83

124 انظر: http://www.akhbarelbalad.net/ar/1/6/98/79?tpl=

125 انظر مطوية «دار اسعاف النشاشيبي»، الموقع الالكتروني: http://www.dta-isaaf.org/ar/1/6/98/83

في إحياء النشاطات الثقافية والفكرية في مدينة القدس، حيث باشرت الدار، فور افتتاحها، بإقامة ندوات ومعارض وورش عمل ذات أبعاد وأهداف محددة. وتم تجهيز مكتبة الدار التي تحتوي على بضعة آلاف من الكتب والمراجع القيّمة والمخطوطات، شملت :مكتبة الأديب إسعاف النشاشيبي، فوزي يوسف، والدكتور اسحق موسى الحسيني، وعارف العارف، وغيرهم من أدباء فلسطين المعروفين، إضافة إلى بعض الكتب التي تبرع بها مواطنون محليون لمصلحة مكتبة الدار.

دار إسعاف النشاشيبي للثقافة والفنون

أما بشأن أقسام الدار؛ فإن المدخل الرئيسي يقود، من الجهة الجنوبية مباشرة، إلى الحديقة المتدرجة المطلة على مدينة القدس ومنها إلى منطقة الجلوس الخارجية، ومن ثم المقصف الداخل/ الكافتيريا في طابق التسوية.

أما الطابق الأول والذي يمكن الوصول إليه من الدرج الرئيسي الخارجي أمام المبنى فيحتوي على منطقة الاستقبال؛ التي تقود إلى القاعة الرئيسية المتعددة الأغراض، حيث تقام المعارض والندوات والمحاضرات. وفي الجهة الشرقية من القاعة هناك قاعة تدريب الفن التشكيلي، وقاعة تدريب الموسيقى في الجهة الغربية. أما المكتبة ومركز الأبحاث وغرفة المخطوطات وقاعة القراءة ومكتب الإدارة وقاعة الاجتماعات فتقع جميعها في الطابق الثاني والأخير من المبنى.

«هند الحسيني»، الوجه الآخر: الهوايات.. المشاعر الوطنية.. والآراء السياسية توظف لخدمة الإنسان والقضية:

كان للمرحومة «هند الحسيني»، مجموعة هوايات، لم تتوقف عند ممارستها وحسب، وإنما وظفتها في خدمة مشروعها التربوي-الاجتماعي-الوطني الممتد من جيلٍ إلى جيل، وهي:

- ومن هواياتها البارزة التطريز الفلّاحي والتطريز على الحرير، وكانت تطرز أثوابا

ووسائد ذات نمط فلاحي بألوان جذابة، متناسقة ذات طابع تراثي أصيل، حبها للتطريز ساعدها في التركيز والتأمل والتفكير، وقد كانت تقوم بمنتصف الليل وتمارس هوايتها المفضلة. ولأنها كانت تهوى التراث الفلسطيني وتعشقه، فقد جمعت قطع التطريز وأحبت النحاسيات وثابرت على إبقاء الأثاث الشرقي في منزلها، كما عملت على حفظ التراث الذي انتهى بإنشاء متحف للتراث في مدرسة دار الطفل. وحثت طالباتها ومعارفها وشجعتهن على مزاولة التطريز.

- وعندما سمعت روايات مفادها أن زوجة الجنرال موشيه دايان كانت تتجول في القرى وتشتري إنتاجهم التراثي!.. فما كان منها؛ أي هند الحسيني، إلا أن سافرت إلى القرى، واشترت منهم أشغال تطريز وقطعاً عتيقة، ومن ثم فكرت بإنشاء المتحف[126] الذي سيأتي الحديث عنه لاحقًا.
- أحبت المطالعة كثيرا، فهويت الكتب العربية والانجليزية والألمانية، وكذلك طالعت باستمرار مجلات سياسية أجنبية، ومنها على الخصوص ما يتناول القضية الفلسطينية بإسهاب، فامتلكت مكتبة خاصة في منزلها بالإضافة إلى تأسيسها لمكتبة المدرسة والكلية.
- للأنشودة الوطنية وقع خاص لديها وقد كانت السباقة في نشرها بالمدارس، فكانت المبادرة إلى تأسيس فرقة زهور فلسطين وعلى حذوها خطت باقي المدارس. وكانت غايتها زرع حب الأنشودة الوطنية التي تتغنى بتاريخ وجمال وسحر مدينة المدائن، في قلوب بنات دار الطفل.
- أحبت الأغاني الزجلية وأجادت العزف على البيانو وكانت تحب الغناء؛ لامتلاكها صوتا جميلا.
- كرة السلة والسباحة وركوب الخيل، فقد امتلكت أسرتها إصطبلا للخيول.

لم تنجذب «هند الحسيني»، إلى وسائل الإعلام المسموعة والمرئية إلا لسماع الأخبار وأحيانا متابعة بعض المسلسلات الاجتماعية. ففضلت الوحدة والجلوس المنعزل؛ للتفكير ومراجعة النفس. فابتعدت عن التشريفات، وعن الإعلام الشخصي، ومقابلة الصحفيين وحتى حفلات التكريم، والأوسمة التي منحت لها، لم تستلمها بيدها؛ وإنما بواسطة مندوبين

126 بشار إبراهيم (2011). قصة هند الحسيني: «لم يكن في جعبتي حينها، سوى 138 جنيهاً فلسطينياً»، فيلم سينمائي من إخراج: ساهرة درباس. انظر الرابط: http://doc.aljazeera.net/cine/2011/02/ma/2011112373345654779.html (أمكن الوصول إليه في 2015/02/20م).

عنها. وابتعدت أيضا عن الاجتماعات الموسعة والأعراس؛ بسبب الضجة الناتجة عن تجمع كثير من الناس.

لقد كرّست المرحومة «هند الحسيني»، حياتها للشأن العام، فلم تتوقف أنشطتها وفعالياتها عند الجانب الاجتماعي الإنساني وحسب، بل أنها كانت فاعلة على المستوى الوطني والسياسي؛ ففي العام 1967، وعندما احتلت إسرائيل القدس والضفة الغربية وقطاع غزة، حوّلت مدرستها مستوصفاً لعلاج الجرحى، فكانت ترتدي الزى الأبيض، وتضع الصليب الأحمر على ذراعها، وصارت تجول في القرى والبلدات لجمع الأطفال والمسنين. ويذكر أن المدرسة لم تسلم من الاعتداءات الإسرائيلية، إذ تم قصف المدرسة، ودمر نصفها بالكامل، وقام الصليب الأحمر النرويجي بالمساعدة لبنائه[127].

وعندما انطلقت الانتفاضة الأولى، شجعت «هند الحسيني» على المشاركة في أحداثها. لكنها حرصت على أن لا تكون هذه المشاركة على حساب العملية التعليمية في المؤسسة؛ بأن تشارك الطالبات، دون ارتداء زى المدرسة؛ حتى لا يُشخصن ويُعرفن، وبالتالي تتعرض المؤسسة لعملية الإغلاق والاعتداء على حرمها. ومع ذلك، دخلت قوات الاحتلال مباني المؤسسة وعبثت بمحتوياتها. وكباقي المؤسسات الفلسطينية، فقد أغلقت المؤسسة لأشهر طويلة، واضطرت إلى تغيير نظامها ودوامها اليومي، تماشياً مع تعليمات قيادة الانتفاضة والظروف السائدة.

أما على المستوى الفكري، فقد آمنت «هند الحسيني» بضرورة إيجاد حل جذري للقضية الفلسطينية، ولم تقتنع بالحلول الجزئية أو بحلول قد تنال من الوحدة الوطنية؛ وعليه لم تكن راضية كل الرضا عن عملية السلام ولها تحفظاتها.

الخاتمة

هذه هي «هند طاهر الحسيني» التي تركت لنا إرثاً مقدسياً. لقد عملت لشعبها وقدسها ووطنها أكثر بكثير مما عملت لنفسها؛ فحملت هموم شعبها، باعتباره همها الشخصي. هكذا كان حال المرحومة «هند طاهر الحسيني»، ومن عمل معها، حتى أوصلوا لنا شبكة المؤسسات هذه، التي لا تقل في فعلها وتأثيرها عن فعل أكثر من وزارة في آنٍ معًا.

127 بشار إبراهيم (2011). قصة هند الحسيني: «لم يكن في جعبتي حينها، سوى 138 جنيهاً فلسطينياً»، فيلم سينمائي من إخراج: ساهرة درباس. انظر الرابط: http://doc.aljazeera.net/cine/2011/02/ma.20112373345654779.html (أمكن الوصول إليه في 2015/02/20م).

هكذا؛ تكون «هند طاهر الحسيني» قد تركت نموذجًا حيًا لمؤسسات مقدسية قادرة على مواجهة عملية التهويد: ثقافيًا، تربويًا، علميًا ووطنيًا، ليس بالخطابات والصراخ والعويل، وإنما بالعمل الجاد والمتواصل؛ دون انقطاع. ويجري ذلك كله بسواعد مقدسية وعقول مقدسية، أخذت على عاتقها توفير السبل -كافة -الكفيلة بأن تبقي على الوطن يسكن أبناءه، الذين حرمهم العدوان الهمجي من أن يسكنوه كما باقي شعوب الأرض الآمنة المستقرة.

ونحن نودع الفصل الخاص بالمرحومة «هند طاهر الحسيني»، الذي حاولنا فيه استعراض بعض الجهود المضنية التي بذلتها، والفرق العاملة تحت إمرتها، بأن غرسوا بذرة أثمرت شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، فإنه لا بد من الإشارة إلى أن تلك الشجرة لم تكن لتستمر؛ مورقة وارفة الظلال، لو لم تجد من يرعاها، ويحافظ على متطلبات وجودها واستمرارها. ويكمن هذا السر في المربية الفاضلة «ماهرة الدجاني» التي لا تزال قابضة على هذه المؤسسة دار الطفل العربي، وفاءً لمعلمتها؛ هند الحسيني، ووفاءً للقدس وأهلها الذين يواجهون التهويد الذي يستهدف وجودهم.

قبل أن نغادر، لا بد من التذكير بأن مؤسسة دار الطفل وما ينبثق عنها، تعتمد في ميزانيتها على تبرعات أهل الخير في الداخل والخارج ولجان دار الطفل الموجودة في السعودية والأردن وأمريكا وألمانيا والسويد. أما الأقساط المدرسية فهي لا تَسد سوى جزءاً يسيرا من كلفة تشغيل المدرسة، لا سيما وأنه يتم إعفاء اليتيمات والحالات الاجتماعية الصعبة ،والأولى والثانية من كل صف, كما تعفى بنات الموظفين من نصف القسط. وأن المؤسسة تتلقى بعض الهبات المشروطة لمشاريع معينة من مؤسسات عربية.

بهذا؛ أنجزنا الفصل الخاص بـ «هند الحسيني»، لينير كتابنا بواحدة من المفاخر التاريخية للمقدسيين الذين صنعوا في القدس تاريخًا في الحفاظ على عروبتها في مواجهة التهويد الذي سيأكل أخضر القدس ويابسها، إن بقي حالنا على ما هو عليه من فرقة وتشرذم وتضارب مصالح.

الغلاف الأخير

لقد اكتسبت القدس حضورها الفعلي في المشهد الثقافي والسياسي الفلسطيني والعربي والدولي بفعل مركزيتها التاريخية وعمق جذورها الروحية، التي مثلت عاملاً أساسياً في تكوين الهوية الوطنية والثقافية على مر العصور. إن الاحتفاء بالقدس، تاريخًا وحاضرًا، من

خلال الاحتفاء بمكونات الفعل الثقافي ببعده الإنساني والمكاني والتاريخي والوطني، يمثل انتصارًا لهوية المدينة- العاصمة التي تواجه سياسات العزل الاستعماري، ومختلف أشكال الاضطهاد بكل عزيمة وكبرياء.

إن الانتصار للقدس العربية، عاصمة دولة فلسطين، يمثل انحيازًا لكل القيم الإنسانية التي شكلت مفاتيح الحضارة وفعل التقدم؛ فالقدس ليست مكاناً أو مدينة فحسب، بل هي خلاصة التاريخ وعصب الروح الفلسطينية التي دافعت وما زالت تدافع، عن الإنسان، كما تدافع عن معالم المكان ضد القمع الممنهج وسلب الحريات.

إن النظر الى القدس باعتبارها عاصمة للحياة والنضال ضد كل مسببات القهر والاضطهاد يجعل من هذه المدينة عنواناً مركزياً للنضال الإنساني ومصدراً أساسياً للإلهام والفعل والاستمرار، فالمقدسيون الذين يصنعون تاريخ المكان وحكايته الأصيلة، يمنحون الوقت الفلسطيني المزيد من مفردات الإرادة والأمل لمواصلة مسيرة النضال الوطني نحو استرداد الحقوق الفلسطينية وإعلان دولة فلسطين الحرة وعاصمتها القدس. كما أن أعلام القدس يقدمون نماذج متعددة لصورة الفلسطيني الذي لا يستسلم لمتاهة العتمة، إنما يستمر في نحت مسار الحرية كي يصل إلى اكتمال الضوء.

هذا ما يجعل للكتاب «مقدسيون صنعوا تاريخًا»، للكاتبين والباحثين أ. د. عماد الخطيب والأستاذ عزيز العصا، بُعداً إضافيًا في الانتصار للذاكرة والوطن وفي المساهمة في جعل الذاكرة فعلاً مستمراً في الحاضر الذي يرنو نحو مستقبل يستند إلى مناعة الجذور في التصدي للريح، مما يؤسس لغدٍ فلسطيني لا يقبل الانكسار والهزيمة.

إن اللجنة الوطنية للقدس عاصمة دائمة للثقافة العربية إذ تقدم هذا الكتاب للقارئ الفلسطيني والعربي، إنما تساهم في جعل المعرفة الوطنية مساراً وطريقاً نحو الحرية. كما يعتبر إصدار هذا العمل بمثابة تقدير للجهد البحثي والمعرفي الذي قام به المؤلفان نحو تثبيت الهوية الوطنية للقدس وفلسطين.

د. إيهاب بسيسو

وزير الثقافة

رئيس اللجنة الوطنية للقدس عاصمة دائمة للثقافة العربية